فهرس

دلائل و آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ

مقدمة

بسم الله الرحمن الر حيم واصلى واسلم على حبيب الحق وافضل الخلق سيدنا محمد وعلى آله وبعد
وجَلَّ وعَز من قال
اللهُ تعالى في كتابه العزيز
{إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل : ١١] .
وشاء الحق سبحانه أن يُذكّرنا أن التفكُر ليس مهمةَ إنسان واحد بل مهمة الجميع ، وكأن الحق سبحانه يريد لنا أنْ تتساند أفكارنا؛ فَمْن عنده لَقْطة فكرية تؤدي إلى الله لا بُدَّ أنْ يقولها لغيره .
هذا كتاب جمع فيه بعض من آيات الله تعالى المرئيه
فقد تكلمنا فيه عن الابل ،والسماء ، والجبال
فقد قال تعالى: **(أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ(١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ(١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ)**(الغاشية ١٩)

وقال تعالى: **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)**البقرة
ولذا تكلمنا عن
السماء والارض
ولماذا جمع السماوات وأفرد الأرض؟ وما الفرق بين السماء والسموات؟
وهل السماء أفضل أم الأرض؟
ولماذا قدم السموات على الأرض؟
ومعنى **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا (٤١)**الرعد
وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧)الذاريات
وتكلمنا عن الماء:والفرق بين الماء الطهور والماء الفرات والماء الأجاج
و وتكلمنا عن الريح و الفرق بين ريح ورياح
و تكلمنا عن الليل والنهار وفائدة كل منهما
وتكلمنا عن الظل:والفرق بين ظل الرحمة و ظل العذاب والظل الظليل
و وتكلمناعن العرش والكرسى: **{ إِنَّ رَبَّكُمُ الله الذى خَلَقَ السموات والأرض فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ استوى عَلَى العرش يُدَبِّرُ الأمر }** [يونس : ٣]
قوله تعالى : **{ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السموات والأرض }**

وفي تفسير قوله **{سَنُرِيهِمْ ءاياتنا فِي الآفاق وَفِي أَنفُسِهِمْ }**
أن المراد بآيات الآفاق الآيات الفلكية والكوكبية وآيات الليل والنهار وآيات الأضواء والإضلال والظلمات وآيات عالم العناصر الأربعة وقد أكثر الله منها في القرآن ،
{ سَنُرِيهِمْ } يقتضي أنه تعالى ما أطلعهم على تلك الآيات إلى الآن
إن القوم وإن كانوا قد رأوا هذه الأشياء إلا أن العجائب التي أودعها الله تعالى في هذه الأشياء مما لا نهاية لها ، فهو تعالى يطلعهم على تلك العجائب زماناً فزماناً ، والذي وقف على شيء منها فكلما ازداد وقوفاً على تلك العجائب والغرائب
أي : أفلا يبحثون عن الكنوز الموجودة في المعطيات الخلفية للقرآن .
والتدبر هو الذي يكشف المعاني الخفية خلف ظواهر الآيات ، والناس يتفاضلون في تعرضهم لأسرار كتاب الله حين ينظرون خلف ظواهر المعاني .
والله وليّ التوفيق والهادي في العلم والعمل إلى سواء الحق والطريق .
د عبد النعيم مخيمر

الجبال

يقول السمرائي في الجبال

- **الفرق بين (ألقينا فيها رواسي) و (وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ)**
ألم تكن الجبال مخلوقة من قبل؟

قال تعالى في سورة الحجر (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩))

وفي سورة ق (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧))

وفي سورة النحل (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥))

وسورة لقمان (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠)).

هذا سؤال يجب أن يُوجّه إلى المعنيين بالإعجاز العلمي. لكن أقول والله أعلم أن الملاحظ أنه تعالى يقول أحياناً (ألقينا)وأحياناً يقول (جعلنا) في الكلام عن الجبال بمعنى أن التكوين ليس واحداً وقد درسنا أن بعض الجبال تُلقى إلقاء بالبراكين (جبال بركانية) والزلازل أو قد تأتي بها الأجرام السماوية على شكل كُتل.

وهناك شكل آخر من التكوين كما قال تعالى في سورة النمل (أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١))

وسورة الإنبياء (وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١))

وسورة المرسلات (وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (٢٧)) وسورة الرعد (وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣))،

وهذا يدل والله أعلم على أن هناك أكثر من وسيلة لتكوين الجبال. وكينونة الجبال تختلف عن كينونة الأرض فالجبال ليست نوعاً واحداً ولا تتكون بطريقة واحدة هذا والله أعلم.

معجزة الجبال

حينما ينظر الإنسان إلى الجبال الشاهقة تهوله ضخامتها وعظمتها، فهي من عجائب مخلوقات الله الجديرة بالتأمل والاهتمام، ولذا لفت المولى عز وجل الأنظار بالتفكر والتدبر في بديع خلق الله وصنائعه الظاهرة.

• قال تعالى: **أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**(١٧)**وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ**(١٨)**وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ**)(الغاشية ١٩)

من أقوال المفسرين

في قوله تعالى: » **وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ** « [النازعات:٣٢-٣٣].

جاء في تفسير الطبري:

"**وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا**" وَالْجِبَال أَثْبَتَهَا فِيهَا، أَيْ أَثْبَتَهَا لَا تَمِيد بِأَهْلِهَا. وَالْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى : "مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ" يَعْنِي أَنَّهُ خَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاء، وَأَخْرَجَ مِنْ الْأَرْض مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا، مَنْفَعَة لَنَا، وَمَتَاعًا إِلَى حِين .

وجاء في تفسير القرطبي (رحمه الله) : "وَالْجِبَال "بِالنَّصْبِ ; أَيْ وَأَرْسَى الْجِبَال "أَرْسَاهَا "يَعْنِي: أَثْبَتَهَا فِيهَا أَوْتَادًا لَهَا،

وقوله تعالى "**مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**" أي " مَتَاعًا لَكُمْ "أَيْ مَنْفَعَة لَكُمْ " وَلِأَنْعَامِكُمْ "مِنْ الْإِبِل وَالْبَقَر وَالْغَنَم .

وجاء في تفسير ابن كثير: وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا أي أقرها وأثبتها في أماكنها، وهو الحكيم العليم، الرؤوف بخلقه الرحيم. وقوله تعالى "**مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**" أي كُلّ ذَلِكَ مَتَاعًا لِخَلْقِهِ وَلِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ الْأَنْعَام الَّتِي يَأْكُلُونَهَا وَيَرْكَبُونَهَا مُدَّة اِحْتِيَاجهمْ إِلَيْهَا فِي هَذِهِ الدَّار إِلَى أَنْ يَنْتَهِي الْأَمَد وَيَنْقَضِي الْأَجَل.

وجاء في تفسير الجلالين: "**وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا** "أي أَثْبَتَهَا عَلَى وَجْه الْأَرْض لِتَسْكُن، وقوله تعالى "**مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**" " مَتَاعًا " مَفْعُول لَهُ لِمُقَدَّرٍ ، أَيْ فَعَلَ ذَلِكَ مُتْعَة أَوْ مَصْدَر أَيْ تَمْتِيعًا " لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ " جَمْع نَعَم وَهِيَ الْإِبِل وَالْبَقَر وَالْغَنَم.

ما هو الجبل؟؟

قال الله تعالى: "**وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا**" (٧) سورة النبأ

(**وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ**) سورة لقمان(١٠).

و (الجبل) في اللغة هو المرتفع من الأرض ارتفاعاً ملحوظاً يجعله يعظم ويطول على ما حوله من الأرض، والجمع أجبال وجبال.

فالجبل - في القاموس الجيولوجي - عبارة عن جسم صخري هائل يرتفع عن (سطح الأرض) ويتميز بمنحدراته الحادة وقمته المستدقة.

فهل يفي هذا التعريف الجبل حقه الآن؟

حينما تتفق الآية القرآنية مع حقيقة علمية فهذا تأكيد لتلك الحقيقة وشاهد على إعجاز القرآن.

قال الله تعالى: **"وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا"** (٧) سورة النبأ

إن وصف الجبال بالأوتاد هو أبلغ وصف لها؛ لم نكتشفه إلا حديثاً. والجبال تشبه الأوتاد شكلاً ودوراً، والحقيقة أنه لم يخطر على بال أحدٍ منذ ١٤قرناً أن الجبال الشاهقة مثل جبال الألب أو الهمالايا لها جذور تغوص في الوشاح وأنها تشبه إلى حد كبير جبال الثلج العائمة على الماء، وأنه كلما زاد ارتفاع الجبل كلما ازداد غاطسه تحت السطح، وهذا هو السبب في اختلاف سمك القشرة الأرضية من مكان لآخر، فصخور القشرة كلها ما هي إلا عوامات على صخور الوشاح لأن الوزن النوعي للقشرة أقل من الوزن النوعي لصخور الوشاح.إ

اللغة المشتركة بين الجبال والإنسان

ذكر الله عز وجل في مواضيع عديدة من كتابة العزيز أن الجبال تسابق الإنسان في معرفة الله والخوف منه، فهناك لغة مشتركة بين الجبال والإنسان في معرفة حقوق المولى عز وجل من تسبيح دائم..

سجود وتصدع للجبال من خشية الله وإشفاق الجبل من حمل الأمانة

قال تعالى**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ"** [الحج:١٨].

قال تعالى **لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ"** [الحشر:٢١].

قال تعالى**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** [الأحزاب:٧٢].

بالرغم من ضخامة الجبال وعظمتها إلا أن هناك لغة مشتركة بين الجبال والإنسان وهي لغة تسبيح الله عز وجل، ولكن بلغة لا نعلمها ولا نعرفها، إنما يعرفها خالقها جل شأنه.

قال تعالى: **"وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا، مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ"**

<u>الفرق بين الزينة والمتاع</u>

تعرف الزينة في اللغة: بأنها اسم جامع لكل شيء يتزين به. والزّين ضد الشين. وزان الشيء زيّنه : حسّنه وجمّله وزخرفه. وتزين زينة أي صار موضع حسن وجمال.

أما تعريف المتـــاع: فهو كل شيء ينتفع به ويتبلغ به أو يتلذذ به، ويأتي عليه الفناء في الدنيا.
فالمتاع يرمز لكل المنافع والفوائد والخدمات التي تقدم للإنسان. ويعتبر المتاع أكثر منفعة من الزينة، ولبيان ذلك نجد أن الإنسان بإمكانه أن يعجب بزينة القصر الجميل ولكنه لا يستمتع به إلا إذا عاش فيه.
وإذا تأملنا هذه الآية العظيمة..وسأل سائل لماذا لم يقل المولى عز وجل: زينة لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ؟ أجيب فأقول: إن القرآن الكريم مليء بالتعبيرات الدقيقة، فنجد أن دقة التعبير في القرآن تجعل كلمة "متاع" توضع في المكان المناسب لتعبر عن الفائدة الحقيقية للجبال. ولو أن الله سبحانه وتعالى استخدم كلمة "زينة"، لما تنبه لذلك معظم الناس، والحقيقة أن كلام الله سبحانه وتعالى يأتي بقدر المعنى تماماً، وفي غاية الدقة ليعبر عن الشئ تعبيراً كاملاً، فلا تجد كلمة مترادفة أو بلا معنى!! فنجد أن المولى عز وجل قد وصف فائدة الجبال بأنها تحقق المتاع لكل من الإنسان والأنعام على السواء، ولقد استخدم المولى عز وجل كلمة "متاع" في الآية القرآنية السابقة ولم يستخدم كلمة "زينة"، وذلك لأن لفظ المتاع أعم وأكثر منفعة من الزينة، والمتاع يشمل الجانب المادي والجانب المعنوي للإنسان والأنعام على السواء، فلا يمكن الاستغناء عن المتاع لأنه من الضروريات، بينما تعتبر الزينة من الكماليات.
هل تحقق الجبال الراسيات المتاع للإنسان؟؟

<u>أولا: معجزة إلقاء الجبال ومتاع الثروات المعدنية.</u>

لقد أشار المولى عز وجل عن عملية تكوين الجبال، والتي لم يكتشفها العلم إلا حديثاً، فلقد قال المولى في كتابه العزيز "والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي" وتشير الآية الكريمة بإعجاز علمي بالغ الدقة إلى أن عملية تكون الجبال على سطح الأرض حدثت بطريقة الإلقاء على الأرض، وهذا الإلقاء تم جيولوجيًا عبر العصور نتيجة حدوث البراكين وما يقذفه من باطن الأرض الملتهب من خروج للحمم والصهارة إلى الأعلى ثم عودتها لتستقر على سطح الأرض
. تحتوي السلاسل الجبلية المتنوعة على ثروات معدنية نفيسة (مايزيد عن ٢٠٠ معدن تقريباً). قد يوجد المعدن في صورة عنصرية وذلك مثل الذهب أوالكبريت أوالجرافيت أو قد يتكون نتيجة حدوث اتحاد كيميائى بين عنصرين أو أكثر لتكوين مركب كميائى ثابت.
مما سبق يتبين لنا أنه من تمام نعم الله على الإنسان أنه ألقى الجبال على ظهر الأرض ليحقق المتاع العظيم للإنسان حتى يستفيد وينقب عن الثروات

المعدنية النفيسة التي تخرج من باطن الأرض، والتي تشكل قاعدة التطور الصناعي والاقتصادي وأهمية استراتيجية لكل بلدان العالم. كما تستخدم الأحجار الجبلية في البناء والتشييد.

ثانياً: معجزة الجبال الرواسي ومتاع الإستقرار النفسي للإنسان

لقد أثبت العلم الحديث على وجه القطع أن للجبال جذوراً مغروسة في الأعماق. ولقد وصف القرآن الجبال بأن لها أوتاد فقال عز من قائل " **وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا** " (النبأ: ٧). مما يتفق تمامًا مع دور الجبال على حواف القارات (الألواح) في تثبيت الأرض وهي ضمان لثبات القشرة الأرضية ومنعها من أن تضطرب ويختل توازنها وكما قال تعالى في ذلك "وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ
وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ " (النحل:١٥).

أثبت العلم الحديث أنه إذا فحصنا طبقات الأرض من طبقة القشرة إلى النواة فإنه يزداد الوزن النوعي الكثافة للصخور تدريجياً حيث تزداد نسبة المركبات الحاوية على عنصر الحديد وأكاسيده المختلفة و ذلك مع اقترابنا من النواة

فالمرتفعات على سطح اليابسة لابد وأن يغلب على تكوينها صخور أقل كثافة من الصخور المحيطة بها، ومن ثم فلابد وأن يكون لها امتدادات من صخورها الخفيفة نسبياً في داخل الصخور الأعلى كثافة المحيطة بها.

ماذا يحدث عند وجود هزة أرضية في ثوان معدودات؟.

• وبالرغم من استقرار الجبال وتثبيتها للأرض إلا أن الله عز وجل قد جعل الهزات الأرضية لكي يبين للإنسان أنه مخلوق ضعيف يعيش في متاع سكون الأرض، وما كانت هذه الهزات إلا آيات من عند الله للتذكرة والتخويف، كما قال الله سبحانه : **(وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا)**، فإذا وقعت الزلازل إضطرب الإنسان وتأثرت نفسيته مدة طويلة وتذكر قدرة الله عليه.

إذا كانت زلزلة في ثوان معدودات عملت هذا العذاب والتوتر النفسي، فكيف بزلزلة يوم يجعل الولدان شيباً؟ ـ إنها زلزلة هائلة تخفض وترفع وترج الأرض رجاً وتبس الجبال بساً فتجعلها هباء منبثاً.

إنها زلزلة ضخمة قال تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ"** [الحج:١-٢].

الزلازل والحيوانات

إذا كان الإنسان يستمتع باستقرار الأرض وثباتها فكذلك الأنعام كلها، ولذلك ثبت علمياً أن بعض الحيوانات تفزع من الزلازل وتهرب قبل أن يبدأ الزلزال. ومن أبرز الظواهر العجيبة أن ما ينتاب الحيوانات من تصرفات غريبة قبل وقوع الزلازل جعل العلماء يجرون العديد من التجارب لمعرفة كيفية الاستعانة بهذه الحيوانات في رصد الزلازل، ويسوق العلماء المجربون حقائق عجيبة تؤكد قدرة بعض الحيوانات بفضل الله على التنبؤ بالزلازل بدرجة تفوق أداء أحدث الأجهزة المتخصصة في هذا المجال.

مما سبق يتبين أنه من نِعم الله تعالى على البشرية أن الله عز وجل قد ألقى الجبال الراسيات الشوامخ على القشرة الأرضية حتى يتحقق الاستقرار النفسي ولكي يستمتع الإنسان والأنعام على السواء بكل ما على ظهر الأرض حتى يعيش في آمن وآمان حتى يؤدي دوره المنوط إليه على أكمل وجه.

ثالثا: متاع البناء الآمن

عرف الإنسان منذ القدم وحتى يومنا هذا أن الجبال الراسيات تحقق له الآمن والآمان فالتف حولها يسكن عليها وعلى سفوحها لكي يشعر بالسكن والراحة. ومازالت الجبال وإلى قيام الساعة هي المصدر الرئيسي للصخور والأحجار والأسمنت وجميع لوازم مواد البناء حتى يستطيع الإنسان أن يبني المساكن والقصور والطرق والجسور والأنفاق والسدود وبيوت الأنعام المناسبة. قال تعالى "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا" [النحل:٨١].

تستخدم الصخور الجبلية تستخدم في أغراض صناعية هامة كما تستخدم في أغراض البناء والتشييد مثل الحجر الجيري والرملي والرخام، ولقد أشار المولى لأهمية الجبال في البناء والتعمير

قال تعالى: {وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ} سورة الشعراء الآية ١٤٩.

رابعاً: متاع الإنسان بألوان الجبال

قال تعالى"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ "(سورة فاطر: الآية ٢٧).

اكتشف العلماء أن للألوان تأثيراً بالغاً على صحة الإنسان النفسية وهي تعدل الطبع والمزاج، وتسمو بالروح وتغذي الأعصاب، وتفيد راحة الإحساس. وتأثير ألوان الجبال على حياة البشر لا يخفى على أحد، فهي ألوان تبعث الهدوء والراحة في النفس.

ولقد أشار المولى عز وجل إلى تعدد الألوان المركبة من اللونين الأبيض والأحمر فذكر عبارة "مختلف ألونها" بعد قوله تعالى "بيض وحمر".
والحقيقة إن تعدد ألوان الجبال ما بين الأبيض والأحمر والأسود والألوان المركبة منهم أو امتزاج أحدها بالآخر لجمالاً يبهر العين ويبعث السرور والراحة والطمأنينة.

خامسا: دور الجبال الرواسي في سقوط الأمطار

لم يكن أحد يعلم أهمية الجبال في عملية سقوط الأمطار إلا حديثاً، حيث تصطدم السحب في قمم الجبال الشوامخ فتسقط ماء نقيا فراتاً كما وضح ذلك المولى عز وجل " **وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَاءً فُرَاتاً** " (المرسلات: ٢٧)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (٤٣)

السحب المنخفضة [٢] :لا يزيد ارتفاعها على ٦٠٠متر فوق سطح الأرض، وتسمى (السحب الطبقية) أو (السحب البساطية)، وتقابل بالأجنبية (Stratiform Clouds)

تتكون عندما يرتفع بخار الماء المحمول من البحار إلى الجو بواسطة الرياح وعند اعتراض الجبال لهذه السحب يصعد الهواء الدافئ الرطب فوق منحدر الهضاب، أو على رؤوس الجبال، فيبرد الهواء بالتمدد، ويكون هذا سببًا في تكثُّف بخار الماء، فيبدأ المطر بالتساقط، ويهطل بغزارة حول الجبال وعليها.

سادسا: متاع الإنسان بالمنتجات الجبلية

١. الصيدلانية الجبلية المتكاملة

تحتضن الجبال مجموعات كبيرة من الإعشاب والنباتات الطبية ، ولم يتم حتى الآن إجراء مسح شامل للغطاء النباتي الموجود في مختلف المناطق الجلية في دول العالم ، ولقد قدرت بعض الأعشاب في بعض الدول بأكثر من ٦٠٠ نوع

. ولقد توصل العلماء إلى الأهمية القصوى للتداوى بالأعشاب والمنتجات النباتية الجبلية كصيدلانية متكاملة تحقق العلاج للإنسان من العديد من الأمراض وتجنبه الآثار السلبية من الإفراط في الأدوية المحضرة. ومازال العمل يحتاج إلى جهد كبير ودراسات عديدة لمعرفة الأنواع والجرعات المناسبة من هذه الأعشاب الجبلية اللازمة لعلاج الإنسان.

ولقد انتشرت خلال السنوات الأخيرة ظاهرة العلاج بالأعشاب والنباتات الطبية، ليس في مصر فقط بل وفى أمريكا وأوربا والصين واليابان وكثير من دول العالم. وإجمالا نستطيع أن نقول أن الأماكن الجبلية تحوي منتجات نباتية عظيمة القيمة الغذائية كما تمثل صيدلانية متكاملة ممتلئة بأجود أنواع الأعشاب الطبيعية التي تخرج من أحضان الطبيعة، والتي تستخدم في علاج الكثير من الأمراض.

الصيدليةالجبلية

الماء-الزيتون-التمر-العسل-اللوز-الخروع.-الكافور-اللافندر-اليانسون-جرجير-الحبة السوداء

السواك-عرق سوس-البصل-عنبر-زنجبيل-القرفه-المسك-القرنفل-العرعر-العسفر-الكمون

الزعفران-البابونج-الكرفس-الشيح-الكراويه-الحلبة-الزعتر-التين-الثوم

العسل الجبلي

"وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ، ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة النحل: ٦٨).

أهمية عسل النحل الجبلي للإنسان

قال تعالى **"وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ، ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "** (سورة النحل: ٦٨).

لقد ألهم الله عز وجل النحل لصنع بيوتهم من ثلاثة أمكنة على نفس ترتيب الآية: الجبال، والشجر ومما يعرشون. ولذلك نجد أن أكثر بيوت النحل في الجبال – وهي المتقدمة في الآية ثم الشجر - ثم فيما يعرش الناس ويبنون بيوتهم وذلك حتى يتيح للحشرة الصغيرة الاستفادة من البيئات المختلفة وإنتاج عسل مختلف اللون والتكوين فيه شفاء للناس. وكذلك نجد أن أرقى وأجود أنواع العسل هي عسل نحل الجبال لما يحوية من المعادن الجبلية الهامة مثل عنصر الحديد ثم عسل نحل الشجر ثم عسل نحل البيوت بالترتيب الذي أشار إليه المولى عز وجل.

٣. المنتجات الجبلية الحيوانية ومنها الإبل الجبلي

لقد أصبح مؤخراً حليب الإبل الجبلية التي ترعى على المراعي الطبيعية في الجبال محط أنظار العالم، بعد أن أقرت منظمة الأغذية والزراعة التابعة

للأمم المتحدة (الفاو) أنه غذاء صالح لكل العالم. وهذا إعجاز علمي وضحته سنة المصطفي صلى الله علية وسلم: فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا اجْتَوَوْا فِي الْمَدِينَةِ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَلْحَقُوا بِرَاعِيهِ يَعْنِي الإِبِلَ فَيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا فَلَحِقُوا بِرَاعِيهِ فَشَرِبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا حَتَّى صَلَحَتْ أَبْدَانُهُمْ ..." رواه البخاري. ومازال هذا الموضوع يحتاج إلى مزيد من الدراسات.

<u>سابعا: تكوين التربة الزراعية من الجبال</u>

التربة: في علم التربة (البيدولوجي = Pedology)، يطلق مصطلح تربة (Soil)، على الطبقة السطحية الهشة التي تغطي صخور القشرة الأرضية، وهي ناتجة عن تأثير عوامل التجوية الفيزيائية والكيميائية والحيوية التي تسبب تفتت الصخور، وتحللها، لكي تتمكن عمليات النقل بعد ذلك من حملها ونقلها إلى مقرها الأخير مما يؤدي إلى تكوين التربه.

يقول ربنا (تبارك وتعالى) **فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ، أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا، ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا، فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا، وَعِنَبًا وَقَضْبًا، وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا، وَحَدَائِقَ غُلْبًا، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا، مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ«** [سورة عبس: ٢٤-٣٢].

من الدلالات العلمية لمتاع الجبال للإنسان

<u>ثامناً: الاستخدام الطبي لبعض الصخور والمعادن</u>

تستخدم الأحجار الطبيعية في حفظ صحة العين، وتقويتها للرجل والمرأة، والصغير والكبير، وذلك بعمل الكحل العربي الذي يستخرج من حجر الإِثْمِدَ والمعروف علمياً بإسم الأنتيمون (Antimony)، وهذا الحجر من أفضل أنواع الكحل المكي، و قد أتى العلم الحديث ليؤكد فوائد استخدامه، ومن الإعجاز النبوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى الأمة الإسلامية هذا الحجر: فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إنّ مِنْ خَيْرِ أَكْحَالِكُمُ الإِثْمِدَ إِنّهُ يَجْلُو الْبَصَرَ وَيُنْبِتُ الشّعَرَ" [رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة والإمام أحمد وقال الترمذي: حديث حسن].

العلاج بمعادن التربة

• و لقد أشارات بعض الدراسات العلمية بأن التربة تحتوي على كمية كبيرة من المضادات الحيوية، وتستخدم لعلاج بعض الأمراض الجلدية وشد البشرة وتنعيمها وعلاج ألام المفاصل والروماتيزم. وهذا إعجاز علمي في السنة النبوية الشريفة: فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول للمريض: "باسم الله تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفى

سقيمنا، بإذن ربنا" [رواه البخاري]. وهذا الموضوع مازال يحتاج إلى دراسة تفصيلية.
الاستمتاع بالتربة الجبلية في منطقة سفاجة- بمصر- للعلاج من الآلام الروماتيزمية والجلدية.

تاسعا: الإستشفاء الطبيعي في الأماكن الجبلية

أما الاستشفاء الطبيعي: فالعيون والينابيع المنبثقة من أماكن عديدة في العالم مثل الينابيع الكبريتية والعيون الساخنة وغيرها تستخدم في علاج المصابين بالأمراض الجلدية، وأمراض الدورة الدموية، وآلام العظام والمفاصل والظهر والعضلات والصدفية، مما يحقق متاع الإنسان بصحته عند الشفاء.

اهتمام العالم بالجبال

- اتجهت أنظار العالم في عام ٢٠٠٢ إلى حماية الجبال حتى أن الأمم المتحدة أعلنت عام ٢٠٠٢ ''عاماً دولياً للجبال''. كما اتجهوا إلى تسليط الضوء على أهمية الجبال كمصدر غني بالحياة النباتية والحيوانية إضافة إلى كونها مصدراً لما يزيد على نصف احتياجات العالم من المياه النقية.

كما أصدر كلا من المركز العالمي لمراقبة الحفاظ على الطبيعة وبرنامج البيئة التابع للأمم المتحدة تقريراً مشتركاً يحمل اسم "مراقبة الجبال" ويؤكد أن الجبال والمجتمعات التي تعيش عليها تواجه مخاطر بيئية وديموغرافية واقتصادية.

وجه الإعجاز

تناول هذا البحث رؤية علمية جديدة لتوضيح الإعجاز العلمي في قوله تعالى **"وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا، مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ"** [النازعات:٣٢-٣٣]. حيث تشير هذه الآية بإعجاز علمي بالغ الدقة، عن العلاقة الوطيدة بين الجبال الراسيات في قوله تعالى **"وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا"** وبين متاع الإنسان والأنعام على السواء وذلك في قوله**" مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ** ".

كما يشير هذا البحث إلى ضرورة تضافر الجهود العلمية في الاهتمام بالمنتجات والأماكن الجبلية كطب بديل لعلاج الكثير من الأمراض.

لقد أدرك العالم أهمية الجبال من أجل حمايتها لكي يتمتع الإنسان بها، ولقد أعلنت الأمم المتحدة عام "٢٠٠٢م"عاماً دولياً لحماية الجبال. لذا كان السبق لكتاب الله بإقرار حقيقة أهميه الجبال من أجل متاع الإنسان منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، حيث قال عز من قائل ''والجبال أرساها متاعا لكم ولإنعامكم''. والحقيقة أنه لا يمكن لعاقل أن يتصور مصدرا لتلك الإشارة القرآنية الباهرة غير الله الخالق .

ـ دلالة ذكر (الجبال) مع السموات والأرض في آية الأمانة في سورة الأحزاب مع أن الجبال من الأرض

قال تعالى في أواخر سورة الأحزاب **(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً {٧٢})**،

من حيث الحكم النحوي هذا ما يُسمّى عطف الخاص على العام كما في قوله تعالى (حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ {٢٣٨} سورة البقرة) والصلاة الوسطى مشمولة في الصلوات لكن لأهميتها وعظمة شأنها ذكرت وحدها،

وقوله تعالى (مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ {٩٨} سورة البقرة) وجبريل من الملائكة وذكره يفيد رفعة منزلته عند الله،

وكذلك قوله تعالى (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ {٦٨} سورة الرحمن) والنخل والرمان من الفاكهة وهي فاكهة أهل الجنة.

فمن حيث التكييف اللغوي جائز لكن لماذا يؤتى بها؟

١-ذكر تعالى (الجبال) لأنه أعظم مخلوقات الأرض هذا أمر .

٢-والأمر الآخر : أن الأمانة ثقيلة وذكر الجبال مناسب للأمانة.

٣- ثم من قال أن الأرض خاصة بالجبال فقط فكل الأجرام فيها جبال

٤-والأمر الآخر أن الجبال هي رواسي الأرض (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ {١٠}سورة لقمان)

فوظيفة الجبال أن تثبّت الأرض كيلا تميد وكذلك المؤمنون (يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ {٢٧} سورة إبراهيم)

٥-تزول الجبال ولا تزول الأمانة لأنه في الآخرة تثبت المؤمنين على الصراط فهي أرسى من الجبال.

قوله سبحانه : **{ وَيُنَزِّلُ مِنَ السماء مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ }**

١-أن في السماء جبالاً من برد خلقها الله تعالى كذلك ، ثم ينزل منها ما شاء وهذا القول عليه أكثر المفسرين

٢- أن السماء هو الغيم المرتفع على رؤوس الناس سمي بذلك لسموه وارتفاعه ، وأنه تعالى أنزل من هذا الغيم الذي هو سماء البرد وأراد بقوله { مِن جِبَالٍ } السحاب العظام لأنها إذا عظمت أشبهت الجبال ، كما يقال

فلان يملك جبالاً من مال ووصفت بذلك توسعاً وذهبوا إلى أن البرد ماء جامد خلقه الله تعالى في السحاب ، ثم أنزله إلى الأرض ،
٣-وقال بعضهم إنما سمى الله ذلك الغيم جبالاً ، لأنه سبحانه خلقها من البرد ، وكل جسم شديد متحجر فهو من الجبال ، ومنه قوله تعالى :
{ واتقوا الذي خَلَقَكُمْ والجبلة الأولين } [الشعراء : ١٨٤] ومنه فلان مجبول على كذا

الماء

(وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) [الفرقان: ٤٨]

(وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ)[الأنفال: ١١]

(وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) فاطر: ١٢.

الاعجاز العلمي للماء في القران الكريم

الماء الطهور والماء الفرات والماء الأجاج

بقلم المهندس عبد الدائم الكحيل

في هذا المقال سوف نرى بأن القرآن يتحدث أنواع المياه بدقة فائقة ويصنفها بما يتناسب مع درجة نقاوتها. فالقرآن يسمي الماء المقطر وهو ماء المطر بالماء الطهور ويسمي الماء العذب الذي نشربه من الأنهار والآبار بالماء الفرات ويسمي ماء البحر الذي يحتوي على نسبة عالية من الملوحة بالماء الأجاج، وقد ثبُت علمياً الفوارق الكبيرة بين هذه الأنواع.

ونود أن نشير إلى أن قطرة الماء الواحدة تحوي خمسة آلاف مليون جزيء ماء!!! فكم تحوي بحار الدنيا؟

القرآن يتحدث عن الماء المقطر

يقول سبحانه وتعالى في محكم الذكر: **وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا)**[الفرقان: ٤٨].فقد تأملتُ هذه الآية طويلاً ووجدتها تتحدث بدقة عن مواصفات ما يسميه العلماء بالماء المقطر. فقد اكتشف العلماء أن الماء الذي نشربه يحتوي على الكثير من المواد والأحياء.فكأس الماء الذي نظنه نقياً فيه ملايين الأحياء الدقيقة مثل البكتريا والفيروسات، وفيه مواد معدنية مثل الحديد والنحاس والألمنيوم والصوديوم والمغنزيوم والكالسيوم، وفيه أيضاً مواد عضوية مثل الكربون والتراب وغير ذلك...وكل هذا موجود فيما نسميه ماء نقياً [١!]

لقد اكتشف العلماء أيضاً أن هذا الماء يمكن تنقيته بتسخينه حتى درجة الغليان أي ١٠٠ درجة مئوية، ثم جمع البخار وتكثيفه وتبريده، والحصول على الماء المقطر الذي يكون نقياً لدرجة كبيرة.ويقولون أيضاً إن أفضل أنواع الماء المقطر هو ماء المطر، ولكن قبل سقوطه على الأرض وتلوثه بالملوثات الموجودة في الهواء.

لقد أفرزت حضارة هذا العصر الكثير من التلوث، حتى إن سقوط المطر ينظف الجو لأن ماء المطر وهو ماء مقطَّر يتميز بشراهته لامتصاص

المواد، فيمتص من الجو غاز الكبريت وغيره من المواد والمعادن مثل الرصاص السام، وهكذا يكون طعم ماء المطر حامضياً. مع العلم أنه في الماضي كان ماء المطر نقياً لأن الجو لم يكن قد تلوث.
عندما ينزل ماء المطر على الأرض يتسرب عبر التربة وبين الصخور ويسلك مسارات معقدة جداً، وخلال رحلته يمتزج ببعض المعادن والأملاح الموجودة في الصخور، ويأخذ طعماً قلوياً شيئاً ما. ولذلك نجد أن طعم الماء المقطر غير مستساغ لأنه عديم الطعم، بينما طعم ماء الينابيع يكون مستساغاً.
يصرح العلماء اليوم أن ماء المطر هو ماء مقطر، هذا الماء النقي له خصائص مطهرة وهو مزيل ممتاز للأوساخ ويستطيع تطهير وتعقيم أي شيء

مواصفات ماء المطر

١-يعتبر ماء المطر ماء مقطراً مئة بالمئة فهو ناتج عن تبخر الماء من البحار وتكثفه على شكل غيوم ثم ينزل مطراً. لذلك هو ماء نقي تماماً.
٢- ماء المطر يستطيع نزع الأوساخ من على جلد الإنسان أكثر من الماء العادي، لذلك يعتبر هذا الماء مادة معقمة ومطهرة تستخدم في الطب.
وهو خالٍ من الفيروسات والبكتريا، ٣-
٤-وهو أيضاً ماء يمتلك خاصية امتصاص المعادن والغازات والغبار وأي مادة تصادفه بنسبة كبيرة، لذلك هو مادة مطهرة للجوّ أيضاً!
(وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا)[الفرقان: ٤٨].فكلمة (طَهَرَ) في اللغة تعني إزالة الأوساخ والنجاسات والتنزه عنها
٥- أنه ماء يستطيع أن يجدد الخلايا في الجسم بشكل أكبر من الماء العادي.
٦- أما علماء الطاقة فيؤكدون أن ماء المطر يمتلك كمية أكبر من الطاقة، وهذا ما ينعكس إيجابياً على الحالة النفسية للإنسان

وليس غريباً أن نجد القرآن يحدثنا عن هذه الخصائص بشكل واضح في قوله تعالى: **(وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ)**[الأنفال: ١١].هذه الآية تتحدث عن ماء المطر من خلال قوله تعالى: (مِنَ السَّمَاءِ مَاءً)وتحدثنا عن خاصية التطهير الموجودة في هذا الماء في قوله عز وجل: (لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ)وتحدثنا عن خاصية الطاقة التي يمتلكها هذا الماء وتؤثر على الإنسان في إعطائه الدفع والقوة لتثبت قدماه عند لقاء العدو، أي الحديث هنا عن

الطاقة التي يستطيع الإنسان بواسطتها المواجهة أكثر، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾.

الماء الفرات

بينما نجد القرآن يفرق بين كلمة (طَهوراً) وكلمة (فُراتاً) في آياته. يقول تعالى: **﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾**[المرسلات: ٢٧]. فالماء الذي نشربه من الأنهار والينابيع والآبار ماء عذب ومستساغ المذاق لأنه يحوي كمية من المعادن مثل الحديد الذي يجعل طعم الماء حلواً. وهذا يناسبه كلمة (فُراتاً)، و(الماء الفرات) في اللغة هو الماء المستساغ المذاق كما في المعاجم اللغوية. بينما الماء النازل من السماء هو ماء مقطر يمتلك خصائص التعقيم والتطهير وليس له طعم! لذلك وصفه البيان الإلهي بكلمة طَهوراً.

فالماء عندما ينزل من السماء يكون طهوراً ثم يمتزج بالمعادن والأملاح في الأرض ليصبح فراتاً. وحتى عندما يتحدث القرآن عن مياه الأنهار نجده يستخدم كلمة (فراتاً) ولا يستخدم كلمة (طَهوراً) لأن ماء النهر العذب يحتوي على كثير من المعادن المحلولة فيه، يقول تعالى **﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾** فاطر: ١٢.

الماء الأجاج

لقد استوقفني قوله تعالى: **﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾** [فاطر:١٢]. وتساءلتُ: لماذا أعطى الله تعالى لكل نوع من هذين النوعين صفتين عَذْبٌ فُرَاتٌ) – (مِلْحٌ أُجَاجٌ). فنحن نعلم بأن ماء النهر (عذب)، فلماذا أضاف الله صفة ثانية وهي (فرات)؟ وكذلك ماء البحر (ملح) فلماذا أضاف الله له صفة ثانية وهي (أجاج)؟ وفي الوقت نفسه وصف الله تعالى ماء المطر بصفة واحدة فقط وهي (طهوراً)، فهل هنالك تكرار في القرآن أم إعجاز؟

لقد لقد وجدتُ بأن علماء المياه عندما يتعاملون مع الماء لا يكتفون بإطلاق صفة العذوبة أو الملوحة على الماء. فكل المياه التي نراها على الأرض سواء في الأنهار أو البحيرات أو مياه الآبار جميعها تحوي أملاحاً بنسبة لا نكاد نشعر بها، ولكنها لا تغيب عن الله تعالى وهو خالقها!

لذلك جاء البيان الإلهي بصفة ثانية وهي (فرات) أي مستساغ المذاق بسبب انحلال بعض المعادن والغازات فيه والتي تعطي الماء طعمه المعروف.

وبالمقابل نجد أن صفة (ملح) لا تكفي لوصف ماء البحر بشكل دقيق فأتبعها الله تعالى بصفة ثانية وهي (أجاج) أي زائد عن الحد، وهذه الكلمة من فعل (تأجّج) أي زاد وبالغ كما في معاجم اللغة العربية. ولكن هل تكفي صفة

واحدة وهي (طهوراً) لوصف ماء المطر؟ نعم لأن ماء المطر كما رأينا هو ماء نقي ومقطر ولا طعم له أو رائحة، ولذلك تكفيه صفة واحدة.
ماء البحر هو الماء الأجاج، وفي اللغة الفعل (أَجَجَ) يعني زاد عن الحدّ، وهذا ما نجده في مياه البحر التي تحتوي على درجة ملوحة زائدة. وصف الله تعالى ماء البحر بأنه (ملح أجاج)، لأن كلمة (ملح) لوحدها لا تكفي، فالمياه العذبة تحوي على نسبة من الملوحة، ولكننا لا نحس بها!

وجه الإعجاز

ويتجلى وجه الإعجاز في أن القرآن يستخدم كلمة (طَهوراً) مع الماء النازل من السماء لأنه ماء نقيّ، وهو ما يسميه العلماء بالماء المقطر ويعدّونه مادة مطهرة. بينما كلمة (فراتاً)لا يستخدمها الله تعالى مع ماء السماء أبداً، بل مع الماء الذي نشربه.لأن ماء الأنهار ليس نقياً مئة بالمئة، بل هنالك بعض الأملاح والمعادن المنحلة فيه والتي تعطيه طعماً مستساغاً
ولو تأملنا حديث القرآن عن ماء البحر نجد كلمة (أجاج) للدلالة على الملوحة الزائدة فيه

<u>خواص الماء</u>

الماء تابعا لعلم الكيمياء ، و" الماء " يعتبر تابعا لعلم الفيزياء -أما علماء الحياة " البيولوجية " فالماء عندهم ركيزة كبرى في حياة الكائنات الحية وعليه تتوقف جميع العمليات الحيوية فيها، وعلماء الجغرافيا تقوم دراستهم على أن " ٧٥ % " من سطح الأرض مغطى بالماء.

<u>أهم الخواص العلمية الفريدة للماء سائل الحياة الفريدة.</u>

الماء عديم اللون والطعم والرائحة:
فقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يجعل سائل الحياة مقبولا من جميع مخلوقاته على الأرض لونا وطعما ورائحة ، ومن علامات فساد الماء وتلوثه تغير اللون أو الطعم أو الرائحة أو جميعهم.
فلو كان الماء أحمر اللون لكرهه كثير من الناس . كما أن بعض الناس يكره اللون الأصفر ، وبعض الناس يكره اللون الأزرق حتى أن بعض الأطفال يكرهون اللون الابيض
عن الرائحة والطعم فكم من يكره رائحة بعض العطور الغالية الثمن ويغمى عليه اذا شمها لمدة طويلة ، وكذلك كثير من الناس يكره طعم الأدوية وبعض الأطعمة.
اذا سائل الحياة الوحيد من الحكمة وكمال الخلقة لابد أن يكون عديم اللون ، عديم الطعم ، عديم الرائحة حتى يكون مقبولا من الجميع

١- للماء نشاط كبير فى اذابة كثير من المواد:
يذيب الماء العديد من المواد أكثر من أى سائل آخر ، ويرجع هذا الى مقدرة الماء العالية فى فصل الجزيئات المتأينة وغير المتأينة بعيدا عن بعضها البعض.
٢- للماء حرارة نوعية عالية عن كثير من السوائل ، وله حرارة تبخر ، وحرارة كامنة عاليتان بصورة غير عادية ، وتساعد هاتان الخاصيتان على بقاء الماء بصورته السائلة فى درجات حرارة مختلفة ، تجعله صالحا لحياة الكائنات الحية فى درجات حرارة عالية أو منخفضة نسبيا.
٣-- معظم المواد أعلى كثافة لها تكون فى درجة التجمد ، ولكن يشذ الماء حيث له أعلى كثافة عند درجة ٤س وهذة الخاصية مهمة للأحياء المائية البحرية ، حيث يطفو الجليد على سطح الماء ، وبذلك يعمل عازلا لما تحته ، ويمنع الماء السفلى من التجمد وهذا يحمى الكائنات البحرية من الهلاك والتجمد
٤- الماء شفاف قابل لنفاذية الموجات الضوئية المرئية وبذلك يصل الضوء الى أعماق كبيرة فى البحار ، والى داخل أوراق النباتات الأرضية فتتم عملية البناء الضوئى فيها.
٥- للماء قدرة تلاصق كبيرة مع كل من جزئيات النشا والسليلوز والبروتين ، بحيث اذا تلامس الماء مع أى منهم تلاصقا بشدة مع بعضهما البعض ، مما يؤدى الى بلل تلك المواد ، وهذة الخاصية مهمة للكائنات الحية ، ولاتمام العملية الحيوية بها وصعود الماء فى النبات.

الإعجاز العلمي في البحر المسجور

قال تعالى : { **وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ *وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ**}... سورة الطور الآيات من ١ – ٦.
(سجر التنور) في اللغة: أي أوقد عليه حتى أحماه، كيف يكون البحر مسجوراً والماء والحرارة من الأضداد.
حتى أكتشف حديثاً أن الأرض التي نحيا عليها لها غلاف صخري خارجي هذا الغلاف ممزق بشبكة هائلة هائلة من الصدوع تمتد لمئات من الكيلومترات طولاً وعرضاً بعمق يتراوح ما بين ٦٥ و ١٥٠كيلومتر طولاً وعرضاً ومنالغريب أن هذه الصدوع مرتبطة ببعضها البعض ارتباطاً يجعلها كأنها صدع واحد ويقسم الله سبحانه وتعالى في آية أخرى {وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ }.. سورة الطارق الآية ١٢.

وفي هذه الآية إعجاز واضح فالله يقسم بصدع واحد الذي هو عبارة عن اتصال مجموع الصدوع، يشبهه العلماء باللحام على كرة التنس، وقد جعلت هذه الصدوع في قيعان المحيطات وهذه الصدوع يندفع منها الصهارة الصخرية ذات الدرجات العالية التي تسجر البحر فلا الماء على كثرته يستطيع أن يطفئ جذوة هذه الحرارة الملتهبة ولا هذه الصهارة على ارتفاع درجة حرارتها (أكثر من ألف درجة مئوية) قادرة أن تبخر هذا الماء، وهذه الظاهرة من أكثر ظواهر الأرض إبهاراً للعلماء

وقد قام العالمان الروسيان (أناتول سجابفتيش) عالم جيولوجيا، و(يوري بجدانوف) عالم أحياء وجيولوجيا وبالاشتراك مع العالم الأمريكي المعروف (رونا كلنت) بالغوص قرب أحد أهم الصدوع في العالم...

فقد غاصوا جميعاً وهم على متن الغواصة الحديثة ميرا ووصلوا إلى نقطة الهدف على بعد ١٧٥٠كم من شاطئ ميامي وغاصوا على بعد ميلين من السطح حيث وصلوا إلى الحمم المائية التي لم يكن يفصلهم عنها سوى كوة من الأكرليك وكانت الحرارة ٢٣١م وذلك في وادٍ على حافة جرف صخري وكانت تتفجر من تحتهم الينابيع الملتهبة حيث توجد الشروخ الأرضية في قاع المحيط وقد لا حظوا أن المياه العلوية السطحية الباردة تندفع نحو الأسفل بعمق ميل واحد فتقترب من الحمم البركانية الملتهبة والمنصهرة فتسخن ثم تتدفع محملة بالقاذوراة والمعادن الملتهبة، ولقد تأكد العلماء أن هذه الظاهرة في كل البحار والمحيطات تكثر في مكان وتقل في مكان آخر.

وإن البراكين في قيعان المحيطات أكثر عدداً، وأعنف نشاطاً من البراكين على سطح اليابسة، وهي تمد على طول قيعان المحيطات.

والمبهر في هذه الصياغة المعجزة { وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ} أنه نظراً لعدم وجود الأوكسجين في قاع البحر لا يمكن للحمم البركانية المندفعة عبر صدوع قاع المحيط أن تكون مشبعة على طول خط الصدع، ولكنها عادة ما تكون داكنة السواد، شديدة الحرارة، ودون اشتعال مباشر، تشبه صاجة قاع الفرن البلدي إذا أحمي أسفل منها بأي وقود فإنها تسخن سخونة عالية تمكن من خبز العجين عليها، وهذا القصد اللغوي تماماً للفظ المسجور ولا يوجد كلمة ممكن أن تحل محلها وتدل على المعنى بدقة فتأمل عظمة هذا الإبداع الرباني

<u>تفسير آية</u>

قوله تعالى:**{ وجعلنا من الماء كل شيء حي }**الانبياء٣٠

أي: أوجدنا من الماء كل شيء حيٍّ، وكوَّناه بقدرتنا.. وإنما قال تعالى:{ وجعلنا }، ولم يقل:{ خلقنا }؛ لأن(جعل) لفظ عام في الأفعال. ولمَّا كان قوله تعالى:{ كل شيء حي } مرادًا به عموم المخلوقات، ناسب التعبير عنه بفعل يدلُّ على العموم.

وقال تعالى- هنا:{ من الماء }، وقال في النور:**{ والله خلق كل دابة من ماء }** [النور:٤٥]، فعرف الماء في الأول، ونكّره في الثاني.. أما تعريفه في الأول فلأن المعنى: أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس، الذي هو الماء. فذكِر الماءُ- هنا- معرَّفًا بأل الجنسية؛ ليشمل أجناس المخلوقات المختلفة الأنواع. وأما تنكيره في الثاني فلأن المعنى: أن الله سبحانه خلق كل دابة من نوع مخصوص من الماء؛ وهو النطفة، ثم خالف بين المخلوقات، بحسب اختلاف نطفها: فمنها هوامٌ، ومنها ناسٌ، ومنها بهائمٌ

وتحرير الفرق بين القولين: أن الغرض من الأول إظهار الآية بأن أشياء متفقة في جنس الحياة، قد تكونت بالقدرة من جنس الماء المختلف الأنواع. وأن الغرض من الثاني إظهار الآية بأن شيئًا واحدًا، قد تكونت منه بالقدرة أشياء مختلفة.

بقي أن تعلم أن قوله تعالى:{ وجعلنا من الماء كل شيء حي } من أبلغ ما جاء في القرآن الكريم، في تقرير هذه الحقيقة، التي أدرك العلماء أخيرًا سرّها.. فمعظم العمليات الكيماوية اللازمة للحياة والنمو، تحتاج إلى الماء؛ وهو العنصر الأساسي لاستمرار الحياة لجميع الكائنات والنباتات. والماء يغطي نحو ثلاثة أرباع سطح الأرض، وله درجة ذوبان مرتفعة، ويبقى سائلاً فترة طويلة من الزمن، وله حرارة تصعيد بالغة الارتفاع ، وهو بذلك يساعد على بقاء درجة الحرارة فوق سطح الأرض عند معدل ثابت، ويصونها من التقلبات العنيفة.. ولولا كل ذلك لتضاءلت صلاحية الأرض للحياة إلى حد كبير.

وللماء خواص أخرى، تدل على أن مبدع الكون، قد صمَّمه بما يحقق صالح مخلوقاته. فالماء هو المادة الوحيدة، التي تقل كثافتها، ويزيد حجمها عندما تتجمد.. ولهذه الخاصية أهميتها الكبيرة بالنسبة لحياة الأحياء المائية؛ إذ بسببها يطفو الجليد على سطح الماء عندما يشتد البرد، وهو بطبيعة الحال الطبقة العليا، التي تتفاعل مع برودة الجو. وبهذا الشكل فإن الجليد يطفو على سطح المياه، بدلاً من أن يغوص إلى قاع المحيطات والبحيرات والأنهار. ويكوِّن الثلج طبقة عازلة، تحفظ الماء الذي تحتها في درجة حرارة فوق درجة التجمد. والماء يمتص كميات كبيرة من

الأوكسجين، عندما تكون درجة حرارته منخفضة، وعندما يتجمّد الماء، تنطلق منه كميات كبيرة من الحرارة، تساعد على صِيانة حياة الأحياء التي تعيش في البحار من أسماك، وغيرها٠٠ فما أعجبَ حكمة القرآن الكريم، الذي يبين بكلمات قليلة سرَّ الحياة على هذه الأرض!

بقي أن تعلم أن قوله تعالى:{ وجعلنا من الماء كل شيء حي } من أبلغ ما جاء في القرآن الكريم، في تقرير هذه الحقيقة، التي أدرك العلماء أخيرًا سرّها٠٠ فمعظم العمليات الكيماوية اللازمة للحياة والنمو، تحتاج إلى الماء؛ وهو العنصر الأساسي لاستمرار الحياة لجميع الكائنات والنباتات٠ والماء يغطي نحو ثلاثة أرباع سطح الأرض، وله درجة ذوبان مرتفعة، ويبقى سائلاً فترة طويلة من الزمن، وله حرارة تصعيد بالغة الارتفاع ، وهو بذلك يساعد على بقاء درجة الحرارة فوق سطح الأرض عند معدل ثابت، ويصونها من التقلبات العنيفة٠٠ ولولا كل ذلك لتضاءلت صلاحية الأرض للحياة إلى حد كبير٠

وللماء خواص أخرى، تدل على أن مبدع الكون، قد صمَّمه بما يحقق صالح مخلوقاته٠ فالماء هو المادة الوحيدة، التي تقل كثافتها، ويزيد حجمها عندما تتجمد٠٠ ولهذه الخاصية أهميتها الكبيرة بالنسبة لحياة الأحياء المائية؛ إذ بسببها يطفو الجليد على سطح الماء عندما يشتد البرد، وهو بطبيعة الحال الطبقة العليا، التي تتفاعل مع برودة الجو٠ وبهذا الشكل فإن الجليد يطفو على سطح المياه، بدلاً من أن يغوص إلى قاع المحيطات والبحيرات والأنهار٠ ويكوِّن الثلج طبقة عازلة، تحفظ الماء الذي تحتها في درجة حرارة فوق درجة التجمد٠ والماء يمتص كميات كبيرة من
الأوكسجين، عندما تكون درجة حرارته منخفضة، وعندما يتجمّد الماء، تنطلق منه كميات كبيرة من الحرارة، تساعد على صِيانة حياة الأحياء التي تعيش في البحار من أسماك، وغيرها٠٠ فما أعجبَ حكمة القرآن الكريم، الذي يبين بكلمات قليلة سرَّ الحياة على هذه الأرض!

السماء

أيهما أسبق في الخلق السماء أو الأرض؟

قال تعالىأَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا (٣٠) الأنبياء) كانت مع بعض
أطوار الخلق التي تأتي بعد الخلق تختلف أما الخلق فمع بعض بدليل الآية فهي مخلوقة معاً لكن أطوار بعد الفتق
الأرض أخرج ماءها ومرعاها والجبال أرساها هذه أطوار وهي أمور أخرى
وهكذا السماء بعد الفتق جعل فيها شموساً وكواكب وجعلها سبعاً

أما الخلق ففي وقت واحد كما في الآية ليست إحداهما أقدم من الأخرى لكن قد تكون هناك حالة في الأرض متقدمة أو متأخرة.
(والأرض بعد ذلك دحاها) لم يقل خلقها وإنما دحاها أي بسطها كانت مع السماء ثم فتقها وبسطها أو جعلها كرة على رأي من يقول أن الدحي هي بيضة النعام

ما الفرق بين السماء والسموات؟

إذا عرفنا الفرق نفهم التشبيه لِماذا حصل.
السماء في القرآن وفي اللغة إما أن يكون واحدة السموات السبع (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ (٥) الملك) السموات السبع كل واحدة منها تسمى سماء السماء الأولى إلى السابعة.
والسماء قد يقال لكل ما علاك، كل ما علا الإنسان فهو سماء لا يشترط أن يظلّك
والأوسع هي السماء لأن السموات ستكون قسماً من السماء
١- فالسحاب يسمى سماء (وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء (٢٢) البقرة)
السحاب قال الله (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاء (٤٨) الروم).
٢- الجو (أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء (٧٩) النحل)
٣- السقف سماء بنصّ القرآن (فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاء ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (١٥) الحج) إلى سقف بيته (السبب هو الحبل) من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليخنق نفسه فالسقف سماء.
٤- الفضاء (كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء (١٢٥) الأنعام)
٥- المطر : " ينزل السماء عليكم مدرارا" نوح

كلمة (السماء) تأتي عامة "والسماء بنيناها بأيد" ، "وفي السماء رزقكم وما توعدون" ، "أأمنتم من في السماء.." ثم تتسع لأشياء أخرى، فعندما يقول: "سبع سموات طباقا" فهي ليست الفضاء ولا السقف ولا السحاب، فعندما اتسعت قال (كعرض السماء)

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ" - الحجر:١٥
فالإنسان إذا خرج من جو الأرض انتقل إلى ظلام فلا يبصر، وبهذا تكون السموات جزءا من السماء
(وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٧٥) النمل)

(قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤) الأنبياء)
لكن قال (قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ (٦) الفرقان)
لأن القول فيه سرٌ وعلن يعني قلت في نفسي يصير سراً فالقول أوسع من السرّ
فلما قال يعلم القول قال في السماء لأنها أوسع لما قال السر وهو جزء قال السموات.

لماذا جمع السماوات وأفرد الأرض؟ الجواب:

١- وإنما جمع السماوات وأفرد الأرض للانتفاع بجميع أجزاء الأولى باعتبار ما فيها من نور كواكبها وغيره
دون الثانية(الارض) فإنه إنما ينتفع بواحدة من آحادها وهي ما نشاهده منها
٢-وقال أبو حيان: لم تجمع الأرض لأن جمعها ثقيل وهو مخالف للقياس، ورب مفرد لم يقع في القرآن جمعه لثقله وخفة المفرد، وجمع لم يقع مفرده كالألباب
٣-جمع السماوات لأنها طبقات مميزه كل واحدة من الأخرى بذاتها الشخصية كما يدل عليه قوله تعالى} **:فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سموات**] {البقرة ٩]
كل سماءين مسيرة خمسمائة عام مختلفة الحقيقة (قوله تعالى) :وأوحى في كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا] {فصلت: ٢ ١] يدل عليه،
ولم يجمع الأرض لأن طبقاتها ليست متصفة بجميع ذلك

لماذا لا نميز السماوات عن بعضها ؟

لأن إحكام خلق الله للسماوات اخفى كل تفاوت يمكن بواسطته تمييز كل سماء عن الأخرى فلما امرنا الله جلت قدرته بالنظر والتفكر اتى بالسماوات بصيغة الجمع ، ونفى جلت قدرته وجود التفاوت الذي يميز كل سماء عما فوقها فقال جلت قدرته
الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣)ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤)وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥)الملك
وبالتالي فلن تجد من يتمكن من تحديد الفاصل بين كل سماء
لكننا نستطيع ان نميز بعض معالم السماء الأولى فنقول إن ما نراه من كواكب ونجوم والتي تبعد عنا ملايين السنين الضوئية لاتزال في السماء الأولى فالله جلت قدرته يقول(إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ) الصافات٦

فالكواكب التي نراها ضمن السماء الأولى او الدنيا اي ادنى السماوات الينا ويقول تعالى : **فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢)فصلت**

وبالتالي نعم نحن ننظر الى السماوات ولكننا لا نستطيع تمييز منتهى كل سماء

٤-هناك رأى يقول أن السموات هى طبقات الغلاف الجوى .. وذلك بناءا على الآيات التى تقول أن القمر فيهن نورا والشمس سراجا ، وكذلك بناءا على قرينة انزال الماء من السحاب وقد قال القرآن أنه ينزل من السماء والسموات العلى أمر آخر .. فهن أيضا سبعة ، وأدناهم هى السماء الدنيا أيضا تدل على ذلك إذ أن السموات التى يرجع فيها البصر هى الغلاف الجوى للأرض فى حال وجود ضوء الشمس ،

أما فى غياب ضوء الشمس فالمنظور شيء آخر .. السموات العلى ، ولا نرى منها إلا السماء الدنيا وقد زُينت بمصابيح

<u>الإعجاز القرآني فيما ورد عن خلق الغلاف الجوي للأرض (سماوات الأرض)</u>

الفيصل هو كلام العلي القدير اذ اخبرنا بأن السماء الدنيا مزينة بالكواكب فيقول جلت قدرته (ولقد زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب)

فهو يشير بصيغة المفرد (السماء)

ثم يشير بصفتها وظرفها المكاني فيقول (الدنيا) وهي صفة السماء المضافة اليها بمعنى السماء الاقرب

لقد قلنا أن السماء قد يقصد بها السحاب الذى ينزل منه المطر ، وقد يقصد بها السماء الدنيا التى هى الأولى من السموات السبع العلى

فى آية عرض الجنة قد نتدبر المعنى لنرى ما المقصود بالسموات فيها

١-قد يكون المقصود عرض السموات العلى على قول القائلين بالكناية عن الاتساع ، وهو اتساع افتراضى لأننا لانعلمه على الحقيقة .. بل نؤمن به ونتصور أنه لانهائى بالتعبير الدارج

٢- وهناك قول آخر .. أن العرض المشبه به هو على الحقيقة .. عرض معلوم يمكن قياسه ، والجنة أوسع منه .. وبذلك يكون المقصود السموات التى فى الغلاف الجوى

٣- ورأى ثالث يقول أنه ليس العرض الذى ضد الطول .. بل هو عرض مشاهد معروض أمامك ، ولما كانت السموات السبع العلى ليست معروضة مشاهدة إلا السماء الدنيا،والمعروض المشاهد هوالأرض وغلافها الجوى،

فالمقصود بالعرض هو الغلاف الجوى
٤-العرض فى القرآن كله يأتى بمعنى عرض المطلوب رؤيته أمام الناظرين ، ولم يأت بمعنى العرض الذى هو ضد الطول
قوله تعالى "وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضاً"
دلالة على أنها جعلت كى يبصرونها بعد أن كانوا لايبصرونها
و قوله تعالى فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا "

دلالة على أنه قد دخل مجال بصرهم
وهنا نعلم كيف ان الله بقدرته يجعل ابصارنا تدرك ابعادا كثيرة يمكننا بواسطتها يوم القيامة رؤية الجنة والنار والملائكة والشياطين الى اخر ما هنالك من عوالم ومخلوقات لا نراها بآلة البصر الدنيوية
٥- ولعل استخدام لفظة العرض لبيان مدى الاتساع الذي لا يدرك ،و إن كان هذا العرض فكيف بالطول

والعظمة الكاملة **{ سبع سماوات }** هي في غاية العلو والسعة والإحكام والزينة ، يعرف كونها سبعاً بما فيها من الزينة .
ولما كانت المطابقة بين المتقابلات في غاية الصعوبة لا يكاد يقدر عليها من جميع الوجوه أحد ، قال : {طباقاً } أي متطابقة بعضها فوق بعض وكل واحدة في التي تليها محيطة بها « ما لها من فروج » لا يكون تمام المطابقة إلا كذلك بالإحاطة من كل جانب .
ولما كان المحيط لا يتوصل إلى داخله إلى محيط العلم والقدرة ، قال دالاً على كمال قدرته وتصرفه معبراً بالجعل الذي يكون عن تصيير وتسبيب : { وجعل القمر } أي الذي ترونه وهو في السماء الدنيا ، وبدأ به لقربه وسرعة حركته وقطعه جميع البروج في كل شهر مرة وغيبته في ليالي السرار ثم ظهوره ، وذلك أعجب في القدرة .

في أن السماء أفضل أم الأرض؟

قال بعضهم : السماء أفضل لوجوه :
١- أن السماء متعبد الملائكة ، وما فيها بقعة عصى الله فيها أحد .
٢- لما أتى آدم عليه السلام في الجنة بتلك المعصية قيل له اهبط من الجنة ، وقال الله تعالى لا يسكن في جواري من عصاني .
٣- قوله تعالى : {وَجَعَلْنَا السماء سَقْفاً مَّحْفُوظاً } [المؤمنون : ٣٢]
وقوله : { تَبَارَكَ الذى جَعَلَ فِى السماء بُرُوجا } [الفرقان : ٦١] ولم يذكر في الأرض مثل ذلك .

٤-أن في أكثر الأمر ورد ذكر السماء مقدماً على الأرض في الذكر .
وقال آخرون : بل الأرض أفضل لوجوه
١-أنه تعالى وصف بقاعاً من الأرض بالبركة بقوله : {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاس لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً } [آل عمران : ٩٦]
٢- { فِى البقعة المباركة مِنَ الشجرة } [القصص : ٣٠]
٣- { إلى المسجد الأقصى الذى بَارَكْنَا حَوْلَهُ } [الإسراء : ١]
٤- وصف أرض الشام بالبركة فقال : { مشارق الأرض ومغاربها التى بَارَكْنَا فِيهَا } [الأعراف : ١٣٧]
٥- وصف جملة الأرض بالبركة فقال : {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ } [فصلت : ٩] إلى قوله : { وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ مِن فَوْقِهَا وبارك فِيهَا } [فصلت : ١٠]
فإن قيل : وأي بركة في الفلوات الخالية والمفاوز المهلكة؟ قلنا إنها مساكن للوحوش ومرعاها ، ثم إنها مساكن للناس إذا احتاجوا إليها ، فلهذه البركات قال تعالى : {وَفِى الأرض ءايات لّلْمُوقِنِينَ } [الذاريات : ٢٠] وهذه الآيات وإن كانت حاصلة لغير الموقنين لكن لما لم ينتفع بها إلا الموقنون جعلها آيات للموقنين تشريفاً لهم كما قال : { هُدًى لّلْمُتَّقِينَ }
٦- أنه سبحانه وتعالى خلق الأنبياء المكرمين من الأرض على ما قال { مِنْهَا خلقناكم وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ } [طه : ٥٥]ولم يخلق من السموات شيئاً لأنه قال : {وَجَعَلْنَا السماء سَقْفاً مَّحْفُوظاً } [الأنبياء : ٣٢] .
٧- أن الله تعالى أكرم نبيه بها فجعل الأرض كلها مساجد له وجعل ترابها طهوراً .
قوله : {السماء بِنَاء } ففيه مسائل :
١- أنه تعالى ذكر أمر السماوات والأرض في كتابه في مواضع ، ولا شك أن إكثار ذكر الله تعالى من ذكر السماوات والأرض يدل على عظم شأنهما ، وعلى أن له سبحانه وتعالى فيهما أسراراً عظيمة ، وحكماً بالغة لا يصل إليها أفهام الخلق ولا عقولهم .
في فضائل السماء وهي من وجوه :
١- أن الله تعالى زينها بسبعة أشياء
بالمصابيح { وَلَقَدْ زَيَّنَّا السماء الدنيا بمصابيح } [الملك : ٥]
وبالقمر { وَجَعَلَ القمر فِيهِنَّ نُوراً } [نوح : ١٦]
وبالشمس {وَجَعَلَ الشمس سِرَاجاً } [نوح : ١٦]
وبالعرش { رَبُّ العرش العظيم } [التوبة : ١٢٩]
وبالكرسي { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السموات والارض } [البقرة : ٢٥٥]

وباللوح {فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ } [البروج : ٢٢]
وبالقلم { ن والقلم } [القلم : ١] فهذه سبعة : ثلاثة منها ظاهرة ، وأربعة خفية : ثبتت بالدلائل السمعية من الآيات والأخبار .
٢- أنه تعالى سمى السموات بأسماء تدل على عظم شأنها :سماء ، وسقفاً محفوظاً ، وسبعاً طباقاً ، وسبعاً شداداً . ثم ذكر عاقبة أمرها فقال : {وَإِذَا السماء فُرِجَتْ } [المرسلات : ٩] ، {وَإِذَا السماء كُشِطَتْ } [التكوير : ١١] ، { يَوْمَ نَطْوِى السماء } [الأنبياء : ١٠٤] ، { يَوْمَ تَكُونُ السماء كالمهل } [المعارج : ٨] ، {يَوْمَ تَمُورُ السماء مَوْراً } [الطور : ٩] ، { فَكَانَتْ وَرْدَةً كالدهان } [الرحمن : ٣٧] وذكر مبدأها في آيتين فقال : { ثُمَّ استوى إِلَى السماء وَهِىَ دُخَانٌ } [فصلت : ١١] وقال : {أَوَ لَمْ يَرَ الذين كَفَرُواْ أَنَّ السماوات والأرض كَانَتَا رَتْقاً ففتقناهما } [الأنبياء : ٣٠] فهذا الاستقصاء الشديد في كيفية حدوثهما وفنائهما يدل على أنه سبحانه خلقهما لحكمة بالغة على ما قال : { وَمَا خَلَقْنَا السماء والأرض وَمَا بَيْنَهُمَا باطلا ذلك ظَنُّ الذين كَفَرُواْ } [ص : ٢٧] ،
٣- أنه تعالى جعل السماء قبلة الدعاء : فالأيدي ترفع إليها ، والوجوه تتوجه نحوها ، وهي منزل الأنوار ومحل الصفاء والأضواء والطهارة والعصمة عن الخلل والفساد.

٤- قال بعضهم السماوات والأرضون على صفتين ، فالسماوات مؤثرة غير متأثرة . والأرضون متأثرة غير مؤثرة والمؤثر أشرف من القابل ، فلهذا السبب قدم ذكر السماء على الأرض في الأكثر
وأيضاً ففي أكثر الأمر ذكر السموات بلفظ الجمع ، والأرض بلفظ الواحد ، فإنه لا بدّ من السموات الكثيرة ليحصل بسببها الاتصالات المختلفة للكواكب وتغير مطارح الشعاعات ، وأما الأرض فقابلة فكانت الأرض الواحدة كافية .
٥- تفكر في لون السماء وما فيه من صواب التدبير ، فإن هذا اللون أشد الألوان موافقة للبصر وتقوية له ، حتى أن الأطباء يأمرون من أصابه وجع العين بالنظر إلى الزرقة ، فانظر كيف جعل الله تعالى أديم السماء ملوناً بهذا اللون الأزرق ، لتنتفع به الأبصار الناظرة إليها ، فهو سبحانه وتعالى جعل لونها أنفع الألوان ، وهو المستنير وشكلها أفضل الأشكال ، وهو المستدير ، ولهذا قال : {أَوَ لَمْ يَنظُرُواْ إِلَى السماء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بنيناها وزيناها وما لَهَا مِن فُرُوجٍ } [ق : ٦] يعني ما فيها من فصول ، ولو كانت سقفاً غير محيط بالأرض لكانت الفروج حاصلة .

ما دلالة استخدام بعض الأفعال المحددة: السموات جمع والأرض مفرد؟

القرآن لم يذكر الأرض بالجمع مطلقاً، السموات سبع ولم يجمع كلمة الأرض في القرآن أبداً وإنما قال (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ (١٢) الطلاق) أما في الحديث فجمع الأرض على أرضين "طوِّق من سبع أراضين". (من السماء) لم يقل السموات لأن السموات ذكرها مع الخلق.

في بيان فضائل السماء وبيان فضائل ما فيها ، وهي الشمس والقمر والنجوم

أما الشمس فتفكر في طلوعها وغروبها ، فلولا ذلك لبطل أمر العالم كله ، فكيف كان الناس يسعون في معايشهم ، ثم المنفعة في طلوع الشمس ظاهرة ، ولكن تأمل النفع في غروبها

١- فلولا غروبها لم يكن للناس هدو ولا قرار مع احتياجهم إلى الهدو والقرار لتحصيل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء على ما قال تعالى : { هُوَ الذى جَعَلَ لَكُمُ اليل لِتَسْكُنُواْ فِيهِ والنهار مُبْصِراً } [يونس : ٦٧]

٢- فلولا الغروب لكان الحرص يحملهم على المداومة على العمل على ما قال : { وَجَعَلْنَا اليل لِبَاساً وَجَعَلْنَا النهار مَعَاشاً } [النبأ : ١٠ ، ١١]

٣- أنه لولا الغروب لكانت الأرض تحمى بشروق الشمس عليها حتى يحترق كل ما عليها من حيوان ، ويهلك ما عليها من نبات على ما قال : { أَلَمْ تَرَ إلى رَبّكَ كَيْفَ مَدَّ الظل وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً } [الفرقان : ٤٥]

فصارت الشمس بحكمة الحق سبحانه وتعالى تطلع في وقت وتغيب في وقت ، بمنزلة سراج يدفع لأهل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فصار النور والظلمة على تضادهما متعاونين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم هذا كله في طلوع الشمس وغروبها .

أما ارتفاع الشمس وانحطاطها فقد جعله الله تعالى سبباً لإقامة الفصول الأربعة

ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد منه مواد الثمار ويلطف الهواء ويكثر السحاب والمطر ، ويقوي أبدان الحيوانات بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن ،

وفي الربيع تتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات وينور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد ،

وفي الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار ، وتنحل فضول الأبدان ، ويجف وجه الأرض ، ويتهيأ للبناء والعمارات ،
وفي الخريف يظهر اليبس والبرد فتنتقل الأبدان قليلاً قليلاً إلى الشتاء ، فإنه إن وقع الانتقال دفعة واحدة هلكت الأبدان وفسدت ،

وأما حركة الشمس فتأمل في منافعها ، فإنها لو كانت واقفة في موضع واحد لاشتدت السخونة في ذلك الموضع واشتد البرد في سائر المواضع ، لكنها تطلع في أول النهار من المشرق فتقع على ما يحاذيها من وجه المغرب ، ثم لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي إلى الغروب فتشرق على الجوانب الشرقية فلا يبقى موضع مكشوف إلا ويأخذ حظاً من شعاع الشمس ، وأيضاً كأن الله تعالى يقول لو وقفت في جانب الشرق والغنى قد رفع بناءه على كوة الفقير ، فكان لا يصل النور إلى الفقير ، لكنه تعالى يقول إن كان الغني منعه نور الشمس فأنا أدير الفلك وأديرها عليه حتى يأخذ الفقير نصيبه . وأما منافع ميلها في حركتها عن خط الاستواء ، فنقول : لو لم يكن للكواكب حركة في الميل لكان التأثير مخصوصاً ببقعة واحدة فكان سائر الجوانب يخلو عن المنافع الحاصلة منه وكان الذي يقرب منه متشابه الأحوال ، وكانت القوة هناك لكيفية واحدة ، فإن كانت حارة أفنت الرطوبات وأحالتها كلها إلى النارية ولم تتكون المتولدات فيكون الموضع المحاذي لممر الكواكب على كيفية ، وخط ما لا يحاذيه على كيفية أخرى وخط متوسط بينهما على كيفية متوسطة فيكون في موضع شتاء دائم يكون فيه الهواء والعجاجة وفي موضع آخر صيف دائم يوجب الاحتراق ، وفي موضع آخر ربيع أو خريف لا يتم فيه النضج ولو لم يكن عودات متتالية؛ وكانت الكواكب تتحرك بطيئاً لكان الميل قليل المنفعة وكان التأثير شديد الأفراط ، وكان يعرض قريباً مما لم يكن ميل ، ولو كانت الكواكب أسرع حركة من هذه لما كملت المنافع وما تمت ، فأما إذا كان هناك ميل يحفظ الحركة في جهة مدة ، ثم تنتقل إلى جهة أخرى بمقدار الحاجة وتبقى في كل جهة برهة من الدهر تم بذلك تأثيره وكثرت منفعته ، فسبحان الخالق المدبر بالحكمة البالغة والقدرة الغير المتناهية .
هذا أما القمر ، وهو المسمى بآية الليل : فاعلم أنه سبحانه وتعالى جعل طلوعه وغيبته مصلحة ، وجعل طلوعه في وقت مصلحة ، وغروبه في وقت آخر مصلحة ، أما غروبه ففيه نفع لمن هرب من عدوه فيستره الليل يخفيه فلا يلحقه طالب فينجو ، ولولا الظلام لأدركه العدو ، وهو المراد من قول المتنبي :

وكم لظلام الليل عندي من يد ... تخبر أن المانوية تكذب
وأما طلوعه ففيه نفع لمن ضل عنه شيء أخفاه الظلام وأظهره القمر .
ومن الحكايات : أن أعرابياً نام عن جمله ليلاً ففقده ، فلما طلع القمر وجده فنظر إلى القمر وقال : إن الله صورك ونورك ، وعلى البروج دورك ، فإذا شاء نورك ، وإذا شاء كورك ، فلا أعلم مزيداً أسأله لك ، ولئن أهديت إليّ سروراً لقد أهدى الله إليك نوراً ، ثم أنشأ يقول :
ماذا أقول وقولي فيك ذو قصر ... وقد كفيتني التفصيل والجملا
إن قلت لا زلت مرفوعا فأنت كذا ... أو قلت زانك ربي فهو قد فعلا
ولقد كان في العرب من يذم القمر ويقول : القمر يقرب الأجل ، ويفضح السارق ، ويدرك الهارب . ويهتك العاشق ، ويبلي الكتان ، ويهرم الشبان ، وينسى ذكر الأحباب ، ويقرب الدين ، ويدني الحين .
وكان فيهم أيضاً من يفضل القمر على الشمس من وجوه : أحدها : أن القمر مذكر . والشمس مؤنث لكن المتنبي طعن فيه بقوله :
فما التأنيث لاسم الشمس عيب ... ولا التذكير فخر للهلال
وثانيها : أنهم قالوا : القمران ، فجعلوا الشمس تابعة للقمر ، ومنهم من فضل الشمس على القمر بأن الله تعالى قدمها على القمر في قوله : { الشمس والقمر بِحُسْبَانٍ } [الرحمن : ٥] ، { والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها } [الشمس : ١ ٢] إلا أن هذه الحجة منقوضة بقوله : { فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُّؤْمِنٌ } [التغابن : ٢] وقال : { لاَ يَسْتَوِى أصحاب النار وأصحاب الجنة } [الحشر : ٢٠] وقال : {خَلَقَ الموت والحياة } [الملك : ٢] وقال :
النيسابوري
فقال : { الذي جعل }: من الجعل وهو إظهار أمر عن سبب وتصيير
{ لكم الأرض } أي المحل الجامع لنبات كل نابت ظاهر أو باطن
ولتحقق دلالة اسمها على هذا المعنى جاء وصفها بذلك من لفظ اسمها فقيل : أرض أريضة ، للكريمة المنبتة ، وأصل معناها ما سفل في مقابلة معنى السماء الذي هو ما علا على سفل الأرض كأنها لوح قلمه الذي يظهر فيها كتابه
{فراشاً } وهي بساط سقفه السماء وهي مستقر الحيوان من الأحياء والأموات ،: بساط يضطجع عليه للراحة ونحو ذلك ،
{ والسماء بناء } أي خيمة تحيط بصلاح موضع السكن وهو لعمري بناء جليل القدر ، محكم الأمر ، بهي المنظر ، عظيم المَخْبَر

لماذا قدم السموات على الأرض؟ أولاً من الذين كان يسبح سابقاً أهل السماء أو أهل الأرض؟ أهل السماء لأن أهل الأرض لم يكونوا موجودين أصلاً، قبل أن خلق آدم فبدأ بمن هو أسبق تسبيحاً، بمن هو أدوم تسبيحاً (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠) الأنبياء) (فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٨) فصلت) فبدأ بأهل السماء لأنهم أسبق في التسبيح قبل خلق آدم ولأنهم أدوم تسبيحاً، أدوم في هذه العبادة.

(السموات والأرض وما بينهما)

كل موطن في القرآن الكريم يذكر (وما بينهما) يأتي تعقيب على من يذكر صفات الله تعالى بغير ما يستحق

تعقيب على قول النصارى بعد أن قال تعالى **(لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا** (١٧) المائدة)

يقول بعدها **(وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (١٧) المائدة)

لِمَ يتخذ الولد وهو الغني؟ له ملك السموات والأرض وما بينهما لا يحتاج الولد.

وعلى قول اليهود **(وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** (١٨) المائدة).

اليهود يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه تأتي بعدها (وما بينهما) لماذا رقّيتم أنفسكم؟ هو تعالى لا يحتاج هذا حتى يتخذكم أبناء، لِمَ يتخذكم أبناء وهو الغني؟

ما المقصود بما في السموات،وما فوقها، وما بين السموات والارض، وبما في الارض، وما تحتها ؟

المقصود بما في السموات كالملائكة، وبما فوقها كالجنة، وبما بين السموات والارض كالقمر والشمس والنجوم،

وبما في الارض كالبشر، وبما تحت الارض كجهنّم فانها موجودة تحت الارض السابعة منفصلة.

<u>(له ملك السموات والأرض وما بينهما)</u>

ذكرنا أمرين:

إما أن يكون تعقيباً على ذكر ما لا يليق في الله تعالى من الصفات

أو ذكر ثلاث ملل اليهود والنصارى والمسلمين وهي ثلاثة: السموات، الأرض، ما بينهما

<u>السموات السبع والارضين</u>

قيل ان السموات سبع

السماءالاولى ارض بالنسبة للثانية

والثانية ارض بالنسبة للثالثة وهكذا الى سبعة اراضين

<u>جدال</u>

س١

أيها اليماني المنتظر أخبرنا من كتلوج صانع الكون كيف كان عرش يا أن يكون وبعد ما كان ، بكن فيكون الكون قبل

ج١

قال الله تعالى(و هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا) صدق الله العظيم

نبأكم في هذه الآية بأن السماوات والأرض كانت قبل أن تكون رتقا" الذي مدكوكة دكاً دكا" على كوكب الماء الذي تعيشون فيه ليبلوكم أيكم مطوية وكان عرش السماوات والأرض مطويا" كطي السجل للكتب أحسنُ عملا الكوكب الأم للسماوات السبع وزينتها والأراضين في البداية مُجتمعا" على * السبع

س٢

هو هذا الكوكب الأم الذي انفتقت منه السماوات السبع والأراضين وأين علمتنا أي الكواكب هو فقد علمتنا مركز هذا الكون العظيم وذلك السبع فإذا الكوكب هو مركز الإنفجار الأعظم ؟ لأن هذا

2ج

الذي انفتقت منهُ السماوت السبع والأراضين السبع هو الكوكب إن الكوكب

فيه سر الحياة وسر الحياة هو الماء ولا حياة بدون الماء الذي جعل الله
كُل شيىء حي وقال الله تعالى (وكان عرشه على وجعل الله من الماء
مطويا" كطي السجل للكُتب على الأرض التي "الماء) أي رتقا" واحدا
الكوكب جعل فيها إذا" الكوكب الذي رمزه الماء في القرآن العظيم هو
الذي كان عليه عرش الملكوت الكوني للسماوات والأرض

س٣
ونحن نعلم بأن السماوات فوق الأرض وتحيط بها من جميع الجوانب فلا
تكون السبع أراضين من تحت كوكب الأرض الأم وذلك حتى تكون بُد أن
مركز الإنفجار الكوني فهل تستطيع أن تثبت من القرآن أرضنا الأم هو
بأن من بعد أرضنا الأم" سبعة أراضين طباقا"؟ كتلوج الرحمن بأنه يقول

الرقم سبعة وقال بسبعة أبحر فنفهم من خلال ذلك بأن أرضنا ولذلك ذكر
.. بعد هذه الأرض منفصلة عنها بالفضاء الأراضين السبع توجد من

س٤
يوجد في القرآن الكتلوج للصانع الحكيم آية أكثر وضوحا" تؤكد بأن هل
سبع والسماوات سبع وأن مواقع الأراضين السبع يوجد من بعد الأراضين
وإن أرضنا والتي جعلها الله أم الكون توجد بين أرضنا إلى الأسفل
السبع شرط أن تذكر هذه الآية العدد الرقمي السماوات السبع والأراضين
هذه الآية بأن رقم أرضنا لم يكن من للسماوات والأرض ومن ثم تُبين
لأنها كما تقول مركز الإنفتاق ضمن الرقم سبعة للأراضين السبع وذلك
يكون رقمها غير رقم السبع للسماوات السبع والأراضين السبع فلا بُد أن
أراضين التي من بعدها ومن ثم يذكر الله بأنه جعل

ج٤
الله تعال (((الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل قال
بينهن لتعلموا أن الله على كُل شيىء قدير وأن الله قد أحاط بكُل الأمر
صدق الله العظيم (شيىء علما
حقا" كان يتلقى القرآن فهذه الآية جلية وواضحة ومعجزة للنبي الأمي بأنه
سبع سماوات ومن من لدُن حكيم عليم وذلك لأن الآية تقول بأن الله خلق
القرآن الأرض مثلهن أي الرقم سبعة سبعة أراضين يتنزل الأمر وهو
العظيم (واصدع بما تؤمر) يتنزل على محمد رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم بينهن أي في الأرض الأم والتي يوجد فيها محمد رسول الله
الله عليه وآله وسلم بل ويوجد في مركز المركز أي مركز الأرض صلى
الله مركز الإنفتاق للسماوات السبع والأراضين السبع ونقطة التي جعلها
بيت الله المُعظم وجميع الكواكب والنجوم تطوف من اليمين المركز الكعبة
البيت العتيق سابحة ومُسبحة الخالق الحكيم سُبحانه عما إلى الشمال حول
كبيرا" فقد بين القرآن بأن هذه الأرض الأم تخرج "يشركون وتعالى علوا
السماوات السبع والأراضين السبع لذلك قال الله عن الرقم سبعة وأنها بين
تعالى

سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن)) إذا" (الله الذي خلق سبع
الأرض الأم التي نعيش عليها والتي يتنزل الأمر السبع الأراضين من بعد
الأرض الأم إلى الناس كافة فهل أنتم و هو القرآن العظيم بينهن في
!! مؤمنون

س٥

أنك ذكرت لنا من القرآن كيف كانت السماوات والأرض قبل الإنشقاق بما
ومن ثم ذكرت لنا مابعد الإنفتاق ومركز الإنفتاق للكون بأنها والإنفتاق
نعيش عليها فهل لك أن تُبين لنا كيف سوف تكون النهاية ؟ الأرض التي
وماهي الساعة ؟

ج٥

الساعة هي الأرض التي نعيش عليها وهي التي تطوي السماوات إن
السجل للكتب تصديقا" لقوله تعالى (كما بدأنا أول خلق والأراضين كطي
.. إنا كنا فاعلين)صدق الله العظيم نُعيده وعدا" علينا

س٦

النهاية سوف تعود إلى البداية فيطويها الله كما كانت رتقا" كوكبا" إذا كانت
فلا بُد أن تكون مركز الجاذبية الكونية في هذه الأرض الأم التي "واحدا
فهل لك أن تُبين لنا من القرآن بأن مركز الجاذبية الكونية في نعيش عليها
والتي لولا بأن الله يمنعها لوقعت علينا السماوات والأرض ؟ أرض البشر

ج٦

الله تعالى (إن الله يمسك السماوات و الأرض أن تزولا و لئن زالتا إن قال
أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما" غفورا") صدق الله العظيم

الزوال للسماوات السبع والأراضين السبع هو الوقوع على الأرض ومعنى مركز الجاذبية الكونية في الأرض الأم التي يعيش عليها و إنضمام إلى برحمته يمنعها من ذلك رحمة بالعباد لعلهم يتقون وذلك البشر ولكن الله السماوات السبع بزينتها والأراضين السبع وما فيها أن يزولا لأن الله يمنع مركز الجاذبية الكونية وكما قلنا بأن الزوال هو الوقوع إلى الأرض الأم الله تعالى((ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا على الأرض الأم وقال بإذنه)) صدق الله العظيم

س٧
وكيف يكون ذلك وماهي الساعة في حقيقتها وليس زمن وقوعها ؟

ج٧
الساعة الرئيسية توجد في باطن الأرض التي نعيش عليها فإذا أوحى إن تفجرت في كل شبر على وجه الأرض فتنسف الجبال نسفا" فتكون لها الله وقال الله تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي كالعهن المنفوش صفصفا" لا ترى فيها عوجاً ولا أمتى) صدق الله "نسفا" فيذرها قاعا العظيم

عظيم لدرجة أن الناس لا يستطيعون أن يمشوا مُعتدلي القامة وتبدأ بزلزال يسارا" ويمينا" كأنهم سُكارى وما هم بسكارى وإنما من بل يتمرجحون فهم يتمرجحون يسارا" ويمينا" وإلى الإمام وإلى شدة الزلزال العظيم يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيءٌ) الخلف وقال الله تعالى مرضعةٍ عما أرضعت وتضع كل ذات حملٍ عظيم . يوم ترونها تذهل كل ولكن عذاب الله شديد) صدق حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى الله العظيم
بذاتها هي التي تُزلزل نتيجة أسباب كونية وذلك لأن الأرض هي الساعة عليها هي الساعة بذاتها لذلك قال تعالى ومُسيرة ولكن الأرض التي نعيش نعيش عليها يُسميها القرآن الساعة (إن زلزلة الساعة) أي الأرض التي ضحاها أي عشية أو ضُحى الساعة كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو باطن الأرض وقال الله تعالى (التي زلزلت إذا أمرها الله تجلت للناس من أثقالها . وقال الإنسان ما إذا زلزلت الأرض زلزالها . وأخرجت الأرض لها . يومئذ يصدر الناس لها . يومئذ تحدث أخبارها . بأن ربك أوحى خيرا يره . ومن يعمل مثقال أشتاتا ليروا أعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرة ذرة شرا يره } صدق الله العظيم

يضم كوكب الأرض نحو ٨.٧ مليون نوع من الكائنات الحية، ٦.٥ ملايين
تتطور على اليابسة و٢.٢ مليون في المياه، وعلى ما أظهر التقدير منها
.على الإطلاق والذي نشر الثلاثاء في الولايات المتحدة الأكثر دقة
ومن أصل ٨.٧ ملايين كائن حيواني أو نباتي، تم اكتشاف ١.٢٣ مليون
أي ١.١٤%) حتى اليوم ووصفه وتصنيفه (أي ١٤.١%). على ما) كائن
إحصاء الحياة البحرية "سنسوس أوف مارين لايف" أوضح الباحثون في
نشرت في صحيفة "بلوس بيولوجي" العلمية الذين أعدوا الدراسة التي
.الأمريكية
ويتيح هذا التقدير الذي نتج عن تحاليل استندت على تقنيات التصنيف
الحيوي الأخيرة حصر الأرقام السابقة التي تراوحت بين ثلاثة ومئة مليون
.كائن حي
وشرح كاميلو مورا من جامعتي هاواي ودلهاوزي في هاليفاكس (كندا)
والمعد الرئيسي للدراسة أن "مسألة معرفة عدد الكائنات الحية على سطح
حيرت العلماء منذ قرون وهذا الجواب. بالإضافة إلى أبحاث الأرض
الأنواع ووفرتها، مهم جدا لأن الأنشطة البشرية أخرى حول توزيع
."الانقراض وتأثيرها تسرع نسبة
وأضاف أن "عددًا كبيرًا من الأنواع قد يختفي قبل أن نعلم بوجوده
ووظيفته الفريدة في النظام البيئي ومساهمته المحتملة في تعزيز رفاه
."الإنسان
وقال بوريس وورن من جامعة دلهاوزي والمشارك في إعداد الدراسة إن
التحديث الأخير للائحة الحمراء التي يضعها الاتحاد الدولي من أجل
على الطبيعة يشير إلى وجود ٥٩٥٠٨ أنواع مراقبة، منها ١٩٦٢٥ الحفاظ
.بالانقراض نوعًا مهددًا
ويعني ذلك أن الاتحاد الذي يعتبر مرجعًا في هذا المجال يراقب أقل من
.واحد في المئة من الأنواع التي تعيش على الأرض
ويقدر العلماء عدد الأنواع الحيوانية بـ٧.٧٧ مليون، منها ٢١٥٦٤٤ نوعا
موصوفا ومصنفا بينما يقدرون عدد الأنواع النباتية بـ ٢٨٩ ألفًا،

.أما أنواع الفطر والعفن فيقدر عددها بـ٦١١ ألفًا، ٤٣٢٧١ منها مصنف
وقدر الباحثون أيضا عدد أنواع الحيوانات الأولية وحيدة الخلية بـ٨١١٨
.نوعًا حتى اليوم
وأخيرا، أحصوا ٢٧٥٠٠ نوعًا من الطحالب والدياتوم (طحالب أحادية
.الخلية) والعفن المائي/ منها ١٣٠٣٣ نوعًا محددًا ومصنفًا

الارض

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)البقرة

واعلم أن كون الأرض فراشاً مشروط بأمور :

١- كونها ساكنة ، وذلك لأنها لو كانت متحركة لكانت حركتها إما بالإستقامة أو بالاستدارة ،

٢-في كون الأرض فراشاً لنا أن لا تكون في غاية الصلابة كالحجر ، فإن النوم والمشي عليه مما يؤلم البدن ، وأيضاً فلو كانت الأرض من الذهب مثلاً لتعذرت الزراعة عليها ، ولا يمكن اتخاذ الأبنية منه لتعذر حفرها وتركيبها كما يراد؛ وأن لا تكون في غاية اللين ، كالماء الذي تغوص فيه الرجل

٣- أن لا تكون في غاية اللطافة والشفافية فإن الشفاف لا يستقر النور عليه ، وما كان كذلك فإنه لا يتسخن من الكواكب والشمس ، فكان يبرد جداً فجعل الله كونه أغبر ، ليستقر النور عليه فيتسخن فيصلح أن يكون فراشاً للحيوانات

٤-أن تكون بارزة من الماء ، لأن طبع الأرض أن يكون غائصاً في الماء فكان يجب أن تكون البحار محيطة بالأرض ، ولو كانت كذلك لما كانت فراشاً لنا ، فقلب الله طبيعة الأرض وأخرج بعض جوانبها من الماء كالجزيرة البارزة حتى صلحت لأن تكون فراشاً لنا ،

ومن الناس من زعم أن الشرط في كون الأرض فراشاً أن لا تكون كرة ، واستدل بهذه الآية على أن الأرض ليست كرة ، وهذا بعيد جداً ، لأن الكرة إذا عظمت جداً كانت القطعة منها كالسطح في إمكان الاستقرار عليه ، والذي يزيده تقريراً أن الجبال أوتاد الأرض ثم يمكن الاستقرار عليها ، فهذا أولى والله أعلم .

في سائر منافع الأرض وصفاتها .

١- الأشياء المتولدة فيها من المعادن والنبات والحيوان والآثار العلوية والسفلية لا يعلم تفاصيلها إلا الله تعالى

٢- أن يتخمر الرطب بها فيحصل التماسك في أبدان المركبات .

٣- اختلاف بقاع الأرض ، فمنها أرض رخوة ، وصلبة ، ورملة ، وسبخة ، وحرة ، وهي قوله تعالى : { وَفِي الأرض قِطَعٌ متجاورات } [الرعد : ٤] وقال : {والبلد الطيب يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبّهِ والذى خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا } [الأعراف : ٥٨]

٤- اختلاف ألوانها فأحمر ، وأبيض ، وأسود ، ورمادي اللون ، وأغبر ، على ما قال تعالى : {وَمِنَ الجبال جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ ألوانها وَغَرَابِيبُ سُودٌ } [فاطر : ٢٧] .

٥- انصداعها بالنبات ، قال تعالى : { والأرض ذَاتِ الصدع } [الطارق : ١٢] .

٦- كونها خازنة للماء المنزل من السماء وإليه الإشارة بقوله تعالى : { وَأَنزَلْنَا مِنَ السماء مَاء بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِى الأرض وَإِنَّا على ذَهَابٍ بِهِ لقادرون } [المؤمنون : ١٨] وقوله : {قُلْ أَرَءيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَاء مَّعِينٍ } [الملك : ٣٠]

٧- العيون والأنهار العظام التي فيها وإليه الإشارة بقوله : { وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وأنهارا } [الرعد : ٣] .

٨- ما فيها من المعادن والفلزات ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : { والأرض مددناها وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رواسى وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلّ شَىْء مَّوْزُونٍ } [الحجر : ١٩] ثم بين بعد ذلك تمام البيان ، فقال : {وَإِن مّن شَىْء إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ } [الحجر : ٢١] .

٩- الخبء الذي تخرجه الأرض من الحب والنوى قال تعالى : {إِنَّ الله فَالِقُ الحب والنوى } [الأنعام : ٩٥] وقال : { يُخْرِجُ الخبء فِى السماوات والأرض } [النمل : ٢٥] ثم إن الأرض لها طبع الكرم لأنك تدفع إليها حبة واحدة ، وهي تردها عليك سبعمائة { كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلّ سُنبُلَةٍ مّاْئَةُ حَبَّةٍ } [البقرة : ٢٦١] .

١٠- حياتها بعد موتها؛ قال تعالى :{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الماء إِلَى الأرض الجرز فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً } [السجدة : ٢٧] وقال : { وَءايَةٌ لَّهُمُ الأرض الميتة أحييناهاأوَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ } [ياس : ٣٣]
١١- ما عليها من الدواب المختلفة الألوان والصور والخلق ، وإليه الإشارة بقوله : {خَلَقَ السماوات بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وألقى فِى الأرض رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلّ دَابَّةٍ } [لقمان : ١٠] .
١٢- ما فيها من النبات المختلف ألوانه وأنواعه ومنافعه ، وإليه الإشارة بقوله : { وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلّ زَوْجٍ بَهِيجٍ } [ق : ٧] فاختلاف ألوانها دلالة ، واختلاف طعومها دلالة ، واختلاف روائحها دلالة ،
فمنها قوت البشر ، ومنها قوت البهائم ، كما قال : { كُلُواْ وارعوا أنعامكم } [طه : ٥٤] أما مطعوم البشر ، فمنها الطعام ، ومنها الأدام ، ومنها الدواء ، ومنها الفاكهة ، ومنها الأنواع المختلفة في الحلاوة والحموضة .
قال تعالى : { وَقَدَّرَ فِيهَا أقواتها فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لّلسَّائِلِين } [فصلت : ١٠]
وأيضاً فمنها كسوة البشر ، لأن الكسوة إما نباتية ، وهي القطن والكتان ، وإما حيوانية وهي الشعر والصوف والإبريسم والجلود ، وهي من الحيوانات التي بثها الله تعالى في الأرض ، فالمطعوم من الأرض ، والملبوس من الأرض . ثم قال : {وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } وفيه إشارة إلى منافع كثيرة لا يعلمها إلا الله تعالى .
١٣- ثم إنه سبحانه وتعالى جعل الأرض ساترة لقبائحك بعد مماتك ، فقال :{أَلَمْ نَجْعَلِ الأرض كِفَاتاً أَحْيَاء وأمواتا } [المرسلات : ٢٥ ، ٢٦] { مِنْهَا خلقناكم وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ } [طه : ٥٥]
ثم إنه سبحانه وتعالى جمع هذه المنافع العظيمة للسماء والأرض فقال : { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى السماوات وَمَا فِى الأرض } [الجاثية : ١٣] .
١٤- ما فيها من الأحجار المختلفة ، ففي صغارها ما يصلح للزينة فتجعل فصوصها للخواتم وفي كبارها ما يتخذ للأبنية ، فانظر إلى الحجر الذي تستخرج النار منه مع كثرته ، وانظر إلى الياقوت الأحمر مع عزته . ثم انظر إلى كثرة النفع بذلك الحقير ، وقلة النفع بهذا الشريف .
١٥- ما أودع الله تعالى فيها من المعادن الشريفة ، كالذهب والفضة ، ثم تأمل فإن البشر استخرجوا الحرف الدقيقة والصنائع الجليلة واستخرجوا السمكة من قعر البحر ، واستنزلوا الطير من أوج الهواء ثم عجزوا عن إيجاد الذهب والفضة ، والسبب فيه أنه لا فائدة في وجودهما إلا الثمينة ، وهذه الفائدة لا تحصل إلا عند العزة فالقادر على إيجادهما يبطل هذه

الحكمة ، فلذلك ضرب الله دونهما باباً مسدوداً ، إظهاراً لهذه الحكمة وإبقاء لهذه النعمة ، ولذلك فإن ما لا مضرة على الخلق فيه مكنهم منه فصاروا متمكنين من اتخاذ الشبه من النحاس ، والزجاج من الرمل ، وإذا تأمل العاقل في هذه اللطائف والعجائب اضطر في افتقار هذه التدابير إلى صانع حكيم مقتدر عليم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

١٦- كثرة ما يوجد على الجبال والأراضي من الأشجار التي تصلح للبناء ، والسقف ، ثم الحطب . وما أشد الحاجة إليه في الخبز والطبخ قد نبه الله تعالى على دلائل الأرض ومنافعها بألفاظ لا يبلغها البلغاء ويعجز عنها الفصحاء فقال : { وَهُوَ الذى مَدَّ الأرض وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ وأنهارا وَمِن كُلّ الثمرات جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْن اثنين } [الرعد : ٣] وأما الأنهار فمنها العظيمة كالنيل ، وسيحون ، وجيحون ، والفرات ، ومنها الصغار ، وهي كثيرة وكلها تحمل مياهاً عذبة للسقي والزراعة وسائر الفوائد .

<u>منافع الأرض</u> : الفراش اسم لما يفرش كالمهاد لما يمهد والبساط لما يبسط ، وليس من ضرورات الافتراش أن يكون سطحها مستوياً كالفراش على ما ظن ، فسواء كانت كذلك أو على شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم جرمها وتباعد أطرافها . ولكنه لا يتم الافتراش عليها ما لم تكن ساكنة في حيزها الطبيعي وهو وسط الأفلاك

{ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا } [فاطر : ٤١]

ومما منَّ الله تعالى به على عباده في خلق الأرض أنها لم تجعل في غاية الصلابة كالحجر ، ولا في غاية اللين والانغمار كالماء ، ليسهل النوم والمشي عليها ،

وأمكنت الزراعة واتخاذ الأبنية منها ويتأتى حفر الآبار وإجراء الأنهار .

ومنها أنها لم تخلق في نهاية اللطافة والشفيف لتستقر الأنوار عليها وتسخن منها فيمكن جوارها .

ومنها أن جعلت بارزة بعضها من الماء مع أن طبعها الغوص فيه لتصلح لتعيش الحيوانات البرية عليها ، وسبب انكشاف ما برز منها وهو قريب من ربعها أنها لم تخلق صحيحة الاستدارة بل خلقت هي والماء بحيث إذا انجذب الماء بطبعه إلى المواضع الغائرة والمنخفضة منها بقي شيء منها مكشوفاً ، وصار مجموع الأرض والماء بمنزلة كرة واحدة يدل على ذلك فيما بين الخافقين .

<u>الرازى</u>

وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ
(١٠)الاعراف
فقوله : { مكناكم فِى الأرض }أي جعلنا لكم فيها مكاناً وقراراً ومكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش
والمراد من المعايش : وجوه المنافع وهي على قسمين ، منها ما يحصل بخلق الله تعالى ابتداء مثل خلق الثمار وغيرها ، ومنها ما يحصل بالاكتساب وكلاهما في الحقيقة إنما حصل بفضل الله وإقداره وتمكينه
الطبرى
ولقد وطَّأْنا لكم، أيها الناس، في الأرض

قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ } الأعراف : ٢٥
الرازى
المستقر قد يكون بمعنى الاستقرار كقوله تعالى { إلى رَبّكَ يَوْمَئِذٍ المستقر } [القيامة : ١٢]
وقد يكون بمعنى المكان الذي يستقر فيه كقوله تعالى : { أصحاب الجنة يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً } [الفرقان : ٢٤]
وقال تعالى : { فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ } [الأنعام : ٩٨]
الأكثرون حملوا قوله تعالى : { وَلَكُمْ فِى الأرض مُسْتَقَرٌّ } [البقرة : ٣٦] [الأعراف : ٢٤] ، على المكان ، والمعنى أنها مستقركم حالتي الحياة والموت
اختلفوا في معنى الحين بعد اتفاقهم على أنه اسم للزمان والأولى أن يراد به الممتد من الزمان ، فلما كانت أعمار الناس طويلة وآجالهم عن أوائل حدوثهم متباعدة جاز أن يقول : { ومتاع إلى حِينٍ } .
الرازى
وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧)الكهف
من أحوال القيامة قوله تعالى : { وَتَرَى الأرض بَارِزَةً } وفي تفسيره وجوه :
١- أنه لم يبق على وجهها شيء من العمارات ، ولا شيء من الجبال ، ولا شيء من الأشجار ، فبقيت بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها ، وهو المراد من قوله :{ لاَّ ترى فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً } .

٢- بارزة أنها أبرزت ما في بطنها وقذفت الموتى المقبورين فيها فهي بارزة الجوف والبطن فحذف ذكر الجوف ، ودليله قوله تعالى : {وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ } [الانشقاق : ٤] وقوله : {وَأَخْرَجَتِ الأرض أَثْقَالَهَا } [الزلزلة : ٢] وقوله : { وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا } .
٣- أن وجوه الأرض كانت مستورة بالجبال والبحار ، فلما أفنى الله تعالى الجبال والبحار فقد برزت وجوه تلك البقاع بعد أن كانت مستورة .

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣)طه

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَمَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) الزخرف
أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦)النبا
الرازى
١- قرأ أهل الكوفة ههنا وفي الزخرف {مهداً }والباقون قرؤوا مهاداً الذي اختاره مهاداً وهو اسم والمهد اسم الفعل ،
وقيل المهد الاسم والمهاد الجمع كالفرش
٢- { الذي جَعَلَ } مرفوع لأنه خبر مبتدأ محذوف أو لأنه صفة لربي أو منصوب على المدح
٣-المراد من كون الأرض مهداً أنه تعالى جعلها بحيث يتصرف العباد وغيرهم عليها بالقعود والقيام والنوم والزراعة وجميع وجوه المنافع
٤- {وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً } سلك من قوله : { مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ } [المدثر : ٤٢] {كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ المجرمين } [الشعراء : ٢٠٠] أي جعل لكم فيها سبلاً ووسطها بين الجبال والأودية والبراري .
البقاعى
{ الذي جعل لكم } أيها الخلائق { الأرض } أي أكثرها {مهداً } تفترشونها ، وجعل بعضها جبالاً لا يمكن القرار عليها ، وبعضها رخواً تسرح فيه الأقدام وبعضها جلداً - إلى غير ذلك مما تشاهدون فيها من الاختلاف {وسلك لكم فيها سبلاً }أي سهّل طرقاً تسلكونها في أراضي سهلة وحزنة وسطها بين الجبال والأودية والرمال ، وهيأ لكم فيها من المنافع من المياه والمراعي ما يسهل ذلك ، وجعل فيها ما لا يمكن استطراقه أصلاً ، من أن نسبة الكل إلى الطبيعة واحدة ، فلولا أن الفاعل واحد مختار لم يكن هذا

التفاوت وعلى هذا النظام البديع { وأنزل من السماء ماء }تشاهدونه واحداً في اللون والطعم .

وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١)الانبياء

الرازى

١- أن تميد بهم كراهة أن تميد بهم أو لئلا تميد بهم فحذف لا واللام الأولى وإنما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما ترى ذلك في قوله : {لِّئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكتاب } .

٢- الرواسي الجبال ، والراسي هو الداخل في الأرض .

٣- قال ابن عباس: إن الأرض بسطت على الماء فكانت تتكفىء بأهلها كما تتكفىء السفينة ، لأنها بسطت على الماء فأرساها الله تعالى بالجبال الثقال

قوله تعالى : { وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ } وفيه مسائل :

١- الفج الطريق الواسع ، فإن قلت في الفجاج معنى الوصف فمالها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى : {لّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً }

قلت لم تقدم وهي صفة ، ولكنها جعلت حالاً كقوله :

والفرق من جهة المعنى أن قوله سبلاً فجاجاً ، إعلام بأنه سبحانه جعل فيها طرقاً واسعة ، وأما قوله : {فِجَاجاً سُبُلاً } فهو إعلام بأنه سبحانه حين خلقها جعلها على تلك الصفة.

٢- في قوله { فِيهَا } قولان :

أحدهما أنها عائدة إلى الجبال ، أي وجعلنا في الجبال التي هي رواسي فجاجاً سبلاً ، أي طرقاً واسعة ،قال كانت الجبال منضمة فلما أغرق الله قوم نوح فرقها فجاجاً وجعل فيها طرقاً .

الثاني : أنها عائدة إلى الأرض ، أي وجعلنا في الأرض فجاجاً وهي المسالك والطرق.

٣- قوله : {لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ } معناه لكي يهتدوا.

في يهتدون قولان :

الأول : ليهتدوا إلى البلاد .

والثاني : ليهتدوا إلى وحدانية الله تعالى بالاستدلال

٤- قوله تعالى {وَجَعَلْنَا السماء سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ ءاياتها مُعْرِضُونَ } وفيه

١-سمى السماء سقفاً لأنها للأرض كالسقف للبيت .

٢- في المحفوظ قولان :

أحدهما : أن محفوظ من الوقوع والسقوط الذين يجري مثلهما على سائر السقوف كقوله{وَيُمْسِكُ السماء أَن تَقَعَ عَلَى الأرض إِلاَّ بِإِذْنِهِ } [الحج : ٦٥] وقال :{وَمِنْ ءاياته أَن تَقُومَ السماء والأرض بِأَمْرِهِ } [الروم : ٢٥] وقال تعالى : {إِنَّ الله يُمْسِكُ السموات والأرض أَن تَزُولاَ } [فاطر : ٤١] وقال : { وَلاَ يُؤُدهُ حِفْظُهُمَا } [البقرة : ٢٥٥] .
الثاني :محفوظاً من الشياطين قال تعالى : { وحفظناها مِن كُلّ شيطان رَّجِيمٍ} [الحجر : ١٧] ثم ههنا قولان :
أ- أنه محفوظ بالملائكة من الشياطين .
ب- أنه محفوظ بالنجوم من الشياطين

<u>وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥)الحج</u>

<u>الطبرى</u>
وقوله(وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً) يقول تعالى ذكره: وترى الأرض يا محمد يابسة دارسة الآثار من النبات والزرع، وأصل الهمود: الدروس والدثور، والهُمَّد: جمع هامد، كما الركع جمع راكع.
قوله(وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً) قال: لا نبات فيها.
وقوله(فَإِذَا أَنزلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ) يقول تعالى ذكره: فإذا نحن أنزلنا على هذه الأرض الهامدة التي لا نبات فيها ، المطر من السماء اهتزّت يقول: تحركت بالنبات،(وَرَبَتْ) يقول: وأضعفت النبات بمجيء الغيث.
(وَرَبَتْ) بمعنى: الربو، الذي هو النماء والزيادة.
وقوله(وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) يقول جلّ ثناؤه: وأنبتت هذه الأرض الهامدة بذلك الغيث من كل نوع بهيج، يعني بالبهيج ، البهج، وهو الحسن.

<u>الرازى</u>
واعلم أنه تعالى ذكر من منافع الأرض أموراً أربعة :
<u>أ-كونها قراراً وذلك لوجوه :</u>
١- أنه دحاها وسواها للاستقرار
٢- أنه تعالى جعلها متوسطة في الصلابة والرخاوة فليست في الصلابة كالحجر الذي يتألم الإنسان بالاضطجاع عليه وليست في الرخاوة كالماء الذي يغوص فيه
٣- أنه تعالى جعلها كثيفة غبراء ليستقر عليها النور ، ولو كانت لطيفة لما استقر النور عليها ، ولو لم يستقر النور عليها لصارت من شدة بردها بحيث تموت الحيوانات

٤- أنه سبحانه جعل الشمس بسبب ميل مدارها عن مدار منطقة الكل بحيث تبعد تارة وتقرب أخرى من سمت الرأس ، ولولا ذلك لما اختلفت الفصول ، ولما حصلت المنافع

٥- أنه سبحانه وتعالى جعلها ساكنة فإنها لو كانت متحركة لكانت إما متحركة على الاستقامة أو على الاستدارة ، وعلى التقديرين لا يحصل الانتفاع بالسكنى على الأرض

٦-أنه سبحانه جعلها كفاتاً للأحياء والأموات وأنه يطرح عليها كل قبيح ويخرج منها كل مليح .

المنفعة الثانية الأرض : قوله : {وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَاراً } فاعلم أن أقسام المياه المنبعثة عن الأرض أربعة :

١- ماء العيون السيالة وهي تنبعث من أبخرة كثيرة المادة قوية الاندفاع تفجر الأرض بقوة ، ثم لا يزال يستتبع جزء منها جزءاً

٢- ماء العيون الراكدة وهي تحدث من أبخرة بلغت من قوتها أن اندفعت إلى وجه الأرض ولم تبلغ من قوتها وكثرة مادتها أن يطرد تاليها سابقها

٣- مياه القنى والأنهار وهي متولدة من أبخرة ناقصة القوة على أن تشق الأرض ، فإذا أزيل عن وجهها ثقل التراب صادفت حينئذ تلك الأبخرة منفذاً تندفع إليه بأدنى حركة

٤- مياه الآبار وهي نبعية كمياه الأنهار إلا أنه لم يجعل له سيل إلى موضع يسيل إليه ونسبة القنى إلى الآبار نسبة العيون الراكدة فقد ظهر أنه لولا صلابة الأرض لما اجتمعت تلك الأبخرة في باطنها إذ لولا اجتماعها في باطنها لما حدثت هذه العيون في ظاهرها .

المنفعة الثالثة للأرض : قوله : {وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ } والمراد منها الجبال ، فنقول أكثر العيون والسحب والمعدنيات إنما تكون في الجبال أو فيما يقرب منها ، أما العيون فلأن الأرض إذا كانت رخوة نشفت الأبخرة عنها فلا يجتمع منها قدر يعتد به ، فإذن هذه الأبخرة لا تجتمع إلا في الأرض الصلبة والجبال أصلب الأرض ، فلا جرم كانت أقواها على حبس هذا البخار حتى يجتمع ما يصلح أن يكون مادة للعيون ويشبه أن يكون مستقر الجبل مملوءاً ماء ، ويكون الجبل في حقنه الأبخرة مثل الأنبيق الصلب المعد للتقطير لا يدع شيئاً من البخار يتحلل ونفس الأرض التي تحته كالقرعة والعيون كالأذناب والبخار كالقوابل ، ولذلك فإن أكثر العيون إنما تنفجر من الجبال وأقلها في البراري ، وذلك الأقل لا يكون إلا إذا كانت الأرض صلبة . وأما أن أكثر السحب تكون في الجبال فلوجوه ثلاثة :

١- أن في باطن الجبال من النداوات مالا يكون في باطن الأرضين الرخوة
٢- أن الجبال بسبب ارتفاعها أبرد فلا جرم يبقى على ظاهرها من الأنداء ومن الثلوج ما لا يبقى على ظهر سائر الأرضين
٣- أن الأبخرة الصاعدة تكون محبوسة بالجبال فلا تتفرق ولا تتحلل ، وإذا ثبت ذلك ظهر أن أسباب كثرة السحب في الجبال أكثر لأن المادة فيها ظاهراً وباطناً أكثر ، والاحتقان أشد السبب المحلل وهو الحر أقل ، فلذلك كانت السحب في الجبال أكثر . وأما المعدنيات المحتاجة إلى أبخرة يكون اختلاطها بالأرضية أكثر وإلى بقاء مدة طويلة يتم النضج فيها فلا شيء لها في هذا المعنى كالجبال .
المنفعة الرابعة للأرض : قوله : { وَجَعَلَ بَيْنَ البحرين حَاجِزاً } فالمقصود منه أن لا يفسد العذب بالاختلاط ، وأيضاً فلينتفع بذلك الحاجز ، وأيضاً المؤمن في قلبه بحران بحر الإيمان والحكمة وبحر الطغيان والشهوة وهو بتوفيقه جعل بينهما حاجزاً لكي لا يفسد أحدهما بالآخر ، وقال بعض الحكماء في قوله : { مَرَجَ البحرين يَلْتَقِيَان * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَان } [الرحمن : ١٩ ، ٢٠] قال عند عدم البغي {يَخْرُجُ مِنْهُمَا الُّلؤْلُؤُ وَالمَرْجَانُ } [الرحمن : ٢٢] فعند عدم البغي في القلب يخرج الدين والإيمان بالشكر ، فإن قيل ولم جعل البحر ملحاً؟ قلنا لولا ملوحته لأجن وانتشر فساد أجونته في الأرض وأحدث الوباء العام ، واعلم أن اختصاص البحر بجانب من الأرض دون جانب أمر غير واجب بل الحق أن البحر ينتقل في مدد لا تضبطها التواريخ المنقولة من قرن إلى قرن لأن استمداد البحر في الأكثر من الأنهار ، والأنهار تستمد في الأكثر من العيون ، وأما مياه السماء فإن حدوثها في فصل بعينه دون فصل ، ثم لا العيون ولا مياه السماء يجب أن تتشابه أحوالها في بقاع واحدة بأعيانها تشابهاً مستمراً فإن كثيراً من العيون يغور ، وكثيراً ما تقحط السماء فلا بد حينئذ من نضوب الأودية والأنهار فيعرض بسبب ذلك نضوب البحار ، وإذا حدثت العيون من جانب آخر حدثت الأنهار هناك فحصلت البحار من ذلك الجانب ، ثم إنه سبحانه لما بين أنه هو المختص بالقدرة على خلق الأرض التي فيها هذه المنافع الجليلة وجب أن يكون هو المختص بالإلهية ، ونبه بقوله تعالى : {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ } على عظم جهلهم بالذهاب عن هذا التفكر .

أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١)النمل

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤)غافر

قال ابن عباس في قوله {قَرَاراً }أي منزلاً في حال الحياة وبعد الموت {والسماء بِنَاء } كالقبة المضروبة على الأرض ، وقيل مسك الأرض بلا عمد حتى أمكن التصرف عليها {والسماء بِنَاء }أي قائماً ثابتاً وإلا لوقعت علينا

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)فصلت

{وَمِنْ ءاياته أَنَّكَ تَرَى الأرض خاشعة } والخشوع التذلل والتصاغر ، واستعير هذا اللفظ لحال الأرض حال خلوها عن المطر والنبات {فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الماء اهتزت وَرَبَتْ } أي تحركت بالنبات ، وربت : انتفخت لأن النبت إذا قرب أن يظهر ارتفعت له الأرض وانتفخت ، ثم تصدعت عن النبات ، ثم قال : {إِنَّ الذي أحياها لَمُحيي الموتى } يعني أن القادر على إحياء الأرض بعد موتها هو القادر على إحياء هذه الأجساد بعد موتها

الطبري

(الأرْضَ خَاشِعَةً) : أي غبراء متهشمة.

يابسة متهمشة.

قوله:(اهْتَزَّتْ) قال: بالنبات(وَرَبَتْ) يقول: انتفخت.

البقاعي

{ خاشعة } أي يابسة لا نبات فيها فهي بصورة الذليل الذي لا منعة عنده لأنه لا مانع من المشي فيها لكونها متطأمنة بعد الساتر لوجهها بخلاف ما إذا كانت مهتزة رابية متزخرفة تختال بالنبات .

قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤)ق

الرازي

وقوله { قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأرض } يعني لا تخفى علينا أجزاؤهم بسبب تشتتها في تخوم الأرضين ، وهذا جواب لما كانوا يقولون {أَءذَا ضَلَلْنَا فِى الأرض } [السجدة : ١٠] يعني أن ذلك إشارة إلى أنه تعالى كما يعلم أجزاؤهم يعلم أعمالهم من ظلمهم ، وتعديهم بما كانوا يقولون وبما كانوا يعملون ، ويحتمل أن يقال معنى قوله تعالى : { وَعِندَنَا كتاب حَفِيظٌ } هو أنه عالم بتفاصيل الأشياء ، وذلك لأن العلم إجمالي وتفصيلي

والحفيظ يحتمل أن يكون بمعنى المحفوظ ، أي محفوظ من التغيير والتبديل ، ويحتمل أن يكون بمعنى الحافظ ، أي حافظ أجزاءهم وأعمالهم بحيث لا ينسى شيئاً منها ،
الحفيظ بمعنى الحافظ وارد في القرآن ، قال تعالى :{وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ } [الأنعام : ١٠٤] وقال تعالى : { والله حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ } [الشورى : ٦]

الطبرى

وقوله(قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ) يقول تعالى ذكره: قد علمنا ما تأكل الأرض من أجسامهم بعد مماتهم، وعندنا كتاب بما تأكل الأرض وتفني من أجسامهم، ولهم كتاب مكتوب مع علمنا بذلك، حافظ لذلك كله، وسماه الله تعالى حفيظا، لأنه لا يدرس ما كتب فيه، ولا يتغير ولا يتبدل.

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)الملك

الطبرى

يقول تعالى ذكره: الله الذي جعل لكم الأرض ذَلُولا سَهْلا سَهَّلها لكم (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا).
اختلف أهل العلم في معنى(مَنَاكِبِهَا) فقال بعضهم: مناكبها: جبالها.
وقال آخرون:(مَنَاكِبِهَا) : أطرافها ونواحيها.

الرازى

الذلول من كل شيء : المنقاد الذي يذل لك ، ومصدره الذل ، وهو الانقياد واللين ، ومنه يقال : دابة ذلول ، وفي وصف الأرض بالذلول أقوال :
١- أنه تعالى ما جعلها صخرية خشنة بحيث يمتنع المشي عليها ، كما يمتنع المشي على وجوه الصخرة الخشنة
٢- أنه تعالى جعلها لينة بحيث يمكن حفرها ، وبناء الأبنية منها كما يراد ، ولو كانت حجرية صلبة لتعذر ذلك
٣- أنها لو كانت حجرية ، أو كانت مثل الذهب أو الحديد ، لكانت تسخن جداً في الصيف ، وكانت تبرد جداً في الشتاء ، ولكانت الزراعة فيها ممتنعة ، والغراسة فيها متعذرة ، ولما كانت كفاتاً للأموات والأحياء
٤- أنه تعالى سخرها لنا بأن أمسكها في جو الهواء ، ولو كانت متحركة على الاستقامة ، أو على الاستدارة لم تكن منقادة لنا .

البقاعى

{ هو } أي وحده { الذي جعل لكم } لتتوصلوا إلى ما ينفعكم { الأرض } على سعتها وعظمها وجزونة كثير منها {ذلولاً } أي مسخرة لا تمتنع ،

قابلة للانقياد لما تريدون منها من مشي وإنباط مياه وزرع حبوب وغرس أشجار وغير ذلك غاية الانقياد ، بما تفهمه صيغة المبالغة
مع أن فيها أماكن خوارة تسوخ فيها الأرجل ويغوص فيها ما خالطها
ومواضع مشتبكة بالأشجار يتعذر أو يتعسر سلوكها
وأماكن ملأى سباعاً وحيات وغير ذلك من الموانع
وأماكن هي جبال شاهقة إما يتعذر سلوكها كجبل السد بيننا وبين ياجوج وماجوج
ومواطن هي بحور عذبة أو ملحة فلو شاء لجعلها كلها كذلك ليكون بحيث لا يمكن الانتفاع بها
فما قسمها إلى سهول وجبال وبرور وبحور وأنهار وعيون وملح وعذب وزرع وشجر وتراب وحجر ورمال ومدر وغير ذلك إلا لحكمة بالغة وقدرة باهرة ، لتكون قابلة لجميع ما تريدون منها ، صالحة لسائر ما ينفعكم فيها .
{ فامشوا } أي الهوينا مكتسبين وغير مكتسبين إن شئتم من غير صعوبة توجب لكم وثباً أو حبواً { في مناكبها } أي أماكنها التي هي لولا تسهيلنا لمناكب الحيوانات لكانوا ينتكبون عن الوقوف عليها ، فكيف بالمشي ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : إنها الجبال - لأن تذليلها أدل دليل على تذليل غيرها ، وليكن مشيتكم فيها وتصرفكم بذل وإخبات وسكون استصغاراً لأنفسكم وشكراً لمن سخر لكم ذلك.
ولما ذكر سبحانه أنه يسرها للمشي ، ذكرهم بأنه سهلها لإخراج الخيرات والبركات فقال : { وكلوا } ودل على أن الرزق فوق الكفاية بقوله : { من رزقه } أي الذي أودعه لكم فيها وأمكنكم من إخراجه بضد ما تعرفون من أحوالكم فإن الدفن في الأرض مما يفسد المدفون ويحيله إلى جوهرها كما يكون لمن قبرتموه فيها ، ومع ذلك فأنتم تدفنون الحب وغيره مما ينفعكم فيخرجه لكم سبحانه على أحسن ما تريدون ويخرج لكم من الأقوات والفواكه والأدهان والملابس ما تعلمون ، وكذلك النفوس هي صعبة كالجبال وإن قدتها للخير انقادت لك كما قيل«هي النفس ما عودتها تتعود »

<u>وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩)نوح</u>

<u>الطبري</u>

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه، مذكّرهم نِعَم ربه:(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ بِسَاطًا) تستقرّون عليها وتمتهدونها.

وقوله:(لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلا فِجَاجًا) يقول: لتسلكوا منها طرقا صعابا متفرقة؛ والفجاج: جمع فجّ، وهو الطريق.
البقاعي
{الأرض بساطاً } أي سهل عليكم التصرف فيها والتقلب عليها سهولة التصرف في البساط ، ثم علل ذلك فقال : { لتسلكوا } أي منجدين { منها } أي الأرض مجددين لذلك {سبلاً }أي طرقاً واضحة مسلوكة بكثرة {فجاجاً }أي ذوات اتساع لتتوصلوا إلى البلاد الشاسعة براً وبحراً ،

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥)المرسلات
الرازى
ومعنى الكفات في اللغة الضم والجمع يقال : كفت الشيء أي ضممته ، ويقال :جراب كفيت وكفت إذا كان لا يضيع شيئاً مما يجعل فيه ، ويقال للقدر : كفت
وبه انتصب أحياء وأمواتاً كأنه قيل :كافتة أحياء وأمواتاً ، أو بفعل مضمر يدل عليه وهو نكفت ويكون المعنى نكفتكم أحياء وأمواتاً ،
ثم في المعنى وجوه
١-أنها تكفت أحياء على ظهرها وأمواتاً في بطنها والمعنى أن الأحياء يسكنون في منازلهم والأموات يدفنون في قبورهم ، ولهذا كانوا يسمون الأرض إما لأنها في ضمها للناس كالأم التي تضم ولدها وتكفله ، ولما كانوا يضمون إليها جعلت كأنها تضمهم
٢- أنها كفات الأحياء بمعنى أنها تكفت ما ينفصل الأحياء من الأمور المستقذرة ، أنها تكفت (الأحياء) حال كونهم على ظهرها
٣- أنها كفات الأحياء بمعنى أنها جامعة لما يحتاج الإنسان إليه في حاجاته من مأكل ومشرب ، لأن كل ذلك يخرج من الأرض والأبنية الجامعة للمصالح الدافعة للمضار مبنية منها
٤- أن قوله : {أَحْيَاء وأمواتا } معناه راجع إلى الأرض ، والحي ما أنبت والميت مالم ينبت
لم قيل : {أَحْيَاء وأمواتا } على التنكير وهي كفات الأحياء والأموات جميعاً؟ الجواب : هو من تنكير التفخيم ، كأنه قيل : تكفت أحياء لا يعدون ، وأمواتاً لا يحصرون .
دلت الآية على أن الأرض كفات الميت فتكون حرزاً له ، والسارق من الحرز يجب عليه القطع .

من النعم المذكورة في هذه الآية قوله تعالى : { وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شامخات } فقوله : { رَوَاسِيَ } أي ثوابت على ظهر الأرض لا تزول و { شامخات } أي عاليات ، وكل عال فهو شامخ ، ويقال : للمتكبر شامخ بأنفه ، ومنافع خلقة الجبال قد تقدمت في هذا الكتاب .

البقاعي

فقال:{ ألم نجعل }أي نصير بما سببنا بما لنا من العظمة {الأرض كفاتاً }
أي وعاء قابلة لجمع ما يوضع فيها وضمه جمعاً
ولو شئنا لجعلناها ناشرة لكم إذا وضعتم فيها كما تنشر النبات ، وسنجعل ذلك إذا أردنا البعث ،
قال : { أحياء } أي على ظهرها في الدور وغيرها {وأمواتاً } أي في بطنها في القبور وغيرها كما كنتم قبل خلق آدم عليه السلام .

ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦)عبس

الرازي

والمراد شق الأرض بالنبات
او فتقنا الأرض فصدّعناها بالنبات

وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣)الانشقاق

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (الحجر ١٩)

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧)

الرازي

أما قوله : {وَإِذَا الأرض مُدَّتْ } ففيه وجهان
١- أنه مأخوذ من مد الشيء فامتد ، وهو أن تزال حبالها بالنسف كما قال : {وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الجبال فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبّي نَسْفاً } [طه : ١٠٥] يسوي ظهرها ،
كما قال:{قَاعاً صَفْصَفاً لاَّ ترى فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً } طه ١٠٦،١٠٧
وعن ابن عباس مدت مد الأديم الكاظمي ، لأن الأديم إذا مد زال كل انثناء فيه واستوى
٢- أنه مأخوذ من مده بمعنى أمده أي يزاد في سعتها يوم القيامة لوقوف الخلائق عليها للحساب ، واعلم أنه لا بد من الزيادة في وجه الأرض سواء كان ذلك بتمديدها أو بإمدادها ، لأن خلق الأولين والآخرين لما كانوا واقفين يوم القيامة على ظهرها ، فلا بد من الزيادة في طولها وعرضها ،

أما قوله : {وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا } فالمعنى أنها لما مدت رمت بما في جوفها من الموتى والكنوز ،
وهو كقوله : {وَأَخْرَجَتِ الأرض أَثْقَالَهَا } [الزلزلة : ٢]
{وَإِذَا القبور بُعْثِرَتْ } [الإنفطار : ٤]
{ وَبُعْثِرَ مَا فِي القبور } [العاديات : ٩]
وكقوله:{أَلَمْ نَجْعَلِ الأرض كِفَاتاً * أَحْيَاءاً وأمواتا }المرسلات : ٢٥،٢٦
وأما قوله : {وَتَخَلَّتْ } فالمعنى وخلت غاية الخلو حتى لم يبق في باطنها شيء كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو ، كما يقال : تكرم الكريم ، وترحم الرحيم . إذا بلغا جهدهما في الكرم الرحمة وتكلفاً فوق ما في طبعهما

البقاعي

{ وإذا الأرض } أي على ما لها من الصلابة والثخانة والكثافة
فقال : { مدت } أي بسطت بسط الأديم ومطت فامتطت فزيد في سعتها جداً بعد أن تمهدت فصارت دكاء فزالت جبالها وآكامها وتلالها ، فلا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً كما أن الأديم إذا مد كان كذلك فزال تثنيه واتسع .
قال : { وألقت ما فيها } أي أخرجت ما في بطنها من الأموال والكنوز والأموات إخراجاً سريعاً كأنها تقذفه قذفاً ،
وذلك أيضاً كالبساط إذا نقض { وتخلت } أي تعمدت وتكلفت الخلو عن ذلك والترك له بغاية جهدها ، أي فعل ذلك سبحانه فعلاً كانت الأرض كأنها فاعلة له على هذا الوجه ، فصارت خالية عن كل شيء كان في بطنها ، وصار بارزاً على ظهرها ، ولما كان هذا ربما أوهم أنه بغير أمره سبحانه وتعالى قال : { وأذنت لربها } أي فعلت ذلك بإذن الخالق لها والمربي وتأثرت في ذلك عن تأثيره لا بنفسها ، وفعلت فيه كله فعل السميع المجيب { وحقت } أي وكانت حقيقة بذلك كما أن كل مربوب كذلك

الشعراوى

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩)الحجر

وهذه هي اللفتة التي يلفتنا لها الحق سبحانه؛ فلو كانت الأرض مُربعة؛ أو مستطيلة؛ أو مُثلثة؛ لوجدنا لها نهاية وحَافّة ، لكِنّا حين نسير في الأرض نجدها مُمْتدة ، ولذلك فهي لابُد وأن تكون مُدوَّرة .
ذلك أن مُنْحنى الأرض مصنوعٌ بدقة شديدة قد لا تدرك العين مقدارَ الانحناء فيه ويبدو مستقيماً

ونقول : لابد أن الحق سبحانه قد خلقها مُتحركة وعُرْضة لأنْ تضطربَ؛ فخلق لها المُثقّلات ، وهكذا نكون قد أخذنا من هذه الآية حقيقتين؛ التكوير والدوران .
وهناك آية أخرى يقول فيها الحق سبحانه : { وَتَرَى الجبال تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السحاب . . . } [النمل : ٨٨]
ونفهم من هذا القول الكريم أن حركة الجبال ليست ذاتيةً بل تابعة لحركة الأرض؛ كما يتحرك الحساب تبعاً لحركة الرياح .
وشاء سبحانه أن يجعل الجبال رواسي مُثبتات للأرض كي لا تميدَ بنا؛ فلا تميل يَمْنة أو يَسْرة أثناء حركتها .
ويقول الحق سبحانه : { . . . وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ }
وأنبت سبحانه من الأرض كُلَّ شيء موزون بدقّة تناسب الجو والبيئة ، ويضم العناصر اللازمة لاستمرار الحياة .
الشعراوى
وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) الرعد

بعض الناس يفهمون المَدَّ بمعنى البسط ، ونقول : **إن البَسْط تابع للمَدِّ .**
ولذلك وقف بعض العلماء وقالوا : ومن قال إن الأرض كُرَوِيّة؟
وهكذا نجد الأرض ممدودة غير محدودة ، ولا يكون ذلك إلا إذا كانت الأرض مُكوَّرة
معنى آخر هو ضرورة أن ينظر الإنسانُ في هذا الامتداد؛ ومَنْ تضيق به الحياة في مكان يُمكنه أن يرحلَ إلى مكان آخر ، فأرضُ الله واسعة ، والحق سبحانه هو القائل :
{أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا . . . } [النساء : ٩٧]
ونقول : **إن كل شجرة تأخذ من الأرض ما ينفعها؛ ولذلك تختلف النباتات ، ويحدث كل ذلك بقدرة الذي قَدَّر فهدى .**

وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)الغاشية
الرازى
سطحاً بتمهيد وتوطئة ، فهي مهاد للمتقلب عليها ، ومن الناس من استدل بهذا على أن الأرض ليست بكرة وهو ضعيف ، لأن الكرة إذا كانت في

غاية العظمة يكون كل قطعة منها كالسطح ، وقرأ علي عليه السلام كيف خلقت ورفعت ونصبت وسطحت

البقاعي

قال تعالى : { وإلى الأرض } أي مع سعتها { كيف سطحت } أي اتفق بسطها من باسطها حتى صارت مهاداً موضوعاً يمشي عليه بغاية السهولة ، والقدرة على جعلها كذلك على ما هي فيه من الزينة بناضر النبات وغير ذلك من الاختلافات دالة على الفعل بالاختيار ، وليست بدون القدرة على بث الزرابي في الجنة على اختلاف أشكالها وصورها وألوانها .

وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦)الشمس

الطحو كالدحوا وهو البسط ، وإبدال الطاء من الدال جائز ، والمعنى وسعها . قيل: بسطها على الماء .

ومعنى الكلام: والأرض ومَنْ طحاها.

ومعنى قوله:(طَحَاهَا) : بسطها يمينا وشمالا ومن كلّ جانب.

وقيل :والأرض وما خلق فيها.

عن ابن عباس:(وَالأرْضِ وَمَا طَحَاهَا) يقول: ما خلق فيها.

وقال آخرون: يعني بذلك: وما بسطها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما قسمها.

بحث

السطح :ظهر البيتإِذا كان مستوياً لانبساطه؛ معروف، وهو من كل شيءأَعلاه! وسَطَحَ اللهُالأَرضَ سَطْحاً :بسطها.

البسط :نقيض القَبْضِ!والبِساطُ ما بُسِط.

الدحي :الدَّحْوُ: البَسْطُ. دَحَاالأَرضَ يَدْحُوها دَحْواً :بَسَطَها.

المهاد :الفِراش. وقد مَهَدْتُ الفِراشَمَهْداً، المِهادُأَجمع من المَهْدكالأَرضجعلها الله مِهاداً للعباد.

طحاها :طَحَاه طَحْواً وطُحُوّاً :بسطه.

الفراش :فَرَشَ الشيء يَفْرِشُه: بسَطَه. وقوله تعالى: الذي جعل لكم الأَرضفِراشاً؛أَي وِطاءً لم يَجْعلها حَزْنَةً غَليظة لا يمكن الاستقرار عليها.

سطح البحر ومدها، وهكذا ظهرت اليابسة مكان البيت واتسعت من تحته بعد أن كانت الكرة الأرضية مغمورة بالكامل بالماء

روي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله: كانت الكعبة خشعة على الماء فدحيت منها الأرض

تكوّن القارّة الأم بانجيا ثم انقسامها الى القارّات التي نعرفها الآن وبالتالي فإن الكلمات "سطحت" و "دحاها" و "مددناها" و "بسطها" و "فراشاً" و "مهادا" و "طحاها" ليس لها علاقة بشكل الأرض أو بكرويتها وإنما تتعلق بطريقة تشكُل وتوسع اليابسة فوق "سطح الماء" والتي اصبحت" مهداً "و" فراشاً "يصلح لنشأة للحياة البرية وبالتالي نحن؛ فجعلهاالله مِهاداً للعباد.

والى الارض كيف سطحت

(لا يرون بأن الأرض كانت مغمورة بالكامل بالماء، وانما كانت هناك كتلة واحدة منذ البداية فوق سطح الماء تشققت فيما بعد الى القارات التي نعرفها اليوم!

قال تعالى

يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإنس إن اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إلاَّ بِسُلْطَانٍ (الرحمن)٣٣

إذا كانت السماوات والأرض أقطارا، فذلك يعني أنهما حلقات كروية يحيط الأكبر منها الأصغر، بمعنى أن الأرض كرة

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ
(الزمر)٥

فلا يمكن لليل بأن يُكور على النهار ولا يمكن كذلك للنهار بأن يُكور على الليل الا اذا كانت الارض كروية الشكل.

فهل سمعتم عن احد سقط من حافة الأرض فى الفضاء بالطبع لا ام الكرة اينما سرت عليها تجدها ممتدة وليس لها حافة

وقد ذكرَ القرآنُ الكريمُ أن الشمس تجري في قوله تعالى

(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)

تدور الشمس حول محورها،كما تدور الأرض على هيئة النحلة، وكما أن الأرض تدور أيضاً حول الشمس فإن الشمس هي الأخرى تدور حول مركز مجرة درب اللبّانة، وتستغرق دورة الأرض حول محورها الوهمي الذي يمتد من القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي يومًا واحدًا، بينما تستغرق الشمس في دورانها حول محورها مدة شهر تقريباً، بحيث تستغرق دورة المناطق القريبة من خط استواء الشمس مدة أقل من الشهر ببضعة أيام، وتستغرق دورة المناطق القريبة من خط القطبين مدة أكثر من الشهر بأيام قليلة، ويرجع هذا الاختلاف إلى أن الشمس كرة من الغازات،

ولو كان جسم الشمس صلباً لما وُجِدَ هذا الاختلاف في مدة دوران أجزائها المختلفة، وتدور الأرض حول الشمس في مدة سنة، بينما تستغرق الشمس في دورانها مرة واحدة حول مركز المجرة مدة قدرها(٢٢٥) مليون سنة، وهذا يعني أن الشمس تقطع في هذه المدة مسافة تعادل(١٠) بلايين مرة

فكروية الأرض أمر معلوم لدى علماء المسلمين من القرون الأولى، وممن أشار إلى ذلك جماعة من علماء الإسلام مثل شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله- (وكذلك أجمعوا على أن الأرض بجميع حركاتها من البر، والبحر مثل الكرة، قال: ويدل عليه أن الشمس، والقمر، والكواكب لا يوجد طلوعها، وغروبها على جميع من في نواحي الأرض في وقت واحد، بل على المشرق قبل المغرب، قال:فكـُــرة الأرض مثبتة في وسط كرة السماء كالنقطة في الــدائرة، يدل على ذلك أن جــرم كـل كــوكب يُرى في جـــمـــيع نواحي السماء على قدر واحد، فيدل ذلك على بعد ما بين السماء والأرض

ومع تطور الصناعات، وخروج الإنسان من أقطار الأرض فوق سفن الفضاء أصبحت مسألة كروية الأرض، ودورانها أمراً معلوماً لجميع البشر، ومن جميع الأديان.

<u>هناك أدلة في القرآن أو السنة تشير إلى دوران الأرض</u>

دراسة حديث ابن عباس رضي الله عنهما

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا أتاه فسأله عن هــذه الآية (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأرض مِثْلَهُنَّ يَتنزلُ الأمرُ بَينَهُن) يسأله ثلاث مرات فلم يرد عليه شيئا حتى إذا خف عنه الناس قال له الرجل: ما يمنعك أن تجيبني؟! قال: ما يؤمنك إن أخبرتك أن تكفر، قال: أخبرني ؟ قال: سماء تحت أرض، وأرض فوق سماء، مطويات بعضها فوق بعض، يدور الأمر بينهن، كما يدور هذا الجردناب الذي يدور بالغزل عليه قوله (الجرد ناب الذي يدور): قال في القاموس: جَــرَّدَ القطنَ : حلجَهُ.والمقصود به هنا فـَلكَةُ المغُزل، خشبة مستديرة في أعلاها مسمار مثني يدخل فيه الغزل، ويدار لينــفــتــل الــغــزل

<u>دلالة الحديث ومايستفاد منه</u>

أولا: يستفاد من قوله (سماء تحت أرض وأرض فوق سماء) أن الأرض كروية، وأن السماء تحيط بالأرض من كل جهة، وهذا هو الواقع فإن من كان في القطب الجنوبي سيرى السماء فوقه تماما ،كما يرى صاحب

القطب الشمالي السماء فوقه كذلك، فالأراضي الواقعة في القطبين يصدق عليها أنها سماء تحت أرض، وأرض فوق سماء، من الصعوبة استيعاب هذه المعاني في زمانهم، ولذلك تحفظ ابن عباس -رضي الله عنهما.-
ثانيا: في قوله (مطويات، بعضها فوق بعض، يدور الأمر بينهن كما يدور بهذا الكردنا الذي عليه الغزل) إثبات لدوران الأرض وتشبيه لدوران الأرض بزاوية (٥، ٢٣) درجة حول الشمس مثل دوران المغزل وهو أمر معلوم اليوم
عن ابن عباس- رضي الله عنهماأنها مثلية تامة عدداً، وطباقاً، وخلقاً، وقيل: عدداً وأقاليم يفصلها البحار، وقيل:عدداً طباقاً متراكمة كطبقات البصلة مثلاً
وقد جاء في السنة: (أن الأرض سبع أرضين) كما في حديث (من اغتصب أرضاً أو من أخذ شبراً من الأرض طوقه من سبع أرضين) متفق عليه،
وفي حديث موسى (لما قال:يا رب علمني شيئاً أدعوك به فقال: قل لا إله إلا الله، فقال: يا رب كل الناس يقولون ذلك، قال يا موسى لو أن السماوات السبع، وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله) رواه النسائي، فهذه أحاديث صحيحة أثبتت أن الأرضين سبع، ولم يأت تفصيل للكيفية، ولا للهيئة فثبت عندنا العدد، ولم يثبت غيره فنثبته ،ونكل غيره لعلم الله تعالى

الآيات القرآنية الدالة على دوران الأرض وكرويتها

أولا: الآيات القرآنية الدالة على دوران الأرض:

الدليل الأول:

تأمل معي في ترتيب الآيات، قال تعالى:﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٦) وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (٨٧) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨

وجوه الدلالة في هذه الآية:

١- هذه الآية رقم (٨٨) مرتبطة بالآية رقم (٨٦) وهي قوله تعالى (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) وآية النفخ في الصور رقم (٨٧) معترضة بينهما.

٢- في قوله تعالى (تَحْسَبُهَا جَامِدَةً) ( ) حسب فعل من أفعال القلوب من أخوات ظن، ومعناها: وترى الجبال تظنها جامدة أي ثابتة، فنحن الآن في

الدنيا نرى الجبال فنظنها جامدة ثابتة لكنها في الحقيقة هي والأرض تجري جريا سريعا مذهلا كسرعة السحب وجريها، وهنا تأتي دلالة الربوبية العظيمة كيف تتحرك الأرض بجبالها، ولا يشعر الإنسان بحركتها بتاتا دلالة تحرك الأرض بتحرك الجبال منها لأن الجبال هي الأجزاء الناتئة من الكرة الأرضية فظهور تحرك ظلالها متناقصة قبل الزوال إلى منتهى نقصها، ثم آخذة في الزيادة بعد الزوال، ومشاهدة تحرك تلك الظلال تحركا يحاكي دبيب النمل أشد وضوحا للراصد، وكذلك ظهور تحرك قممها أمام قرص الشمس في الصباح والمساء أظهر مع كون الشمس ثابتة في مقرها بحسب أرصاد البروج والأنوار،

فالنبي صلى الله عليه وسلم أطلعه الله على هذا السر العجيب في نظام الأرض كما أطلع إبراهيم عليه السلام على كيفية إحياء الموتى، اختص الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعلم ذلك في وقته وائتمنه على علمه بهذا السر العجيب في قرآنه ولم يأمره بتبليغه إذ لا يتعلق بعلمه للناس مصلحة حينئذ.

و يقول العلامة الشعراوي – رحمه الله- في تفسير هذه الآية:

قوله تعالى { تَحْسَبُهَا جَامِدَةً } [النمل: ٨٨] أي: تظنها ثابتة، وتحكم عليها بعدم الحركة؛ لذلك نسميها الرواسي والأوتاد { وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ } [النمل: ٨٨] أي: ليس الأمر كما تظن؛ لأنها تتحرك وتمر كما يمرّ السحاب، لكنك لا تشعر بهذه الحركة، ولا تلاحظها لأنك تتحرك معها بنفس حركتها

وهَبْ أننا في هذا المجلس، أنتم أمامي، وأنا أمامكم، وكان هذا المسجد على رحاية أو عجلة تدور بنا، أيتغير وضعنا وموقعنا بالنسبة لبعضنا؟

إذن: لا تستطيع أن تلاحظ هذه الحركة إلا إذا كنتَ أنت خارج الشيء المتحرك، ألاَ ترى أنك تركب القطار مثلاً ترى أن أعمدة التليفون هي التي تجري وأنت ثابت.

ولأن هذه الظاهرة عجيبة سيقف عندها الخَلْق يزيل الله عنهم هذا العجب، فيقول {صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ } [النمل: ٨٨] يعني: لا تتعجب، فالمسألة من صُنع الله وهندسته وبديع خَلْقه، واختار هنا من صفاته تعالى: {الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ } [النمل: ٨٨] يعني: كل خَلْق عنده بحساب دقيق مُتقَن.

ثم إن السحاب لا يتحرك بذاته، وليس له موتور يُحركه، إنما يُحرِّكه الهواء، كذلك الجبال حركتها ليست ذاتيّة فيها، فلم نَرَ جبلاً تحرَّك من مكانه، فحركة الجبال تابعة لحركة الأرض؛ لأنها أوتاد عليها، فحركة الوتد تابعة للموتود فيه.

لذلك لما تكلم الحق- سبحانه وتعالى – عن الجبال قال:{وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ }[النحل: ١٥.]
ولو خُلِقتْ الأرض على هيئة السُّكون ما احتاجتْ لما يُثبِّتها، فلا بُدَّ أنها مخلوقة على هيئة الحركة
واستطاعوا بحساب هذه الحركة أنْ يصعدوا إلى سطح القمر، وأن يُطلِقوا مركبات الفضاء ويُسيِّروها بدقة حتى إنَّ إحداها تلتحم بالأخرى في الفضاء الخارجي.
كل هذه الظواهر لو لم تكن مبنية على حقائق مُتيَّقة لأدتْ إلى نتائج خاطئة وتخلفتْ
إنك حين تكون فوق جسم متحرك حركة رتيبة لا اهتزاز فيها فإنك لاتحس بهذه الحركة إلا إذا قست هذا الجسم إلى جسم ثابت الطائرة حين تطير بنا إذا نظرتُ من النافذة فإني أحس بحركة الطائرة، وطيرانها ولكن إذا أقفلنا النوافذ وكان الجو مستقرا ليس فيه أي اضطراب بحيث لم يصاحب هذا الطيران أي اهتزاز فإنني لا أشعر إطلاقا بحركة الطائرة لماذا؟ لأن كل شيئ داخل جسم الطائرة هو ثابت بالنسبة لي فالمقاعد ثابتة وموقع من يجلسون حولي ثابت ولا أحس في هذا بأية حركة ، وكذلك بالنسبة للقطار والسيارة أنت حين تغلق النوافذ وتكون الحركة ذاتية متزنة هادئة لا اهتزاز فيها فإنك لا تحس بالحركة، ولكن إذا فتحت النافذة وقست الحركة إلى شيئ ثابت فإنك تحس بالحركة ، إذن فالله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا أنتم لا يمكنكم أن تدركوا حركة الجبال هذه بحسكم لأن وضعها بالنسبة للأرض ثابت ووضعها بالنسبة لكم ثابت، ووضعها بالنسبة لكل شيئ حولها ثابت، ومن هنا فإنك تحسبها جامدة، ولا تفطن لحركتها أبدا لأنه ليس هناك شيئ أمامك تقيس الحركة به، ولكني أقول لك إن هذه الجبال تتحرك، وهي في حركتها ليست لها حركة ذاتية أي أنها لاتنتقل من مكان إلى مكان فوق الأرض بل تتبع الأرض في دورانها ثم تتعجب أنت لذلك فيقول لك الله سبحانه وتعالى لا تتعجب إنه " صنع الله الذي أتقن كل شيئ

الدليل الثاني على دوران الأرض

قوله تعالى في سورة الأنبياء {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ
أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن الحسن البصري أنه قال: معنى قوله تعالى (في فَلَكٍ) قال: مِثْلِ فَلْكَةِ الْمِغْزَلِ، ومعنى(يَسْبَحُونَ) قال: يَدُورُونَ

أقول: والليل والنهار- اللذين ذكرهما الله عزوجل في هذه الآية- إنما يحدثان على وجه الأرض إذ لو كان المقصود الشمس والقمر لقال كلاهما في فلك يسبح، وقد ارتبط ذكر الليل والنهار في القرآن بالتكوير ودوران الأرض في آيات كثيرة منها الدليل السابق في سورة النمل، و منها في سورة الزمر قوله تعالى{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ }

أقول: فالأرض التي يتكون عليها الليل والنهار تدور وتسبح مع مثيلاتها من الكواكب والنجوم، كلٌ في فلكها المخصص لها بدِقةٍ، وحسابٍ غايةً في الانضباط، فسبحان من خلق فسوى.

وضمير {يُسَبِّحُونْ} عائد إلى عموم آيات السماء وخصوص الشمس والقمر كلا من المذكورات مستقر في فلك لا يصادم فلك غيره، وقد علم من لفظ "كل" ومن ظرفية "في" أن لفظ {فلك} عام، أي لكل منها فلكه فهي أفلاك كثيرة ، وجملة: {يَسْبَحُونَ} في موضع الحال ، والسبح: مستعار للسير في متسع لا طرائق فيه متلاقية كطرائق الأرض، وهو تقريب لسير الكواكب في الفضاء العظيم،والفلك فسره أهل اللغة بأنه مدار النجوم، وهو أحسن ما يعبر عنه عن الدوائر المفروضة التي يضبط بها سير كوكب من الكواكب وخاصة سير الشمس وسير القمر، والأظهر أن القرآن نقله من فلك البحر، وهو الموج المستدير

<u>**الدليل الثالث على دوران الأرض**</u> : قوله تعالى (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها

وجه الدلالة في الآية أن كلمة ذلول تأتي غالبا في لغة العرب وصفا لما يتحرك ويدب ويمشي من الحيوانات التي تُريح راكبها، وتحسن عملها ومن هذا المعنى قوله تعالى:

قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي) البقرة ٧١(قوله لم يذلها العمل فتثير الأرض وفي الناس و رجل ذليل بين الذل بضم الذال

أقول: معلوم أن الدابة الذلول تدب وتمشي فدلالة الآية على حركة الأرض دلالة مطابقة على مقتضى اللغة فكلمة ذلول تطلقها العرب على دابة تتحرك حركة لاتؤذي راكبها وهذه الآية من معجزات القرآن العجيبة في الدلالة على دوران الأرض:

والناس لطول ألفتهم لحياتهم على هذه الأرض؛ وسهولة استقرارهم عليها ،

وسيرهم فيها ، واستغلالهم لتربتها ومائها وهوائها وكنوزها وقواها وأرزاقها جميعاً . . ينسون نعمة الله في تذليلها لهم وتسخيرها . والقرآن يذكرهم هذه النعمة الهائلة ، ويبصرهم بها ، في هذا التعبير الذي يدرك منه كل أحد وكل جيل بقدر ما ينكشف له من علم هذه الأرض الذلول.
والأرض الذلول كانت تعني في أذهان المخاطبين القدامى ، هذه الأرض المذللة للسير فيها بالقدم وعلى الدابة ، وبالفلك التي تمخر البحار، والمذللة للزرع والجني والحصاد، والمذللة للحياة فيها بما تحويه من هواء وماء وتربة تصلح للزرع والإنبات،وهي مدلولات مجملة يفصلها العلم فيما اهتدى إليه حتى اليوم تفصيلاً يمد في مساحة النص القرآني في الإدراك فمما يقوله العلم في مدلول الأرض الذلول : أن هذا الوصف : {ذلولاً } الذي يطلق عادة على الدابة ، مقصود في إطلاقه على الأرض! فالأرض هذه التي نراها ثابتة مستقرة ساكنة، هي دابة متحركة بل رامحة راكضة مُهطعة!! وهي في الوقت ذاته ذلول لا تلقي براكبها عن ظهرها ، ولا تتعثر خطاها ، ولا تخضه وتهزه وترهقه كالدابة غير الذلول! ثم هي دابة حلوب مثلما هي ذلول!
إن هذه الدابة التي نركبها تدور حول نفسها بسرعة ألف ميل في الساعة ، ثم تدور مع هذا حول الشمس بسرعة حوالي خمسة وستين ألف ميل في الساعة ، ثم تركض هي والشمس والمجموعة الشمسية كلها بمعدل عشرين ألف ميل في الساعة ، مبتعدة نحو برج الجبار في السماء ، ومع هذا الركض كله يبقى الإنسان على ظهرها آمناً مستريحاً مطمئناً معافى لا تتمزق أوصاله ، ولا تتناثر أشلاؤه ، بل لا يرتج مخه، ولا يدوخ ، ولا يقع مرة عن ظهر هذه الدابة الذلول!
فدورة الأرض حول نفسها هي التي ينشأ عنها الليل والنهار، ولو كان الليل سرمداً لجمدت الحياة كلها من البرد ، ولو كان النهار سرمداً لاحترقت الحياة كلها من الحر، ودورتها حول الشمس هي التي تنشأ عنها الفصول، ولو دام فصل واحد على الأرض ما قامت الحياة في شكلها هذا كما أرادها الله، أما الحركة الثالثة فلم يكشف ستار الغيب عن حكمتها بعد ، ولا بد أن لها ارتباطاً بالتناسق الكوني الكبير.
وهذه الدابة الذلول التي تتحرك كل هذه الحركات الهائلة في وقت واحد ، ثابتة على وضع واحد في أثناء الحركة يحدده ميل محورها بمقدار٢٣ .٥° لأن هذا الميل هو الذي تنشأ عنه الفصول الأربعة مع حركة الأرض حول الشمس ، والذي لو اختل في أثناء الحركة لاختلت الفصول التي تترتب عليها دورة النبات بل دورة الحياة كلها

<u>الظاهرة اللغوية (كلمة "دحاها" أي بسطها أو جعلها كالدحية)</u> هو من إعجاز القرآن الكريم الصالح لكل زمان ومكان
اخى، كلمة دحاها مأخوذه من كلمة "دحيه" بضم الباء وفتح الحاء وياء مشدده. و "دحيه" تعنى بيضه . وهناك قرى فى مصر تطلق على البيضه لفظ دحيه. دحيه تعنى بيضاويه الشكل
حسب نظرتي المتواضعة والغير ضليعة بعمق المعاني والإعجاز القرآني. وإنما أقول ما أرى ببساطة دون تعقيد، أنني عندما أقول أنني ممدثُ شيئاً فهذا لغوياً يغني أن الشيء الذي قمتُ في مده هو لم يكن بوضع المد.. أي أنني لا أقول ممدته لو أنني خلقتهُ بالأساس ممدوداً..
مثال/ مددتُ الورقة.. مددتُ العجينة .. ولو سألني مثال : من الذي مد هذه العجينة؟ أجيب : أنا الذي مددُتها..
هذه دلالة كافية أن الأرض مكورة وأنه مدها للنا فهي في نظر الانسان منبسطة وهذه لتسهيل الحياة عليها.
اي أن معنى المد ليس بالضرورة شيء ملموس من الفضاء.. فـ الله سبحانه لا يكلم مخلوقات تعيش على سطح القمر..
فالأرض هي كما نراها بأعيننا.. وهنا الأعجاز بحد ذاته.. أن تكون الأرض كروية ولكنها ممدوة بالنسبة لمن يسكنها

<u>معلومات</u>

<u>حجم الأرض</u> : يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) :" لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء"وهذا يوافق ما أثبته علم الفلك الحديث من أن حجم الأرض صغيراً جداً بالنسبة للأجرام الكونية ذات الحجوم الهائلة.

<u>تركيب الأرض</u> : إن فى الأرض سبع طبقات متميزة وهى لب فى مادة صلبة ثم لب خارجى فى مادة سائلة ثم أربعة أوشحة (أغلفة) تلى ذلك ثم قشرة خارجية وهى طبقات متلاصقة بعضها البعض لا يفصل بينها فاصل.

وفى الحديث الشريف : (من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طُوِّق إلى سبع أرضين).

- قال تعالى : اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا" الطلاق١٢

<u>قطر الأرض</u> :إن للأرض أقطار وليس قطر واحد وهذا يتضح من قوله تعالى: -"يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ" الرحمن٣٣.

<u>مكونات الأرض</u>

بالعلم التجريبى وجد أن صخور القشرة الأرضية تتكون من صخور رسوبية ونارية ومتحولة وهذا واضح فيما أشارت اليه هذه الآيات الكريمة:

"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ"فاطر٢٧

جدد : جمع جدة(sill) والمقصود بالجدد البيض : الصخور الرسوبية وحُمْرٌ : الصخور النارية، وغرابيب سود : الصخور البركانية. ولقد ذكرت بعض أنواع الصخور الرسوبية فى بعض الآيات القرآنية منها :

" فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ " الصافات١١،الطين :

" خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ "الرحمن١٤ ، الصلصال :

"وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ " الحجر٢٦

·لقد كشف العلم الحديث أن الليل يحيط بالأرض من كل مكان ، وأن الجزء الذي تتكون فيه حالة النهار هو الهواء الذي يحيط بالأرض ، ويمثل قشرة رقيقة تشبه الجلد وإذا دارت الأرض سلخت حالة النهار الرقيقة التي كانت متكونة بسبب انعكاسات الأشعة القادمة من الشمس على الجزئيات الموجودة في الهواء مما يسبب النهار ،

وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧)يس

ما دام إن للقشرة الأرضية سمك ، إذن لها كتلة وبالتالى لها جاذبية ومغناطيسية نحو مركز الأرض لقوله تعالى "وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ " الحديد٢٥، أى بسبب تكوين مركز الأرض من الحديد فإنه يجذب كل ما فوقه من طبقات الأرض والأغلفة المحيطة بها نحو المركز.

<u>معلومات</u>

كوكب الارض ثالث كواكب المجموعة الشمسية وهو الكوكب الوحيد من ضمن كواكب المجموعة الذي يدعم الحياة وتتوفر فية كل سبل الحياة، ويقدر عمر الارض بنحو ٤.٥ مليار عام.
ويقدر العلماء بأن اول من سكن الارض كائنات دقيقة منذ نحو ٣.٥ الى ٣.٩ مليار عام وبدأت في الماء اول ما بدات، وان اول حياه على الارض بدات بنباتات بسيطة كانت منذ ٤٣٠ مليون سنة، تبعتها الديناصورات بعد ذلك بنحو ٢٢٥ مليون سنة، اما الانسان فيقولون انه عمره على الارض حوالى مليون سنة وهناك اختلافات كثيرة والله اعلم وقد كان الغلاف الجوي للارض في بدايتها يحتوي على ثاني اكسيد الكربون في معظمه، اما الان فان فهو النيتروجين والاكسجين.
تسير الارض بسرعة ١٠٨,٠٠٠ كيلومتر في الساعة وتقع على مسافة الشمس تقدر بحوالي ١٥٠ مليون كيلومتر من
تأخذ الارض ٣٦٥.٢٥٦ يوم للدوران حول الشمس
و ٢٣.٩٣٤٥ ساعة لتدور حول نفسها
الارض يتكون من ٧٨ % نتروجين، ٢١ % أوكسجين و١ % غازات أخرى،
وميل محورها يبلغ ٢٣.٤٥ درجة
ومتوسط درجة حرارة السطح ١٥°
والضغط الجوي يعادل ١.٠١٣ بار.

الأرض هو الكوكب الوحيد في النظام الشمسي الذي يأوي الحياة، دورة كوكبنا السريعة ومركز الارض من النيكل الحديدي السائل يسبب حقل مغناطيسي يغلف الكوكب، الذي يشكل مع الغلاف الجوي حماية من الإشعاع الكوني الضار الذي ترسله الشمس والنجوم الأخرى، كما أن الغلاف الجوي للأرض يحمينا من النيازك، الذي أغلبه يدمر نتيجة الإحتكاك قبل ان يتمكن من أن تضرب سطح الارض.

الغلاف الجوي للأرض

الغلاف الجوي للأرض هو طبقة غازية تتكون من خليط من الغازات وتحيط بالكرة الأرضية وتحافظ عليها جاذبية الأرض من الإنفلات إلى الفضاء الشاسع، ويتكون خليط الغازات هذا في معظمه من غاز النيتروجين الذي يمثل حوالي ٧٨ % ويليه غاز الاكسجين بنسبة ٢١ % وغازات اخرى مثل الارجون وثاني أكسيد الكربون وبخار الماء والهيدروجين والهليوم والنيون والزينون.

ولهذا الغلاف الجوي أهمية قصوى للأرض فهو يوفر البيئة الصالحة للحياة حيث يزود المخلوقات الحية بالهواء اللازم للتنفس، ويعتبر درعا واقيا لها يحمي سكان هذا الكوكب من الإشعاعات الكونية الضارة، وخاصة الأشعة فوق البنفسجية، كما انه ينظم انتشار الضوء بشكل مناسب ويسمح بنفاذ الأشعة المرئية والاشعة تحت الحمراء وغيرها من الاشعات الحرارية والضوئية القادمة من الشمس والتي تمتصها الأرض مما يوفر الدفء وتوزيع مناسب لدرجات الحرارة،

ولو لم يكن هناك غلافا جويا لتجاوزت درجات الحرارة ٢٠٠ درجة مئوية، كما أنه هو الوسط الذي تنتقل فيه الأصوات ولولا وجود الهواء لساد سكون وهدوء مخيف على سطح الأرض.

يقسم الغلاف الجوي للارض إلى خمس طبقات، يكون اسمكها قرب السطح ويخف تدريجيا بالإرتفاع حتى يندمج في النهاية بالفضاء الخارجي.والطبقات هي: طبقة تروبوسفير، طبقة ستراتوسفير، طبقة ميسوسفير، طبقة ثيرموسفير، طبقة إكسوسفير

معلومات

عند بداية دراسة العلماء للأرض قسموها إلى ثلاثة أقسام هي باطن الأرض ويتألف من نواة في المراكز وسطح الأرض وهو عبارة عن قشرة رقيقة مقارنة بحجم الأرض تسمى القشرة الأرضية وبينهما الطبقة الثالثة أطلقوا عليها إسم الوشاح

القشرة الأرضية

وهي الجزء الرقيق من طبقات الأرض، وتبلغ سماكتها تحت اليابسة من ٣٥ إلى ٤٠ كم تقريبا، وتنقسم القشرة إلى قسمين هما

القشرة المحيطية بعمق من ٠ الى ١٠ كيلومترات تقريبا

والقشرة القارية. بعمق ٠ الى ٥٠ كيلومتر،

الوشاح

وهي منطقة تلي القشرة الأرضية، وتم تقسيم هذا الوشاح إلى طبقتين رئيستين هما الوشاح العلوي وهي بعمق ١٠ الى ٤٠٠ كيلومتر والوشاح السفلي. ٤٩.٢ % من كتلة الأرض؛ وبعمق ٦٥٠ الى ٢,٨٩٠ كيلومتر

اللب (القلب)

اللب الخارجي

يبدأ من قاعدة الوشاح وبعمق من ٢,٨٩٠ الى ٥,١٥٠ كيلومتر

اللب الداخلي

يقع في مركز الأرض وبعمق حوالي ٥,١٥٠ الى ٦,٣٧٠ كيلومتر تقريبا، ويمثل ١.٧ % من كتلة الأرض
الشعراوى

الارض

ما أشبه الأرض في عطائها وسخائها بالأم التي تُجزل لك العطاء إنْ بررْتَ بها ، وكذلك الأرض ، بل إن الأم بطبيعتها قد تعطيك دون مقابل وتحنو عليك وإنْ كنت جاحداً ، وكذلك الأرض ألاَ تراها تُخرج لك من النبات ما لم تزرعه أو تتعب فيه؟ فكيف إذا أنت أكرَمتها بالبر؟ لا شك ستزيد لك العطاء .
والحقيقة أن الأرض ليست أُمَّنا على وجه التشبيه ، بل هي أُمّنا على وجه الحقيقة؛ لأننا من ترابها وجزء منها ، فالإنسان إذا مرض مثلاً يصير ثقيلاً على كل الناس لا تتحمله وتحنو عليه وتزيل عنه الأذى مثل أمه ، وكذلك إن مات وصار جيفة يأنف منه كل أخ محب وكل قريب ، في حين تحتضنه الأرض ، وتمتص كل ما فيه ، وتستره في يوم هو أحوج ما يكون إلى الستر
فإذا كانت الأرض تعطيك بالحبة سبعمائة حبة ، فما بالك بخالق الأرض؟ لا شك أن عطاءه سيكون أعظم

الفرق فى (الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا)

أَوَلَمْ يرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ (٤١) الرعد)؟

بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ (٤٤) الانبياء

الرازى

١- المراد أنا نأتي أرض الكفرة ننقصها من أطرافها وذلك لأن المسلمين يستولون على أطراف مكة ويأخذونها من الكفرة قهراً وجبراً فانتقاص أحوال الكفرة وازدياد قوة المسلمين من أقوى العلامات والأمارات على أن الله تعالى ينجز وعده . ونظيره قوله تعالى: { أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى الأرض نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الغالبون }
٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوله : { نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا } المراد : موت أشرافها وكبرائها وعلمائها وذهاب الصلحاء والأخيار
٣- { نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا } بموت أهلها وتخريب ديارهم وبلادهم فهؤلاء الكفرة كيف أمنوا من أن يحدث فيهم أمثال هذه الوقائع؟
ثم قال تعالى مؤكداً لهذا المعنى : { والله يَحْكُمُ لاَ مُعَقّبَ لِحُكْمِهِ }
معناه : لا راد لحكمه ، والمعقب هو الذي يعقبه بالرد والإبطال

ثم قال : { وَهُوَ سَرِيعُ الحساب } قال ابن عباس : يريد سريع الانتقام يعني أن حسابه للمجازاة بالخير والشر يكونسريعاً قريباً لا يدفعه دافع .

<u>وفي تفسير النقصان وجوه :</u>

١- قال ابن عباس رضي الله عنهما ننقصها بفتح البلدان .

٢-قال ابن عباس في رواية أخرى يريد نقصان أهلها وبركتها .

٣- قال عكرمة : تخريب القرى عند موت أهلها .

٤- بموت العلماء

الأظهر من الأقاويل ما يتعلق بالغلبة فلذلك قال : {أَفَهُمُ الغالبون } والذي يليق بذلك أنه ينقصها عنهم ويزيدها في بلاد الإسلام

<u>المحدثين لهم فيها رأيين:</u>

١- الأول أن فيها إعجاز علمي أنها كروية بيضية ننقصها من أطرافها تكون كالبيضة أي ليست على طول واحد في الأطراف وإنما بعضها أقصر من بعض.

٢- والآخر أنها تنقص باستمرار تتكمش الأرض ويقل حجمها، كانت ضخمة كبيرة ثم يتبخر منها شيء من الغازات بشكل مستمر ثم تنقص من أطرافها.

<u>اجتهاد</u>؛ عدد سكان الارض فى فى تكاثر ولذا حجمهم واوزانهم فى ازدياد وذلك مما ينقص من اطراف الارض لان الذى ينقص ليس الباطن انما الظاهر من الارض وكل قطعة من الارض ممكن تكون طرف

السمرائى

<u>ما معنى الآية (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ (٤١) الرعد) ؟</u>

١-أن نأتي البلاد (بلاد الكفر)نفتحها شيئاً فشيئاً ونلحقها بدار الإسلام

٢- والآخر موت العلماء (علماء الإسلام) الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها إن يمت عالم مات طرف، هذا تفسير القدامى.

٣-المحدثين لهم فيها رأيين أيضاً: الأول أن فيها إعجاز علمي أنها كروية بيضية ننقصها من أطرافها تكون كالبيضة أي ليست على طول واحد في الأطراف وإنما بعضها أقصر من بعض.

٤-والآخر أنها تنقص باستمرار تتكمش الأرض ويقل حجمها، كانت ضخمة كبيرة ثم يتبخر منها شيء من الغازات بشكل مستمر ثم تنقص من أطرافهاتنقص أي بصورة مستمرة تنكمش ويصغر حجمها شيئاً فشيئاً يخرج ما يخرج من جوفها. عندما تنقص تتبخرالغازات وتنكمش شيئاً فشيئاً والله أعلم.

الخطاب في الآية عام قال تعالى: (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ (٤٤) الأنبياء) معناها التوجيه الأول أنه فتحها وألحقها بدار الإسلام، وفي موضع آخر قال تعالى (فهم الغالبون) الغلبة تكون للإسلام فالمراد الإسلام بموجب التعقيب، هذا التعقيب (والله يحكم لا معقب لحكمه) .

الشعراوي

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١)الرعد

و { يَرَوْا } هنا بمعنى « يعلموا » ، لأن قوله سبحانه أوثق من الرؤية ، وعلمه أوثق من عينيك .

وتعريف الأرض هنا يجعلها مجهولة عن قارون : { **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأرض . .** . } [القصص : ٨١]

عن الأرض كلها : { **وَعَدَ الله الذين آمَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ الصالحات لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض** . . . } [النور : ٥٥]

وبطبيعة الحال هم لن يأخذوا كل الأرض ، ولكن ستكون لهم السيطرة عليها .

وسبحانه يقول أيضاً : { **فَذَرُوهَا تَأْكُلْ في أَرْضِ الله . . .** } [الأعراف : ٧٣]

وهكذا نفهم أن كلمة « الأرض » تطلق على بُقعة لها حَدث خاص ، أما إذا أُطلقتْ؛ فهي تعني كل الأرض ، مثل قول الحق سبحانه : { **والأرض وَضَعَهَا لِلأَنَامِ** } [الرحمن : ١٠]

ومثل قوله تعالى لبني إسرائيل : { **وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسكنوا الأرض . . .** } [الإسراء : ١٠٤]

مع أنه قد قال لهم في آية أخرى : { **ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ .** } [المائدة : ٢١]

فبعد أنْ حَدَّد لهم الأرض بموقع معين عاد فأطلق الكلمة ، ليدل على أنه قد شاء ألاَّ يكون لهم وَطَن ، وأنْ يظلُّوا مُبعْثَرين ، ذلك انهم رفضوا دخول الموقع الذي سبق وأنْ حَدَّده لهم وقالوا : { إِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَآ أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا . . . } [المائدة : ٢٤]

ولذلك قال الحق سبحانه في موقع آخر : { **وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأرض أُمَماً . . .** } [الأعراف : ١٦٨]

أي : جعلنا كل قطعة بما تحويه من تماسك متفرقة عن القطعة الأخرى ، وهذا هو حال اليهود في العالم؛ حيث يُوجَدُونَ في أحياء خاصة بكل بلد من بلاد العالم؛ فلم يذوبوا في مجتمع ما .

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧)الذاريات

كرر ذكر البناء في السموات ،
قال تعالى : { والسماء وَمَا بناها } [الشمس : ٥]
وقال تعالى : {أَمِ السماء بناها } [النازعات : ٢٧]
وقال تعالى : {جَعَلَ لَكُمُ الأرض قَرَاراً والسماء بِنَاء } [غافر : ٦٤] فما الحكمة فيه؟ نقول فيه وجوه .
١ أن البناء باق إلى قيام القيامة لم يسقط منه شيء ولم يعدم منه جزء ، وأما الأرض فهي في التبدل والتغير فهي كالفرش الذي يبسط ويطوى وينقل ، والسماء كالبناء المبني الثابت ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : {سَبْعاً شِدَاداً } [النبأ : ١٢] وأما الأراضي فكم منها ما صار بحراً وعاد أرضاً من وقت حدوثها .
٢- أن السماء ترى كالقبة المبنية فوق الرؤوس ، والأرض مبسوطة مدحوة والبناء بالمرفوع أليق ، كما قال تعالى :{ رَفَعَ سَمْكَهَا }[النازعات : ٢٨]
٣- قال بعض الحكماء : السماء مسكن الأرواح والأرض موضع الأعمال والمسكن أليق بكونه بناء ، والله أعلم .
وقوله تعالى : {بِأَيْدٍ } أي قوة والأيد القوة وبه فسّر قوله تعالى :
{ذَا الأيد إِنَّهُ أَوَّابٌ } [ص : ١٧] يحتمل أن يقال إن المراد جمع اليد
ودليله أنه قال تعالى : {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } [ص : ٧٥]
وقال تعالى : {مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أنعاما } [يس : ٧١]
فإن قيل فلم لم يقل بنيناها بأيدينا وقال : { وما عملت أيدينا } ؟ نقول لفائدة جليلة ، وهي أن السماء لا يخطر ببال أحد أنها مخلوقة لغير الله والأنعام ليست كذلك ، فقال هناك : {مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا }تصريحاً بأن الحيوان مخلوق لله تعالى من غير واسطة وكذلك {خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } وفي السماء {بِأَيْدٍ } من غير إضافة للاستغناء عنها لم يقل خلقته بيدي ولا قال عملته أيدينا وقال ههنا : { بنيناها } لأن هناك لم يخطر ببال أحد أن الإنسان غير مخلوق وأن الحيوان غير معمول فلم يقل خلقته ولا عملته وأما السماء فبعض الجهال يزعم أنها غير مجعولة فقال :
{ بنيناها }بعود الضمير تصريحاً بأنها مخلوقة .

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧)

وقوله تعالى : {وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ } فيه وجوه
١ أنه من السعة أي أوسعناها بحيث صارت الأرض وما يحيط به من الماء والهواء بالنسبة إلى السماء وسعتها كحلقة في فلاة ، والبناء الواسع الفضاء عجيب فإن القبة الواسعة لا يقدر عليها البناءون لأنهم يحتاجون إلى إقامة آلة يصح بها استدارتها ويثبت بها تماسك أجزائها إلى أن يتصل بعضها ببعض .

٢- قوله : { وإنا لموسعون } أي لقادرون ومنه قوله تعالى : **{لاَ يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** } [البقرة : ٢٨٦] أي قدرتها والمناسبة حينئذ ظاهرة ، ويحتمل أن يقال بأن ذلك حينئذ إشارة إلى المقصود الآخر وهو الحشر كأنه يقول : بنينا السماء ، وإنا لقادرون على أن نخلق أمثالها ، كما في قوله تعالى {أَوَ لَيْسَ الذى خَلَقَ السموات والأرض بقادر على أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم }يس ٨١

٣- {إِنا لَمُوسِعُونَ } الرزق على الخلق .

المراد بالسماء العلو، والمراد بالأيدي النعمة، والمراد بموسعون أي أن النعمة والرزق يبسطهما الله تعالى لعباده.

ومعنى ب{أَيْدٍ} أي بقوة وقدرة.

{إِنَّا لَمُوسِعُونَ}

١- قال ابن عباس : لقادرون.

أي وإنا لذو سعة ، وبخلقها وخلق غيرها لا يضيق علينا شيء نريده. : ٢- وقيل

٣- وقيل : إنا لموسعون الرزق على خلقنا.

٤- عن ابن عباس أيضا. : وإنا لمطيقون

٥- عنه أيضا : وإنا لموسعون الرزق بالمطر.

٦- وقال الضحاك : أغنيناكم ؛ دليله

{عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ} البقرة : ٢٣٦].

٧- وقال القتبي : ذو سعه على خلقنا.

٨ - وقيل : جعلنا بينهما وبين الأرض سعة.

٩- قال الجوهري

بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وأوسع الرجل أي صار ذا سعة وغنى ، ومنه قوله تعالى { **وَالسَّمَاءَ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**} أي أغنياء قادرون

١٠- والسماء بنيناها بقدرة لا يوصف قدرها وإنا لذو سعة واسعة في القدرة فالمعنى بقدر وإنا لذو سعة لا يعجزها شئ، ١١- والسماء بنيناها مقارنا بناؤها لنعمة لا تقدر فنوسع الرزق كيف نشاء وغنى لا تنفد خزائننا بالاعطاء والرزق نرزق من السماء

١٢- ومن المحتمل أن يكون (موسعون) من أوسع في النفقة أي كثرها فيكون المراد توسعة خلق السماء كما تميل إليه الابحاث الفلكية اليوم

وما اراد الله أن وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ كلمتان ، ولكن تحملان من المعاني ما لا يعلمه إلا يعلمه خَلقه .. لقد صدق الله سبحانه وتعالى إذ يقول :

وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (ص/٨٨)

العلم يقول:

في العصر الحديث قالو هي معجزة لان علماء الفضاء وجدوا ان الكون يتوسع

للقرآن الكريم ان يكون معجزة خالدة ، خالدة في تجددها الدائم وليس في وحق لا إعجازها يوم نزل القرآن الكريم ، وصدق من قال : إن القران الكريم بحر زاخر تنتهي نفائسه

: يقول تعالى

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (النمل/٩٣)

١- كتاب موجز تاريخ الكون مؤلفه د هاني رزق

لا بد منذ البداية تاكيد حقيقة محورية تشكل مركز الثقل في نظرية الانفجار الاعظم او النموذج المعياري ... وتتمثل هذه الحقيقة في ان توسع الكون حدث ولا يزال يحدث بسبب قوة الانفجار (لحظة نشوء الكون) فاذا كانت المجرات تندفع بتباعد بعضها عن بعض ، والكون يتوسع باستمرار ، فان ذلك يرجع الى قوة الانفجار الاعظم التي سببت توسعا لفقاعة الانتفاضة الاولى ، وشكلت الجزر الاولية للكون الوليد ، وادت وتؤدي باستمرار الى تباعد المجرات وتوسع الكون ... ويقول : مما لا لبس فيه ان الفضل في التنبؤ بتزايد قطر الكون يرجع الى الرياضي الفيزيائي الروسي (الكسندر فريدمان) الذي وضع نماذجه الرياضية) بناء على قراءة صحيحة للنسبية العامة، ووضع حلولا تنبثق عن هذه القراءة (وبرهن بوساطتها على وجود بداية لهذا الكون حدث فيها الانفجار الاعظم ، وعلى ان هذا الكون يتوسع باستمرار وكما يمكن الاستنتاج من قراءة ابعد لنماذج فريدمان ، ان الكون ربما لا يعاني ارتصاصا اعظم بل قد يبقى بتوسع دائم , اما بمعدل ثابث متوازن ، او بمعدل متسارع

٢- وفي كتاب القران الكريم والعلم الحديث لدكتور منصور محمد حسب النبي رئيس قسم الفيزياء في جامعة القاهرة صفحة ٢٤٠

يقول مؤلفه : توسع او تمدد الكون اعظم ظاهرة اكتشفها العلم الحديث ، ولقد اصبح هذا التوسع مفهوما ثابتا وحقيقة لا جدال فيها ، لدرجة ان المناقشات العلمية تدور فقط حول الطريقة التي يتم بها هذا التوسع او التمدد ! ويقول : لقد تنبأت النظرية النسبية العامة لاينشتاين بهذه الظاهرة واجريت قياسات عملية كثيرة على اطياف المجرات ، ولقد استخدمت ظاهرة دوبلر للازاحة الطبقية لتدعيم هذه النظرية ، وتنشأ ظاهرة دوبلر عندما تتغير المسافة بين المصدر الضوئي والراصد ، واذا زادت المسافة بينهما عندما يتحرك احدهما او كلاهما فان الطيف الضوئي الصادر تحدث له ازاحة معينة نحو الطول الموجي الاكبر بحيث تتناسب الازاحة الطبقية طرديا مع سرعة التحرك ، وتدعى في هذه الحالة بالازاحة الحمراء .

٣- ولقد درس دوين هابل خطوط طيف الامتصاص للمجرات فتبين له ان جميع المجرات خارج مجموعتنا المجرية (درب التبانة) والتي تتبع لها مجموعتنا

الشمسية وكوكبنا الارضي تعطي ازاحة حمراء ، وبهذا استنتج هابل ان معظم المجرات تتباعد عنا وكلما ابتعدت المجرات ازدادت سرعة ارتدادها او تراجعها عنا!

ولقد تبين ان سرعة التراجع تزداد بمقدار ١٧ كلم \ ثانية لكل مسافة قدرها مليون سنة ضوئية

ما معنى هذا؟ معناه : ان المجرة التي تبعد عنا ١٠٠ مليون سنة ضوئية تتراجع او ترتد عنا بسرعة قدرها ١٠٠ ط ١٧ = ١٧٠٠ كم في الثانية الواحدة .. ومثل اخر ان (عنقود كوما) وهو تجمع مجري يبعد عنا ٣٥٠ مليون سنة ضوئية ، فانه يتراجع عنا بسرعة ١٧ ط ٣٥٠ = ٥٩٥٠ كم في الثانية الواحدة ، وهكذا فالمجرة التي تبعد عنا مليار سنة ضوئية تتراجع عنا بسرعة ١٧٠٠٠ كم في الثانية الواحدة وثابت التناسب هنا وقدره ١٧ كم في الثانية لكل مليون سنة ضوئية وهذا الاكتشاف بثابت هابل

وقانون هابل هذا ظاهرة تستدعي الانتباه .. فكل المجرات تتباعد عنا وكلما ابتعدت المجرات ازدادت سرعة تمددها وارتدادها وهذه الظاهرة تدعى ظاهرة تمدد الكون.

ومما يدل على دقة خلق الكون، ومنذ الانفجار الكبير ، وان توسع الكون الناتج عنه وعلى مدى ثلاثة عشر ونصف المليار سنة هو بمنتهى العلم والحساب الدقيق.

<u>٤- يقول العالم البريطاني المعروف بول ديفز:</u>

لقد دلت الحسابات ان سرعة توسع الكون تسير في مجال حرج للغاية ، فلو توسع الكون بشكل ابطأ بقليل جدا عن السرعة الحالية ، لتوجه الى الانهيار الداخلي بسبب قوة الجاذبية ، ولو كانت هذه السرعة اكثر بقليل عن السرعة الحالية لتأثرت مادة الكون وتشتت الكون ، ولو كانت سرعة الانفجار تختلف عن السرعة الحالية بمقدار جزء من مليار ط مليار جزء ، لكان هذا كافيا للاخلال بالتوازن الضروري ، لذا فالانفجار الكبير ليس انفجارا اعتياديا ، بل عملية محسوبة جيدا من جميع الأوجه وعملية منظمة جدا

وماذا نستنتج من كل هذه الشواهد والمعلومات العلمية ؟

يشرح بول ديفز النتيجة الحتمية لهذه الدلائل والتي لا تقبل النقاش فيقول (من الصعب جدا انكار ان قوة عاقلة ومدركة قامت بانشاء هذا الكون المستندة الى حسابات حساسة جدا .. إن التغييرات الرقمية الحساسة جدا والموجودة في أسس الموازنات في الكون ، دليل قوي جدا على وجود تصميم على نطاق الكون)

<u>٥- أما العالم الفيزيائي المشهور ستيفن هوفكن</u> : فهو يتناول في كتابه (التاريخ المختصر للزمن) الدقة المذهلة الموجودة لسرعة توسع الكون في الثانية الاولى

الحرجة من الانفجار الكبير، فيقول : (إن سرعة توسع الكون سرعة حرجة جدا الى درجة انها لو كانت في الثانية الاولى من الانفجار اقل من جزء واحد من مليون ضرب مليار جزء ، لانهار الكون حول نفسه قبل ان يصل الى وضعه الحالي.)

٦- عالم الفلك الاميركي (جورج كرنشتاين) في كتابه) الكون التكافلي

اذا هذا هو مبلغ الدقة المذهلة في تنظيم هذا الانفجار الكبير في تصميم سرعته والنتيجة الحتمية التي يصل اليها هي : كلما دققنا الادلة واجهتنا على الدوام الحقيقة نفسها ، وهي ان هناك قوة عاقلة فوق الطبيعة تدخلت في نشوء الكون

٧- واخيرا يقول دكتور ماهر احمد الصوفي الباحث في وزارة العدل والشؤون الاسلامية والاوقاف في دولة الامارات العربية المتحدة:

حقا انها آية عظيمة لا يمكن ان تصدر عن بشر ولو اجتمعوا لها ، فاذا كان العلم لم يكتشف حقيقة توسع الكون الا بعد عام ١٩٣٠ اي منذ اقل من مائة عام ونحن دخلنا ابواب القرن الواحد والعشرين فكيف ينزل في كتاب حقيقة توسع الكون في وقت كانت البشرية كلها تعيش جهلا حقيقيا عن علم السماء وما فيها ، فسبحان رب السماوت ورب الارض رب العرش عما يصفون، يقول تعالى:

وَلَهُ الْكِبْرِيَاء فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (الجاثية/٣٧)

وكما أن الأراضين السبع مكورة ومتطابقة في أرضنا على هيئة ستة نطق تغلف كرة من الحديد والنيكل، ويحيط بعضها ببعض ـ بمعنى أن يغلف الخارج منها الداخل فيها ـ فلابد أن تكون السماوات السبع مكورة ومتطابقة ويغلف الخارج منها الداخل فيها.

ويامعشر الباحثين عن الحقيقة ألم تجدوا الأراضين السبع طباقا" من بعد أرضكم وأن القرآن يتنزل بين السماوات والأراضين السبع فأنظروا لماذا تجدون هذه الأرض خارجة عن الرقم سبعة وأن السماوات تحيط بها من جميع الجوانب وأن الأراضين السبع تحت منها فتجدون بأنها حقا" مركز الكون كُله وتُحيط بها السماوات السبع والأراضين السبع وجميع الكواكب والنجوم من جميع الجوانب وسوف أخبركم متى سوف توقنون .. إنه يوم يجعل الله عالي أرضكم سافل الأراضين السبع ليمطر عليكم كوكب سجيل بالحجارة في الدُخان المُبين ومن ثم تقولون ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) فانتظروا إني معكم من المُنتظرين

ـ استخدام كلمة (السماء) في سورة العنكبوت وعدم استخدامها في سورة الشورى

قال تعالى في سورة الشورى (**وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** (٣١))

وقال في سورة العنكبوت (**وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** (٢٢))
أما السياق في سورة الشورى ففي الكلام على نِعم الله تعالى في الأرض وفي شؤون أهل الأرض
أما السياق في سورة العنكبوت ففي الدعوة إلى النظر والتدبر في العلم والبحث **أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** (١٩)) وهذا هو الذي يوصل إلى السماء، سيكون البحث والنظر والتدبر للعلم سيجعله يصعد للسماء وحتى عند ذلك لن يكون معجزاً. وهذا الذي يجعل الإنسان ينفذ إلى السماء.
ثم إن كلمة (السماء)نفسها لم ترد في سورة الشورى أبداً لكنها وردت في سورة العنكبوت ٣ مرات

<u>وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (١٧)</u>

نلحظ أن للعدد سبعة مواقف في هذه السورة وأسراراً يجب أن نتأملها ، ففي استهلال السورة ذكر سبحانه سبعة أصناف : {قَدْ أَفْلَحَ المؤمنون * الذين هُمْ . . } [المؤمنون : ١ - ٢] .
وفي مراحل خَلْق الإنسان نجده مَرَّ بسبعة أطوار : سلالة من طين ، ثم نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاماً ، ثم لحماً ، ثم أنشأناه خَلْقاً آخر .
<u>وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ . .</u> } [المؤمنون : ١٧] .
وفي موضع آخر قال : { **الله الذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأرض مِثْلَهُنَّ** . . } [الطلاق : ١٢] .
فهذه سبعة للغاية ، وسبعة للمغيَّا له ، وهو الإنسان ، وسبعة للسماوات والأرض المخلوقة للإنسان .
وطرائق : جمع طريقة أي : مطروقة للملائكة ، والشيء المطروق ما له حجم يتسع بالطَّرْق ، كما تطرق قطعة من لحديد مثلاً ، فانظر إلى السماء واتساعها .
وقُلْ : سبحان مَنْ طرقها .
وتلحظ أن الحق سبحانه لم يذكر هنا الأرض ، لماذا؟ قالوا : لأن الأرض نقف عليها ثابتين لا نخاف من شيء ، إنما الخوف من السماء أنْ تندكّ فوقنا؛

<u>يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ</u>

إذن : فهي أرض غير الأرض؛ وسماء غير السماء؛ لأن الأرض التي نعرفها هي أرض أسباب؛ والسماء التي نعرفها هي سماء أسباب .
وفي جنة الآخرة لا أسبابَ هناك؛ لذلك لا بُدّ أن تتبدَّل الأرض ، وكذلك السماء .
السمرائى

<u>- ما دلالة كلمة (مثلهنّ) في قوله تعالى (ومن الأرض مثلهنّ) في سورة الطلاق؟</u>

قال تعالى في سورة الطلاق (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ {١٢})
والمثلية هنا ليس بالعدد إنما لها أمور كثيرة لا نعرفها نحن. كما قال تعالى
(وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنّة حيث نشاء)
وقوله تعالى (يوم تُبدّل الأرض غير الأرض والسموات) .

- معنى (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك)

قال تعالى في سورة هود **(فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ {١٠٦} خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ {١٠٧} وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ {١٠٨})**
أولاً السموات والأرض في هذه الآية هي غير السموات والأرض في الدنيا بدليل قوله تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات).
أما الإستثناء فلأن الخلود ليس له أمد، والحساب لم ينته بعد ولم يكن أهل الجنة في الجنة ولا أهل النار في النّار فاستثنى منهم من في الحساب.
وقول آخر أن أهل النار قد يُخرج بهم إلى عذاب آخر أما أهل الجنة فهناك ما هو أكبر من الجنة ونعيمها وهو رضوان الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم والله أعلم.
قسم يقولون أن الإستثناء هو في مدة المكث في الحشر (مدته خمسين ألف سنة)
وقسم من قال هذا حتى يقضي الله تعالى بين الخلائق،
وقسم قال هم من يخرجون من النار من عصاة المسلمين،
وقسم قال الإستثناء من بقائهم في القبر وخروجهم من الدنيا ،
وقسم قال هو إستثناء من البقاء في الدنيا
وهذه المعاني كلها قد تكون مرادة وتفيد أنهم خالدين فيها إلا المدة التي قضاها الله تعالى قبل أن يدخلوا الجنة أو قد تكون عامة لكن قضى الله تعالى أن يكونوا خالدين.
الشعراوي

{لَخَلْقُ السماوات والأرض أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ الناس ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ } [غافر : ٥٧]
لماذا؟ . لأن الناس من الأرض قد خُلقوا ، وبما في الأرض عاشوا ، فالأصل هو أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس؛ فالناس أبناء الأرض ، واقتياتهم منها وبقاء حياتهم عليها . ومن المعقول أن الحق سبحانه قد خلق ما يخلق منه الإنسان قبل أن يخلق الإنسان ، وحتى يعيش ذلك الإنسان أمده الله بجنس ما خُلِق منه

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥)

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السمآء والأرض بِأَمْرِهِ . . . } [الروم : ٢٥] لا يهتز لها نظام أبداً ، ولا تجد فيها فروجاً ، لأنها محْكَمة البناء ،

وانظر إليها حين صفاء السماء وخُلوِّها من السحب تجدها ملساء ذات لون واحد على اتساعها ، أيستطيع أحد من رجال الدهانات أن يطلي لنا مثل هذه المساحة بلون واحد لا يختلف؟

وإذا أخذنا السماء على أنها كُلُّ ما علاك فأظلّك ، فانظر إلى الشمس والقمر والنجوم والكواكب ، وكيف أنها تقوم بأمر الله خالقها على نظام دقيق لا اختلالَ فيه ، فلم نَر مثلاً كوكباً اصطدم بآخر ، ولا شيئاً منها خرج عن مساره .

وصدق الله تعالى {كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } [الأنبياء : ٣٣] فلكل منها سرعة ، ولكل منها مداره الخاص ونظام بحسبان؛ ذلك لأنها تقوم بأمر الله وقدرته تعالى فهي منضبطة تؤدي مهمتها دون خلل ، ودون تخلّف .

فمعنى { تَقُومَ . . . } [الروم : ٢٥] يعني : تظل قائمة على حالها دون فساد ، وهو فعل مضارع دالٌّ على استمرار

وهذه الكواكب تتفاوت في قُرْبها أو بُعْدها عن الشمس ، فأقربها من الشمس عطارد ، ثم الزهرة ، ثم الأرض ، ثم المشتري ، ثم المريخ ، ثم زحل ، ثم أورانوس ، ثم نبتون ، ثم أبعدها عن الشمس بلوتو . ولكل منها مداره الخاص حول الشمس وتسمى (عام) ، ودورة حول نفسه تسمى (يوم) .

وعجيب أن يوم الزهرة ، وهو ثاني كوكب من الشمس يُقدَّر ب ٤٤يوماً من أيام الأرض ، في حين أن العام بالنسبة لها يُقدَّر ب ٢٥يوماً من أيام الأرض ، فالعام أقل من اليوم ، كيف؟ قالوا : لأن هذه دورة مستقلة ، وهذه دورة مستقلة ، فهي سريعة في دورانها حول الشمس ، وبطيئة في دورانها حول نفسها .

ولو علمتَ أن في الفضاء وفي كون الله الواسع مليون مجموعة مثل مجموعتنا الشمسية في (سكة التبَّانة) ، وهذا كله في المجرة التي نعرفها - لو علمت ذلك لتبيَّن لك عظَم هذا الكون الذي لا نعرف عنه إلا القليل

الفرق بين خَلْقُ السماوات والأرض و خَلْق الناس

لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) [غافر] .

والبشر كما نعلم لا يعيش فرد منهم مِثْلما تعيش السماء؛ فالفرد يموت ويُولَد غيره؛ وكُلُّ البشر يأتون ويذهبون ، والشمس باقية ، وكذلك الأرض

وهذا السيد عمره ومروره في الحياة عبور ، فعمره فيها يطول أو يقصر ينتهي إلى الموت ، في حين أن الجمادات التي تخدمه عمرها أطول من عمره ، وهي خادمة له ، فكان لزاماً عليه أنْ يتأمل هذه المسألة : كيف يكون عمر الخادم أطول وأبقى من عمر السيد المخدوم؟

ويقول : صحيح أنت أيها الإنسان سيد هذا الكون وكل مخلوقاتي في خدمتك ، لكن خَلْقها أكبر من خَلْقك

وتأمل منذ خلق الله الكون كم جيل من البشر انتفع بالشمس؟ ومع ذلك انذثروا جميعاً ، وما زالت الشمس باقية ، كذلك القمر والهواء والجبال . . الخ . فكيف وأنت سيد هذا الكون يكون خادمك أطول عمراً منك؟

إذن : على العاقل أن يتأمل ، وعلى الإنسان الذي كرَّمه الله على سائر المخلوقات أن يقول :لا بُدَّ أن لي عمراً أطول من عمر هذه المخلوقات التي تخدمني ، وهذا لا يتأتى إلا حين تصل عمرك في الدنيا بعمرك في الآخرة

لماذا؟

١-لأن الناس أعماراً محددة ، مهما طالت لا بُدَّ أن تنتهي إلى أجل ،

٢-ثم إن هذه الأعمار لا تَسْلم لهم ، إنما تنتابها الأغيار ، فالغنيّ قد يفتقر ، والصحيح قد يمرض ، والقوي قد يضعف ،

أمّا الشمس والقمر والنجوم والكون كله فلا يتعرض لهذه الأغيار فما رأينا الشمس أو القمر أو النجوم أصابتها علة وانتهت كانتهاء الإنسان ،

٣- ثم أنتَ لستَ مثلها في العظمة المستوعبة؛ لأن قصارى ما فيك أنك تخدم نفسك أو تخدم البيئة التي حولك ، أمَّا هذه المخلوقات فتخدم الكون كله .

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٤٤) العنكبوت

والخَلْق : إيجاد المعدوم ، لكن الغرض مخصوص ، ولمهمة يؤديها ، فإنْ خلقت شيئاً هكذا كما اتفق دون هدف منه فلا يُعَد خلقاً .

إذن : فنحن نعرف الأوائل في كل المجالات ، وننسب كل صنعة وكل اختراع واكتشاف إلى صاحبه ، بل ونُخلِّد ذكراه ، ونقيم له تمثالاً . . إلخ .

إذن : فما بالك بالخالق الأعظم سبحانه الذي خلق السماوات والأرض وما فيهما ومَنْ فيهما ، أليس من حقه أن يعلن عن نفسه؟ أليس من حقه على عباده أن يعترفوا له بالخَلْق؟ خاصة وأن خَلْق السماوات والأرض لم يدَّعه أحد لنفسه ، ولم ينازع الحق فيه منازع.

قالوا : الحق - تبارك وتعالى - لا يريد بهذه الآية أن يخبرنا أنه خالق السماوات والأرض ، إنما يريد أن يخبرنا أن خَلْق السماوات والأرض بالحق ، والحق : الشيء الثابت الذي لا يتغير مع الحكمة المترتبة على كل شيء في الوجود ، فإذا نظرنا إلى خَلْق السماوات والأرض لوجدناه ثابتاً لم يتغير شيء فيه .

{ لَخَلْقُ السماوات والأرض أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ الناس . . . } [غافر : ٥٧] فالناس تُولَد وتموت وتتجدد ، أمّا السماء والأرض وما بينهما من نجوم وكواكب فهو خَلْق هائل عظيم منضبط ومنظوم طوال هذا العمر الطويل ، لم يطرأ عليه خَلَل أو تعطُّل .

لذلك يقول سبحانه في الحديث القدسي : « يا ابن آدم ، خلقتُ الأشياء من أجلك ، وخلقتُك من أجلي ، فلا تنشغل بما هو لك عمن أنت له » .

فالكون مملوك لك ، وأنت مملوك لله ، فلا تنشغل بالمملوك لك عن المالك لك

خلق السماء والأرض في ستة أيام ،

وكل آيات الخلق تأتي بخبر الستة أيام وهي مجملة .

لكنه شاء سبحانه في موضع آخر بالقرآن أن يقول :**{قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بالذي خَلَقَ الأرض فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ العالمين * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا في أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ** } [فصلت : ٩-١٠]

وظاهر الأمر هنا أن المهمة قد اكتمل أمرها وخلقها في ستة أيام ، لكنه قال جل وعلا بعدها :

{ثُمَّ استوى إِلَى السمآء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائتيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ . . } [فصلت : ١١-١٢]

وهنا في موقف أيام خلق الدنيا نجد إجمالاً وتفصيلاً ، والتفصيل يصل في ظاهر الأمر بأيام الخلق إلى ثمانية ، والإجمال يحكي أنها ستة أيام فقط .

فهل هي ستة أيام أم ثمانية أيام؟ نقول : إنها ستة أيام لأننا نستطيع أن ندخل المفصل بعضه في بعضه ، فإذا قلت : سافرت من مصر إلى طنطا في ساعتين ، وإلى الإسكندرية في ثلاث ساعات ، فمعنى هذا القول أن الساعتين دخلتا في الثلاث الساعات

مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٥٥)

ثم ذكر لنا مع الأرض مراحل ثلاث : { مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أخرى } [طه : ٥٥] .

وفي آية أخرى يذكر مرحلة رابعة ، فيقول : {فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ } [الأعراف : ٢٥] .

بذلك تكون المراحل أربعة :منها خلقناكم ، وفيها تحيَوْن ، وإليها تُرجعون بالموت ، ومنها نُخرجكم بالبعث .

. إذن : فأنت من الأرض بواسطة أو بغير واسطة .

فلما حلّل العلماء طينة الأرض وجدوها ستة عشر عنصراً تبدأ بالأكسوجين ، وتنتهي بالمنجنيز ، وحين حلّلوا عناصر الإنسان وجدوها نفس العناصر الستة عشر.
ومن العجائب في نَقض بنية الإنسان بالموت أنها تتم على عكس بنائه ، فعندما تكلم الخالق عز وجل عن الخلق الأول للإنسان قال : إنه خلق من تراب ، ومن طين ، ومن حمأ مسنون ، ومن صلصال كالفخار . وقلنا : إن هذه كلها أطوار للمادة الواحدة ، ثم بعد ذلك ينفخ الخالق فيه الروح ، فتدبّ فيه الحياة .
فإذا ما تأملنا الموت لوجدناه على عكس هذا الترتيب ، كما أنك لو بنيتَ عمارة من عِدَّة أدوار ، فآخر الأدوار بناءً أولها هَدْماً .

الابل

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧)الغاشية

البقاعي
{ إلى الإبل } ونبه على أن عجيب خلقها مما ينبغي أن تتوفر الدواعي على الاستفهام والسؤال عنه بأداة الاستفهام ،
١- حيث خلقها لجر الأثقال إلى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة به من غير معين
٢- منقادة لمن اقتادها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار الثقال
٣-ترعى كل نبات وتحتمل العطش إلى عشر فصاعداً ليتأتى بها قطع المفاوز ، فهي سفن البر مع ما لها من منافع أخر
٤-هي أشرف المركبات وأكثرها صنعاً ولأنها أعجب ما عند العرب
٥-وتنفعل للبسط وتجد في سيرها فتتأثر بالصوت الحسن جداً ٠(الحادى)

٦-ومن عجائبها أنها لا تكذب أصلاً فإنها لا تبرك عجزاً عن الحمل - إلا وليس فيها من القوى شيء
٧- وليس فيها ما تعم كراهته إلا كثرة رغائها فلعله سبحانه نفى عن الجنة اللغو لذلك ، ولعله مثل العين الجارية وقربها بدرها
٨-والسرر المرفوعة التي حكى أنها تنخفض حتى يتمكن المنتفع بها من ظهورها ثم ترتفع به بالسماء في علوها مع ما يعهدون من بروك الإبل للحمل والركوب ثم ارتفاعها لتمام الانتفاع
٩- وقرب نصب الأكواب بسنامها والنمارق ببقيتها حال بروكها
١٠- ثم فصل ما دلت عليه الإبل من الأكواب بالجبال التي لا ترتقى مثل جبل السد ، والنمارق بالتي ترتقى ، وبسط الزرابي بمهد الأرض
فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧)

الرازى

فنقول الإبل له خواص منها أنه تعالى جعل الحيوان الذي يقتنى أصنافاً شتى فتارة يقتنى ليؤكل لحمه
وتارة ليشرب لبنه
وتارة ليحمل الإنسان في الأسفار
وتارة لينقل أمتعة الإنسان من بلد إلى بلد
وتارة ليكون له به زينة وجمال
وهذه المنافع بأسرها حاصلة في الإبل ، وقد أبان الله عز وجل عن ذلك بقوله ثانيها : أنه في كل واحد من هذه الخصال أفضل من الحيوان الذي لا يوجد فيه إلا تلك الخصلة لأنها
١- إن جعلت حلوبة سقت فأروت الكثير
٢- وإن جعلت أكولة أطعمت وأشبعت الكثير
٣- وإن جعلت ركوبة أمكن أن يقطع بها من المسافات المديدة ما لا يمكن قطعه بحيوان آخر ،
٤- وذلك لما ركب فيها من قوة احتمال المداومة على السير والصبر على العطش والاجتزاء من العلوفات بما لا يجتزىء حيوان آخر ،
٥- وإن جعلت حملة استغلت بحمل الأحمال الثقيلة التي لا يستقل بها سواها ،
٦-ومنها أن هذا الحيوان كان أعظم الحيوانات وقعاً في قلب العرب ولذلك فإنهم جعلوا دية قتل الإنسان إبلاً ،

٧- وكان الواحد من ملوكهم إذا أراد المبالغة في إعطاء الشاعر الذي جاءه من المكان البعيد أعطاه مائة بعير ، لأن امتلاء العين منه أشد من امتلاء العين من غيره ، ولهذا قال تعالى : { وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ } [النحل : ٦]
٨-ومنها أنى كنت مع جماعة في مفازة فضللنا الطريق فقدموا جملاً وتبعوه فكان ذلك الجمل ينعطف من تل إلى تل ومن جانب إلى جانب والجميع كانوا يتبعونه حتى وصل إلى الطريق بعد زمان طويل فتعجبنا من قوة تخيل ذلك بالحيوان أنه بالمرة الواحدة كيف انحفظت في خياله صورة تلك المعاطف حتى أن الذين عجز جمع من العقلاء إلى الاهتداء إليه فإن ذلك الحيوان اهتدى إليه
٩- ومنها أنها مع كونها في غاية القوة على العمل مباينة لغيرها في الانقياد والطاعة لأضعف الحيوانات كالصبي الصغير لان لها عيون تكبر الصغير
١٠ومبانية لغيرها أيضاً في أنها يحمل عليها وهي باركة ثم تقوم
فهذه الصفات الكثيرة الموجودة فيها توجب على العاقل أن ينظر في خلقتها وتركيبها ويستدل بذلك على وجود الصانع الحكيم سبحانه ، ثم إن العرب من أعرف الناس بأحوال الإبل في صحتها وسقمها ومنافعها ومضارها فلهذه الأسباب حسن من الحكيم تعالى أن يأمر بالتأمل في خلقتها

صفات اخرى للابل
١- الحياء والخجل عند الجماع فاما ان تنزوى الى مكان قصى واما ان تغطى بغطاء
٢- كانت دليل على موقع مسجد الرسول ص عندما بركت فيه فى المدينة
٣-تخزين المياه والغذاء فى سنمها فتجتر وتستفاد به عند الحاجة
٤-استخدام لبن وبول الابل كعلاج وشفاء
٥- لا يتم ذبحها وانما يت نحرها
٦- خاصية ان لها خف يساعدها على السير فى الاماكن الوعرة
٧-من اهتزازها وحركتها فى المشى تعلم الانسان استخلاص الزبد من اللبن
٨- تستخدم فى المسابقات فى الجرى
٩-الغائط منها ليس له رائحة ومتماسك وصلب ومكانها نظيف
١٠-تستخدم فى المعاملات وكمهر للزواج

بحث فى الابل

هو حيوان من رتبة شفعيات الأصابع، من فصيلة الجمليات. يشتهر بالكتلة الدهنية على ظهره التي تسمى السنام. ويسمى شعر الجمل بالوبر.
متوسط مأمول الحياة للجمل هو ٣٠ إلى ٤٠ سنة. وطول الجمل كامل النمو هو ١.٨٥ م عند الأكتاف و٢.١٥ م عند السنام. يرتفع السنام لحوالي ٧٦ سم عن الجسم. وتصل سرعة الإبل إلى ٦٥ كيلومتر في الساعة، ويمكنها أن تستمر على سرعة ٤٠ كم/ساعة.
والجمل حيوان سريع الانقياد ينهض بالحمل الثقيل ويبرك به.

زينة الإبل:

الرحل : الرحل هو السرج الذي يوضع على الناقة ليجلس عليه الراكب.
الوضين :يثبت الرحل على الناقة باستخدام حبل أو رباط مما كان متاحاً من المواد، كالصوف أو الشعر وينسج نسجاً.
الخطام : الخطام :هو المقود الذي يقاد به البعير وتعريفه "ما وضع في أنف البعير ليقاد به "
الغبيط : الغبيط هو الهودج الذي يجعل على ظهر البعير فوق الرحل، ويقصد منه أن تجلس فيه المرأة وهي في ستر، وقد يسمى هذا الغبيط بالظعائن والظعن وهذا مشهور في الشعر.

الرجازة والنحيزة
الرجازة: وهي شعر أو صوف يعلق على الهودج في خيوط يزين بها...
أما النحيزة فهي: "نسيجة طويلة يكون عرضها شبراً وعظمة ذراع تعلق على الهودج يزين بها".

ألفاظ الإبل التى وردت فى القرآن العزيز :

١- **الإبل**: اللغة: الإبل لا واحد لها من لفظها وهي مؤنثة
وقد ورد لفظ الإبل في القرآن الكريم في عدة مواضع، وبألفاظ مختلفة، هي: لفظ الإبل الذي ورد في موضعين هما
قوله تعالى: **{وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْن}**... (الأنعام: ١٤٤)،
وقوله تعالى: **{أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ}**... (الغاشية: ١٧).
٢- **الناقة** : هي أنثى الجمل، قال أهل اللغة: وهي تدل على المفرد وجمعها نوق، أو أنُوقٌ، وأيُق، وأيانِق، ونِياق.
ولفظ الناقة ورد في سبعة مواضع، مرتان في سورة الأعراف، ومرة واحدة في كلِ السور الآتية: هود - الإسراء – الشعراء- القمر - الشمس• وكلها تشير إلى ناقة النبي صالح

هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣)الاعراف

فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧)الاعراف

وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤)هود

وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩)الاسراء

قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (١٥٥)الشعراء

إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧)القمر

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣)الشمس

٣ - <u>العِير</u>: وقد ورد في القرآن لفظة العير فقد وردت فقط في سورة يوسف ثلاث مرات.

ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠)يوسف

وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢)يوسف

وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ (٩٤)يوسف

والعير: القوم معهم حملهم من المِيرَة، يقال للرجال وللجمال معاً، ولكل واحد منهما دون الآخر.
إذاً العير هي الإبل التي تحمل الطعام وغيره.

٤- <u>البدن:</u> أما لفظة (البدنة)
يقع على الواحدة من الإبل والبقر والغنم، سميت بذلك لعظم بدنها.
فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " مَن اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ، ثُمّ رَاحَ. فَكَأَنّمَا قَرّبَ بَدَنَة " الحديث، رواه مسلم.

٥ - <u>الجمل</u> :ورد اسم الجمل مفرداً بالنص الصريح مرة واحدة في قوله تعالى{إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُجْرِمِينَ}... (الأعراف:٤٠).

فأما معنى (سَمِّ) :فهو ثقب الإبرة، وكل ثقب لطيف في البدن كالأنف أو غير ذلك يسمى سَمّا وجمعه سموم. وجمع السم القاتل سِمام.
وأما الخِياط: فإنه المِخْيَط، أي ما يخاط به: وهي الإبرة.
قال القرطبي: والجمع من الجمل: جِمال وأجمَال وجِمَالات وجمائل. وإنما يسمى جملاً إذا بلغ أربع سنوات.

٦ - الهِيم : قال الله: { **فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ**}... (الواقعة : ٥٥): الهيم هي الإبل العطاش

٧ - البعير: قال أهل اللغة: البعير يشمل الجمل والناقة كالإنسان للرجل والمرأة، وإنما يسمى بعيراً إذا أجذع، والجمع أبعِرة، وأباعر، وبُعران. وقد جاء ذكره فقط في سورة يوسف.

وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥)يوسف
قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢)يوسف

٨ - الأنعام : وهي: الإبل، والبقر، والغنم..
قال أهل اللغة: وأكثر ما يقع على هذا الاسم الإبل.
والأنعام يذكر ويؤنث قال الله: {مِمَّا فِي بُطُونِهِ}... وقال: {مِمَّا فِي بُطُونِهَا}.
قال الله: **{وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ}** (النحل : ٥).
قال الله: **{وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}**
من المعروف أن الجمل يستطيع أن يسير مسافة ١٤٤ كم في حوالي ١٠ ساعات ويقطع مسافة ٤٤٨ كم في حوالي ٣ أيام، ويستطيع أن يحمل من ٢٠٠ ــ ٣٠٠ كغ على ظهره أثناء السفر.
٩ - البَحيرة: قال أهل اللغة: وهي ابنة السائبة.
١٠- السائبة: قال أهل اللغة: الناقة التي كانت تُسَيّب في الجاهلية لنذرٍ أو نحوه.
١١- الوصيلة: روى البخاري قال: الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل بأنثى ثم تثني بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بأخرى ليس بينها ذكر.

١٢ - الحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدودة فإذا قضى ضرابة ودعوه للطواغيت وأعفوه من أن يحمل عليه شيء وسموه الحامي.
قال الله:**{مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ}**... (المائدة : ١٠٣).
كان العرب قبل الإسلام قد حرموا أنواعاً من الأنعام وهذه الأنواع الأربعة المشار إليها في الآية السابقة من الأنواع التي ابتدعوها في الأنعام.

الفرق بين البحيرة والسائبة والوصيلة

(١) البحيرة: كانوا إذا نتجت الشاة عشرة أبطن بحروها وتركوها ترعى، وحرموا لحمها إذا ماتت على نسائهم، وأكلها الرجال، أو هي التي خليت بلا راع، أو التي إذا نتجت خمسة أبطن والخامس ذكر نحروه فأكله الرجال والنساء، وإن كانت أنثى بحروا أذنها فكان حراما عليهم لحمها ولبنها. وركوبها، فإذا ماتت حلت للنساء، أو هي ابنة السائبة وحكمها حكم أمها، أو هي في الشاة خاصة، إذا نتجت خمسة أبطن بحرت. ويقال فيها الغزيرة. ومعنى البحر من بحر الاذن أي شقها.

(٢) والسائبة: الناقة كانت تسيب في الجاهلية لنذر أو نحوه، أو كانت إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سيبت.
أو كان الرجل إذا قدم من سفر بعيد أو نجت دابته من مشقة أو حرب قال هي سائبة.
أو كان ينزع من ظهرها فقارة أو عظما، وكانت لا تمنع عن ماء ولا كلاء ولا تركب.

(٣) والوصيلة: الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن، ومن الشياه التي وصلت سبعة أبطن عناقين عناقين، فإن ولدت في السابقة عناقا وجديا قيل وصلت أخاها، فلا يشرب لبن الام إلا الرجال دون النساء وتجري مجرى السائبة.
أو هي الشاة خاصة كانت إذا ولدت الانثى فهي لهم، وإذا ولدت ذكرا جعلوه لالهتهم وإن ولدت ذكرا أو أنثى قالوا: وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لالهتهم.
أو هي شاة تلد ذكرا ثم أنثى فتصل أخاها فلا يذبحون أخاها من أجلها. وإذا ولدت ذكرا قالوا: هذا قربان لآلهتنا.

١٣ - العِشَار: قال أهل اللغة: وهي الناقة التي أتى عليها من وقت الحمل عشرةُ أشهر.

قال تعالى: {وَإِذَا العِشَارُ عُطِّلَتْ}... (التَّكوير : ٤).

١٤- الضامر

قوله : يَأْتُوكَ رِجَالاً وعلى كُلّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلّ فَجٍّ عَميِق } الرجال المشاة واحدهم راجل كنيام

عن ابن عباس رضي الله عنهما وقوله : { وعلى كُلّ ضَامِرٍ }أي ركباناً والضمور الهزال ضمر يضمر ضموراً ، والمعنى أن الناقة صارت ضامرة لطول سفرها . وإنما قال : {يَأْتِينَ } أي جماعة الإبل وهي الضوامر لأن قوله : { وعلى كُلّ ضَامِرٍ } معناه على إبل ضامرة فجعل الفعل بمعنى كل ولو قال يأتي على اللفظ صح وقرىء يأتون صفة للرجال والركبان ،

والفج الطريق بين الجبلين ، ثم يستعمل في سائر الطرق اتساعاً ، والعميق البعيد قرأ ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق .

الاستخدامات الطبية

حليب النوق هو حليب ذو مواصفات عالية الجودة، ويعتبر غذاءاً كاملاً للبدو وسكان الصحراء.

اللحم

لحم الجمل ينصح بتناوله لراغبي الريجيم أو التخسيس الغذائي وهو الأقل ضرراً على القلب نظراً لضآلة نسبة الدهون فيه مقارنة مع اللحوم الحمراء الأخرى. إن لحم الجمل يتميز بأن أليافه خشنة وعريضة ومرتبطة ببعضها بعضا بنسيج ضام كثيف لا يوجد فيها دهن مختلط بالعضلات. وينصح بتناول لحم الجمل لمن يطبقون الريجيم الغذائي للتخسيس، ويرغبون في تقليل مستوى الكوليسترول في الدم، نظراً لوجود حامض اللينوليك فيه وجود الأحماض الدهنية غير المشبعة في لحم الجمل تقلل أيضا من احتمالات الإصابة بأمراض القلب المختلفة، حيث وجد ان هناك ارتباطاً واضحاً بين الإصابة بهذه الأمراض وزيادة تناول الأحماض الدهنية المشبعة في دهون لحوم الأبقار والجاموس والخراف والماعز، لحم الجمل دهونه أقل من الجاموس والأبقار.

أسماء ومصطلحات الجمل

الجمل) والجمع الإبل) يطلق على الذكر من الجمال، ويقال للأنثى ناقة والجمع نوق. ومن الألقاب التي يلقب بها: العيس والشملال واليعملة والوجناء والناجية والعوجاء والشمردلة والهجان والكوماء والحرف.والصبور

يعرف الجمل بسفينة الصحراء وذلك لتكيفة مع المعيشة على جدب الصحراء من حيث قلة العشب والماء.
وأسماء الإبل الأصيلة كثيرة منها: ضَبعان، عَرفان، شَعلان، غَزلان، وأم طويلع، وأم رموش، والخطلة، ونورا وغيرهم.
ويقال لمن عمره ستة شهور ويرضع أمه: حوار، ولمن عمره سنة ويأكل ويشرب :مخلول، ولمن عمره من سنة إلى سنتين: مفرود، ولمن عمرة من من سنتين إلى ثلاثة وبدأ يحمل الأثقال: حِق (بكسر الحاء)، ولمن كان عمره أربع سنوات جِذع) بكسر الجيم)، ولمن عمره من خمس إلى ست وبدل الزوج الأول من قواطع أسنانة فهو: ثني، ولمن بدل الزوج الثاني من قواطع أسنانة فهو: رباع، ولمن بدل الزوج الثالث من قواطع أسنانة فهو: سداس، والناقة الفاطر هي الناقة التي وضعت أكثر من خمس مرات وتعتبر كبيرة العمر.

وسوم الابل عند القبائل العربيه

الوسم: هو وضع علامه تبين ملكية الناقه او البعير لدى القبائل العربيه وهو يعتبر الدليل الاساسي لملكية اي ناقه او بعير وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسم الابل لا يسم في الوجه ولا بأس به في غيره
حديث جابر { أما بلغكم أني لعنت من وسم البهيمة في وجهها وضربها في وجهها ؟ }

التكيف مع الطبيعة

تكيف الجمل على أكل الأشواك والعاقول وكذلك تكيفت معدته .أما السنام فهو المكان الطبيعي لتخزين الدهون المتحولة من فائض غذائه، ولكن لا يخزن الجمل الماء في السنام كما هو الاعتقاد الشائع.
كذلك تكيفت عيون الجمل للرؤية مع وجود الغبار، وأرجله بها أخفاف مناسبة للسير على الرمال بما لها من مساحة سطحية واسعة.
للجمل قدرة عجيبة على تحمل المعيشة في الصحراء حيث ارتفاع درجة الحرارة وقلة الماء والغذاء. ومن قدرة الله عز وجل أن جعل الجمل ذو أذن صغير غزير الشعر حتى لا تتعرض لضرر رمال الصحراء. والعين مزودة بصفين من الرموش الطويلة للوقاية من الحصى والرمال المتطايرة. والأرجل مزودة بخف أسفنجى لين ليتمكن بهما من السير على الرمال الناعمة، والسنام يختزن فيه الدهون ليقوم بحرقها
خلال عملية التنفس حيث تتحول الدهون إلى طاقة تمدة بأحتياجاته في فترة الحرمان من الطعام والمعروف أن الدهون تحتوى على طاقة أعلى بكثير من الطاقة المخزونة في الكربوهيدرات في صورة نشا أو جليكوجين.

والجمل العربي ذو سنام واحد ضخم .أما الجمل ذو السنامين فهو يستوطن آسيا الوسطىحيث يكون الشتاء بارداً فهو مكسو بمعطف شتوي يقيه برد الشتاء. وأرجله قصيره في حين أرجل الجمل العربي طويلة لتبعدة عن حرارة الرمال ما أمكن ذلك.

الجمل له قدرة عجيبه على تحمل العطش بسبب قدرته على تحمل نقص الماء في أنسجة جسمه، وأنه من خلال ذلك لا يفقد الماء من سائله الدموي إلا بنسبة ضئيلة للغاية. كما أنه يتحمل فقد الماء حتى ٣٠% في حين أن باقي الكائنات الحية تهلك إذا زاد فقد الماء من أجسامها عن ٢٠%. وبول وبراز الجمل لذلك مركز جداً حيث يمكن إيقاد النار في روثه مباشرة وهو يختلف عن معظم الكائنات الثديية التي تفقد نسبة من الماء الموجودة في دمائها إذا تعرضت لظروف بيئية شديدة الحرارة، لذلك فالجمل يحتاج كميات من الماء تقل كثيرة عن تلك التي تحتاجها باقي الكائنات.

أنف الجمل عجيبة العجائب، فهي مجعدة كبيرة من الداخل فتقوم بعمل المكثف فتكثف بخار الماء الخارج مع هواء الزفير فيخرج ثاني أكسيد الكربون ويتكثف بخار الماء، وبذلك تحول دون خروجه. وبذلك فهو الحيوان الوحيد الذي يستعيد الماء الموجود في الهواء الذي يتنفسه.

الجمل لا يعرق إلا إذا ارتفعت درجة حرارة الجو المحيط به عن درجة ٤٢ م، أما الحرارة الزائد فيفقدها أثناء الليل، فقد علم ذلك العربان لذلك كانوا ينامون بجوار الجمال ليتدفئوا بالحرارة المنبعثة منها ليلاً. ويقوم الجمل برفع درجةحرارة جسمه نهاراً حتى درجة ٤١.٧ م متمشياً مع حرارة الجو المحيط به حتى لا يعرق، عندئذ يبدأ في إفراز العرق ليلطف درجة حرارة جسمه إن زادت درجة حرارة الجو المحيط عن ٤٢ م.

ظل الجمل معروفاً بعدم العرق وعدم وجود غدد للعرق حتى عام ١٩٥٦ حين تبين أن له غدد عرقية على السطح البطنى ومن المفروض أن يعمل العرق على تلطيف حرارة جسم الجمل وبالطبع يؤدى العرق إلى فقد الماء وتتجلى قدرة الخالق وإعجازة فبمجرد خروج العرق ينتصب الشعر عند الجمل فيسمح بتبخر العرق من الجلد إلى الجو مباشرةً دون حدوث بلل للشعر حتى يوفر الجمل على نفسه الماء اللازم لبلل الشعر وهو الكثير الذي يريد توفيره.

الجمل له القدرة على شرب ماء البحر حيث أن الكلى عنده تخلصه من الأملاح الزائدة. والجمل يشرب بغزارة حوالي ١٨ لتر ماء إذا عطش، دون أن تتأثر كرات الدم لأن الله خلقها بيضاوية ولم تخلق كروية كسائر

الكائنات فعندما تمتلى كرات الدم بالماء تنتفخ وتصبح كروية دون أن تنفجر.
يحتفظ الجمل بالبول في المثانة طالما أنه في حاجة إلى الماء، حيث يمتص الدم الماء والبول مرة أخرى ويدفعه إلى المعدة لتقوم بكتريا خاصة بتحويل البولينا إلى أحماض أمينية أي إلى بروتين وماء.
خُف الجمل مخزن للماء فهو وسادة مائية فتعمل أنسجة الخف على حفظ الماء في صورة سلاسل تلتف كالجديلة، كلما زاد الماء المخزن زاد التفاف الجديلة والعكس صحيح، وعند الحاجة إلى الماء يقوم الدم بامتصاص الماء من الخف وتنفك الجديلة.
وقود روث الحيوانات الصلب
تستخدم فضلات الحيوانات كمصدر للطاقة في العديد من دول العالم. وتعتبر واحدة من مصادر الطاقة الخضراءالنظيفة التي يستخدمها أكثر من ٢ مليار شخص.
إعداد أ. د. زهير فخري الجليلي
قسم الثروة الحيوانية – كلية الزراعة / جامعة بغداد
إن الله سبحانه وتعالى يأمرنا في القرآن الكريم أن نتدبر خلق الإبل ورفع السماء ونصب الجبال وتسطيح الأرض في آيات متتابعات من سورة الغاشية وبدأ الله تعالى بخلق الإبل قبل الجبال والسماء والأرض ، قال تعالى (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت) سورة الغاشية - ١٧ – ٢٠ ، وذكرت أسماء الإبل المختلفة ١٣ مرة في القرآن الكريم بدون تكرار و ٥٥ مرة مع التكرار.
وفيما يلي ملخصاً يتناول بعض المعلومات عن هذا الحيوان العجيب وما به من إعجاز رباني في الخلق والتكوين وما به من أسرار تنفع الإنسان في عصرنا الحديث كما نفعته في غابر الأزمان.
إحصائيـات
يبلغ عدد الإبل في العالم حالياً حوالي ٢٠ مليون رأس منها ١٤ مليون في المنطقة العربية (أي ٧٠ % من إبل العالم). تحتل أفريقيا المركز الأول وتضم ٧٥ % من إبل العالم تليها آسيا ٢٥ %.
من الدول العربية المشهورة بتربية الإبل تاتي الصومال في المرتبة الأولى (٥٤ %) تليها السودان (٢٦ %) ثم موريتانيا (٧,٣ %) ثم ليبيا وتونس والسعودية ومصر والجزائر والإمارات.
الشكل الخارجي للجمل

إن شكل الجمل غريب لايشبه الحيوانات الأخرى فهو كبير الحجم مرتفع ذو قوائم عالية ورقبة طويلة تنتهي برأس صغير نسبياً وهو من الحيوانات اللبونة المجترة التي تلتهم الطعام ثم تعيد إجتراره مرة اخرى.لو نظرنا إلى الحيوان نظرة فحص وتأمل لوجدنا أن اجزاء جسمه متباينة في الحجم فله أذان صغيرة وذيل صغير ولكن كتلة الجسم كبيرة والرقبة طويلة والقوائم عالية وله سنام في منتصف ظهره أو سنامين. إن هذا الحيوان العجيب قد أودعه الله سبحانه وتعالى أسرار الحياة فنراه في بعض صفاته المظهرية والفسلجية مشابهاً للحيوانات الأخرى ولكن تجده في صفات اخرى يختلف عنها ليعلن عن فرديته التامة في كثير من الأمور التي لازال البعض منها غير واضحة التفسير. وكلما تقدم الإنسان وتعمق في بحوثه العلمية البيولوجية ظهرت له أسرار هذا الحيوان الفريد جل تعالى في قدرته وفعلاً تجسد الإعجازالإلهي في خلق الإبل كما سنلاحظ لاحقاً.

بعض الصفات الخاصة بالإبل

١) الأسنان: يوجد في الإبل ٣ أنواع من الأسنان هي القواطع والأنياب والأضراس بينما في بقية المجترات القواطع والأضراس ولاتوجد أنياب.

٢) المعدة المركبة في الإبل تتكون من ثلاثة أجزاء وهي:
الكرش والشبكية والمعدة الحقيقية وتكون الوريقية أثرية بينما في المجترات الأخرى تتكون المعدة من ٤ أجزاء من ضمنها الوريقية.

٣) لا توجد مرارة (الحويصلة الصفراء) في الإبل.

٤) الإبل له قوائم طويلة تنتهي بالخف وهو بمثابة الحافر للحصان والظلف للأبقار والأغنام وفي الجمل تغطي السلامية القاصية بطبقة متقرنة تدعى الظفر وسلاميات أصبعي القدم الأخرى مغطاة بوسادة ذات تقرن طري يسمى الخف وهو الذي يتسع إمتداداً لكي يستطيع الحيوان من السير على الرمال مهما كانت ناعمة.

٥) الجلد مكسو بالوبر وهو كثيف في الإبل ذات السنامين وتوجد مناطق متقرنة في الجلد تسمى الوسائد تقع في الجهة الصدرية والبطنية والقوائم وهذه الوسائد تساعد الحيوان عند الجثوم على الأرض لإمتصاص الصدمة وكذلك لمنع إحتكاك الجسم مع الرمال الساخنة صيفاً.

٦) الشفه العليا مشقوقة وتكون الشفتين لينه وسريعة الحركة ويوجد في باطن الفم غطاء مخاطي كثيف وهذه الميزات وغيرها تساعد الإبل في الإستفادة من الأشواك في غذائها.

٧) الغدد اللعابية في الثدييات ثلاثة أزواج بينما يوجد زوج رابع في الإبل يسمى الغدد الضرسية إضافة إلى ١٠٠ مليون غدة لعابية مساعدة في جدران الكرش مما يساهم في إفراز سوائل تتجمع في قاع الكرش وهذه تفيد في إستمرار عمليات الهضم مهما كانت حالة الأرتواء عند الحيوان.
٨) توجد تجاويف في منطقة الأنف تساهم في تبريد المنطقة وبالتالي تبريد الدم لذا فإن الدم الذاهب إلى المخ يكون ملائماً للحفاظ عليه من التأثير الضار لحرارة البيئة الخارجية.
٩) الرقبة الطويلة في الإبل تساهم في موازنة الحيوان عند النهوض وتعمل عمل الرافعة الآلية حيث إن الإبل هو الحيوان الوحيد الذي تحمل عليه الأحمال وهو جالس إلى أن ينهض بحمله بسهولة.
١٠) يوجد كيس (طرف حلقي) في فم الذكور وهذا الكيس يشبه البالون يخرج من الفم عند الهياج أو التنافس مع الذكور الأخرى في موسم التناسل.
١١) نسبة الأرباع الأمامية في ذبائح الإبل تكون أعلى من الخلفية عكس ماهو في الأبقاروالأغنام وغيرها من المجترات.
١٢) يحدث الحمل في القرن الأيسر من الحمل دائماً وإن حدث في الجانب الأيمن فإنه يهلك ولو حدثت الإباضة في المبيض الأيمن فإنها تهاجر إلى الجانب الأيسر
١٣) الكريات الحمراء في دم الإبل ذات خصائص فريدة منها أنها ذات قدرة فائقة على البقاء سليمة في المحاليل الملحية دون أن تنكمش أو تنفجر وذات قدرة على إمتصاص الماء والإنتفاخ بمعدلات عالية ثم إنها أكثر عدداً وذات قدرة أكبر مما في الإنسان أو الحيوانات الأخرى على إمتصاص الأوكسجين وتحتوي على تركيز عال من الهيموكلوبين قريباً من سطح الكرية الحمراء مما يسهل في خروج الأوكسجين إلى خلايا الجسم. وكذلك لكرات الدم القدرة الفائقة على إيقاف النزف الذي يمثل أخطر الأسباب في فقد السوائل.
١٤) الصفائح الدموية في كل مليمتر مكعب من دم الإبل يزيد عددها على ضعفي ما موجود في دم الإنسان وهذه الصفائح مهمة عند النزف إضافة إلى إحتواء دم الإبل على مركبات تمنع تجلط الدم (عنصر التجلط الثامن يبلغ نشاطه ثمانية أضعاف نشاطه في الإنسان).
كيف يقي الجمل نفسه من حبات الرمال في الصحراء:
- حبات الرمال في الصحراء تعد مشكلة عند السير عليها أو عند هبوب الرياح القوية حيث تصبح كأنها وابل من الرصاص فكيف تتعامل الإبل

لوقاية نفسها من هذه الرمال أو بكلام آخر كيف أودعها الله تعالى من الميزات والصفات ما جعلها تستطيع التكيف مع هذه المشكلة:

ـ قوائم الجمل طويلة لترفع جسمه والرقبة طويله لذا الرأس يكون مرتفعاً بمسافة ٢ متر عن سطح الأرض مما يجعله بعيداً عن حبات الرمل عند هبوب الرياح القوية.

ـ يستطيع غلق المنخران حيث يكونان على شكل شقين ضيقين محاطين بالشعر وحافتهما لحميه مما تجعل عملية الإغلآق تامة إذا أراد الجمل ذلك.

ـ رموش العين طويلة وذات طابقين بحيث تدخل الواحدة بالأخرى فتشكل واقياً تمنع دخول حبات الرمل إضافة إلى علو الرأس عن الأرض.

ـ ذيل الجمل صغير ويحمل على جانبيه الشعر مما يجعله حامياً للمنطقة الخلفية للحيوان.

ـ وجود الخف الذي يحضن أقدام الجمل وهو وسادة عريضة لينة تتسع عندما يدوس الجمل بها فوق الأرض ومن ثم يستطيع السير فوق أكثر الرمال نعومة وهو ما يصعب على أي حيوان سواه ثم إن القوائم الطويلة تساعد الجمل في إتساع الخطوات وخفة الحركة مما يجعله يصل إلى هدفه بسرعة وبذلك يتخلص من عوائق العواصف وذرات الرمال.

ـ يعتمد الجسم الثقيل عند البروك على وسائد من الجلد القوي السميك وهذه الوسائد تهيء الجمل لأن يبرك فوق الرمال الساخنة التي كثيراً ما لا يجد الجمل سواها مفترشاً له فلا يبالي بحرارة الرمال ولا يصيبه منها أذى.

تناسل الإبل

الإبل موسمية التناسل في كلا الجنسين ويمتد موسم التناسل من أيلول حتى آذار وطول دورات الشبق ٢٤ ــ ٢٨ يوم وتبقى الأنثى في حالة شياع ٥ ــ ٧ يوم.

• يكتمل النمو الجنسي في عمر ٣ سنوات ولكنها لا تلقح إلا بعد إكتمال النمو الجسمي في عمر ٤ ــ ٥ سنوات لتعطي أول ولادة لها في عمر ٦ سنوات.

• متوسط فترة الحمل ٣٧٠ يوم (٣٥٥ – ٣٨٩ يوم) أي حوالي سنة واحدة.
• يترافق موسم التناسل مع الولادة في القطيع حيث نجد إن موسم التناسل فيه نياق تتلقح وأخرى تلد وهذا الموسم يكون عادة في موسم الأمطار ووفرة الغذاء.
• تلد الأنثى مولود واحد كل عامين وتعتبر ستة ولادات لأنثى الإبل ،العدد الذي يمكن الحصول عليه خلال العمر الإنتاجي للناقة وتوجد بعض الإستثناءات.
• التوائم نادرة الحدوث والنسبة الجنسية ٥٠ %.
• تجري عملية إنتخاب دقيقة لإختيار الذكور الجيدة وإختيار الذكر يتعدى المظهر والشكل إلى إنتاجية الأم من الحليب وحجم الأب وقد تتعدى معايير الإنتخاب إلى الأسلاف. يتم التخلص من الذكور البالغة إما بالبيع أو الخصي. ويبقى ذكر التلقيح فترة تستمر ٧ سنوات والذكر في عمر ٦ سنوات يكون في قمة النضوج الجنسي.
• البيضة لا تفرز (عملية التبويض) إلا بعد إلجماع كما في القطط.
•تتغير سلوكية الذكور في موسم التلقيح والتناسل حيث قد يصبح خطراً وتكون من الصعوبة قيادته وتعض الذكور بعضها الآخر. وفي حالة الهياج يخرج كيس منفوخ من جانب الفم يطلق عليه الطرف الحلقي ويصاحب ظهور الكيس صوت مزعج ويسيل اللعاب من الفم وتوجد إفرازات كريهة تخرج من غدد قرب الأذنين وتكون غامقة اللون ويحك الذكر منطقة الغدد بأي شيء قريب. وعند التقرب من الذكر تكون رائحته منفرة لأن البول المتجمع على الذيل ينتشر على المنطقة الخلفية من الحيوان ويحرك ذيله لنشر بوله على الجسم كله ويقف الذكر وسط القطيع مع إنفراج في قوائم الخلفية.
• آلية الجماع تكون في حالة البروك على الأرض وليس الوقوف كما في الأبقار.
• من مشاكل الإبل في الحمل هي وجود الحمل الكاذب خاصة إذا كان الذكر عقيماً ويستمر هذا الحمل ٣٠يوم ومن المشاكل أيضاً وجود الحمل في القرن الأيمن حيث يهلك الجنين بعد ٤٠ – ٥٠ يوم.
• الخلايا الجنسية (الحيامن) للذكور تتصف بقلة عددها وتكون أصغر من حيامن حيوانات المزرعة الأخرى وصفاتها لاتشبه حيامن الثيران أو الكباش.

• كيس الصفن الذي توجد داخله الخصيتين يكون في موقع قريب من فتحة الإخراج كما في الكلاب. وزن الخصيتين في موسم التناسل يكون أكبر من المواسم الأخرى.
• تتأثر الإبل بعدد ساعات الضوء والظلام حيث إن زيادة ساعات الإضاءة في اليوم لها تأثير سلبي على عموم فسلجة الحيوان وخاصة ماله علاقة بالتناسل.
• بصورة عامة تعتبر الكفاءة التناسلية في الإبل منخفضة لأن الناقة تضع أول مولود لها في عمر ٦ سنوات ثم تلد الولادة الثانية بعد عامين.
• تستطيع المواليد من الرعي بعمر ١ – ٢ شهر إلى جانب إعتمادها على الحليب. تستمر فترة الرضاعة ١٢ شهر أي إن الفطام يكون بعمر ١ سنة تقريباً.
رموش العين طويلة وذات طابقين بحيث تدخل الواحدة بالأخرى فتشكل واقياً تمنع دخول حبات الرمل
قوائم الجمل طويلة لترفع جسمه والرقبة طويله لذا الرأس يكون مرتفعاً بمسافة ٢متر عن سطح الأرض مما يجعله بعيداً عن حبات الرمل عند هبوب الرياح القوية
يستطيع الجمل غلق المنخران بحيث يكونان على شكل شقين ضيقين محاطين بالشعر وحافتهما لحميه مما تجعل عملية الإغلآق تامة إذا أراد الجمل ذلك
يعتمد الجسم الثقيل عند البروك على وسائد من الجلد القوي السميك وهذه الوسائدتهيء الجمل لأن يبرك فوق الرمال الساخنة التي كثيراً ما لا يجد الجملسواها مفترشاً له فلا يبالي بحرارة الرمال ولا يصيبه منها أذى

قدرة الإبل على تحمل الجوع والعطش الشديد

تتمتع الإبل بصفات فريدة لا نظير لها في الحيوانات الأخرى تمكنها من التكيف مع ظروف العطش أو الجفاف في الأجواء الحارة حيث تفقد ٣٠ % من سوائل الجسم أو حوالي ٤٠ % من وزنها الحي ورغم ذلك تبقى حية أما الإنسان والحيوانات الأخرى فإن فقد ١٠ % من سوائل الجسم فإن ذلك غالباً ما يؤدي إلى الهلاك أو الموت.
وفيما يلي مقارنة بين قدرات الإبل والإنسان في مجال مقاومة العطش وكيفية المحافظة على ماء الجسم عند الجفاف وإرتفاع الحرارة وقلة المياه:
١. في حالة العطش الشديد فإن كمية اللعاب في الفم تنخفض وتكون قليلة بحيث لايستطيع الإنسان من عملية البلع بينما الإبل يبقى فمها رطباً

وتستطيع من الأكل وبلع الطعام مهما إشتد بها العطش ويعود ذلك إلى سببين وهما:
* إستمرار عملية الإجترار وهذا يساعد على بقاء الفم رطباً.
* وجود مادة اليوريا في لعاب الإبل ومن صفات اليوريا الإحتفاظ بالماء.
٢. في ظل الأجواء الحارة وبدون ماء فإن أقصى ما يستطيع الإنسان مقاومته هو البقاء يوم أو يومين على قيد الحياة بينما الإبل تبقى عدة أسابيع بدون ماء في ظروف حرارية مرتفعة وقلة الغذاء.
٣. إذا فقد الإنسان ٥ % من ماء الجسم فقد صوابه وحكمه على الامور وإذا فقد ١٠ % صمت أذناه ويأخذ بالهذيان ويفقد إحساسه بالألم (وهذا من رحمة الله).وإذا بلغت النسبة ١٢ % فيستحيل عليه النجاة حتى وإن وجد الماء ، بينما الإبل تستطيع تحمل نقص ماء الجسم مهما بلغت نسبة الفقدان حتى تصل إلى ٣٠ % أو أكثر وتستطيع الإرتواء بسرعة حيث يشرب الحيوان ٢٠٠ لتر من الماء خلال دقائق دون أن يتعرض لمخاطر تخفيف سوائل الجسم الذي يتعرض له الإنسان العطشان المشرف على الهلاك حيث يعطى له الماء تقطيراً.
٤. تستطيع الإبل العطشانه أن تطفي ظمأها من أي نوع من المياه حتى وإن كانت ماء البحر أو ماء مستنقع شديد الملوحة أو المرارة بفضل إستعداد الكلية لأخراج تلك الأملاح في بول شديد التركيز أما الإنسان الظمآن فإن أي محاولة لإنقاذه بشرب الماء المالح تكون أقرب إلى تعجيل نهايته.
٥. الإبل إذا تعرضت إلى بيئة شديدة الحرارة صيفاً مع عدم وجود الماء فإن نشاطها الجسمي والفسلجي لايتأثر كثيراً وتفقد الكثير من وزن الجسم والماء الذي تفقده من الجسم يأتي من أنسجة الجسم وليس من ماء الدم إلا قليلاً بينما الإنسان يفقد بسرعة من ماء الدم وبذلك يزداد تركيز الدم وترتفع حرارة الجسم إرتفاعاً فجائياً لاتتحملها أجهزة الجسم خاصة الدماغ وفي هذا يكون الهلاك.
٦. تستطيع الإبل من الإستفادة من الماء الأيضي المتحرر من تحلل دهون السنام بطريقة يعجز الإنسان عن مضاهاتها حيث تحترق الشحوم وتولد طاقة يستفيد منها الحيوان لمواصلة نشاطه الحيوي ويتحرر كذلك ثاني أوكسيد الكاربون الذي يتخلص منه الحيوان عن طريق الزفير ويتولد الماء لهذا فإن السنام يستهلك في الإبل العطشانه والجوعانه ويميل إلى الجانب ليصبح كيساً متهدلاً خاوياً إذا طال الجوع والعطش.

٧.الإبل لاتفرز إلا مقداراً ضئيلاً من العرق عند الضرورة بفضل قدرة الجسم على التكيف مع المعيشة في ظروف الصحراء التي تتغير فيها درجة الحرارة بين الليل والنهار بينما الإنسان إذا تعرض لأجواء حارة فإن عملية التعرق تكون كبيرة وشديدة مما يستهلك كمية كبيرة من ماء الجسم.

٨. درجة حرارة الجسم في الإنسان ٣٧ مْ وهي ثابتة بينما في الإبل تتغير من ٣٤مْ إلى ٤١ مْ نهاراً حسب حرارة الجو لذا فإن آلية تنظيم درجة الحرارة في الإنسان أكثر تعقيداً وتحتاج إلى الماء لإبقاء الدرجة ثابتة والإنسان إذا وصلت حرارته ٣٤ مْ أو ٤١ مْ فإنه يتوفى بسبب عدم تكيفه على هذه الحرارة.

كيف تستطيع الإبل من إعادة دورة الإستفادة من ماء الجسم وتحمل العطش الشديد في الأجواء الحارة ولعدة أسابيع

بإختصار هناك عدة ميزات وصفات في الإبل تجعله قادراً على ذلك وهي:

- الجمل لا يلهث أبداً ولايتنفس من فمه مهما إشتد الحر أو إستبد به العطش وهو بذلك يتجنب تبخر الماء من الفم.
- لايفرز إلا مقداراً ضئيلاً من العرق عند الضرورة القصوى.
- يستطيع جهاز تنظيم حرارة الجسم أن يجعل مدى تفاوت حرارة الجسم ٧ درجات كاملة دون ضرر أي بين ٣٤ و ٤١ مْ وهذه الآلية تفيد في الإقتصاد بكمية لابأس بها من الماء المستخدم في تنظيم درجة حرارة ثابتة.
- تفيد الشحوم المخزونة بالجسم في السنام في إنتاج الطاقة والماء.
- الكلية في الإبل لها إستعداد خاص في تركيز البول أو قد يمتنع عن التبول إذا إستمر العطش. والإبل تستطيع من شرب الماء المالح لأن الكليه عنده تستطيع من إخراج الأملاح مهما كانت تركيزها.
- تستطيع الإبل أن تحبس في دمها كميات كبيرة من اليوريا وتوزعها على خلايا الجسم أو ترسلها إلى الكرش لكي تستعملها البكتريا الكرش لبناء أجسامها وكذلك تعتبر اليوريا في الدم ونتيجةً لكونها صائدة للماء فإنها تساعد في الحفاظ على حجم بلازما الدم.
- تستطيع الإبل من حبس سكر الكلوكوز في الدم بنسبة عالية بسبب العطش الشديد لإن طرحه في البول يتطلب فقدان ماء بدرجة كبيرة وإرتفاع السكر في الدم لايصيب الإبل بصدمة مميتة كما في غيرها من الحيوانات وكذلك فإن السكر يعتبر مادة صائدة للماء أيضاً مما يحافظ على حجم بلازما الدم كذلك.

ـ يسبب العطش إنخفاضاً في إنتاج الحليب في الحيوانات الثديية بصفة علمة أما في الإبل فإن كمية الحليب لاتتأثر كثيراً بسبب العطش وقلة ماء الشرب بل بالعكس تزداد نسبة الماء في الحليب لتصل إلى ٩٠ % حماية للرضيع من الجفاف.
ـيساهم الوبر في حماية الجسم من الحرارة حيث يعتبر عازلاً حرارياً ثم إن له ميزة فإنه لايتبلل عند التعرق أي العرق لايتبخر من سطح الوبر وإنما من سطح الجلد وهذا يجعل لعملية التعرق ميزة تبريد قوية في الإبل.
ـ تستطيع الكريات الحمراء أن تقاوم نقص الماء الشديد في الدم وفي نفس الوقت تقاوم عدم التمزق عندما تتورم وتصبح مكورة عند الإرتواء السريع بعد شرب الماء.
ـ هناك إمتصاص واسع للماء في القولون وهذا يساهم في تقليل فقدان الماء مع الفضلات حيث تكون الفضلات شبه جافة.
ـ يمكن للإبل من خفض عمليات الأيض وبالتالي ينتج عن ذلك تقليل إستهلاك الأوكسجين أي قلة إنتاج الحرارة الداخلية وهذا معناه الإقتصاد في إستهلاك الماء للفعاليات الحيوية.

بعض الأسرار والفوائد للإبل:

* حليب الإبل يتميز بصفات خاصة إضافة لكونه مادة غذائية ممتازة حيث ثبت أنه غذاء ودواء لأنه يحتوي على مواد مثبطة لنشاط البكتريا ويحتوي على نسبة كبيرة من الأجسام المناعية المقاومة للأمراض خاصة للأطفال المولودين حديثاً.
* يحتوي حليب الإبل على كمية عالية من فيتامين C مقارنة بأنواع الحليب الأخرى وهذه رحمة ربانية في تعويض البدو في المناطق الصحراوية حيث لاتتوفر الخضار والفاكهة.
* حليب الإبل غني بالكالسيوم والحديد.
* حليب الإبل يستخدم في علاج مرض السكري لأن تركيب بعض الأحماض الأمينية فيه تشبه هرمون الأنسولين.
* في دراسة نشرت في مجلة العلوم الأمريكية في عدد آب ٢٠٠٥ ذكرت أن الإبل ذات السنام الواحد تتميز عن غيرها من الثدييات في انها تملك في دمائها وانسجة الجسم أجسام مضادة تتركب من سلاسل قصيرة من الأحماض الأمينية وشكلها على صورة حرف V وسميت بالأجسام المضادة الناقصة وسميت إختصاراً.(الأجسام النانوية) وهذه الأجسام تتواجد إلى جانب الأجسام المضادة من نوع Y. ثم إن الحجم الصغير للأجسام النانوية تعطيها القدرة على الإلتحام بأهدافها وتدميرها بنفس قدرة

الأضداد العادية وتتميز أيضاً بأنها أكثر ثباتاً في مقاومة درجة الحرارة وتغير الأس الهيدروجيني وتحتفظ بفاعليتها أثناء مرورها بالمعدة والأمعاء بعكس الأجسام المضادة العادية التي تتلف بالتغيرات الحرارية والأنزيمية للجهاز الهضمي وهذا أوجد آفاقاً لصناعة أدوية تحتوي أجساماً نانوية لمرضى الأمعاء الإلتهابي وسرطان القولون ومرض الزهايمر وغيرها.
ومنذ عام ٢٠٠١ تركزت الأبحاث على هذه الأجسام المأخوذة من الإبل وأثبتت الفاعلية في القضاء على الأورام السرطانية حيث تلتصق بكفاءة عالية بجدار الخلية السرطانية وتدمرها. وطورت إحدى شركات الأدوية أدوية مصدرها حليب الإبل تستعمل في القضاء على فيروس الإيدز وفي بريطانيا وأمريكا توجد نتائج ممتازة في إنتاج عقار لمرضى الإيدز والسرطان والكبد الفيروسي. يستعمل في روسيا وكازاخستان والهند حليب الإبل في علاج الأمراض العنيدة وفي أفريقيا يستعمل في علاج مرض الإيدز.

- روى البخاري عن أنس (رضي الله عنهما)أن رهطاً من قبيلة عرينه قدموا إلى المدينة المنورة وأعلنوا إسلامهم وخلال فترة بقاؤهم في المدينة تعرضوا لمرض شديد كانت نتيجته إنتفاخ البطن والوهن والإصفرارفأمرهم النبي محمد (عليه افضل الصلاة والسلام) أن يشربوا من حليب الإبل وأبوالها وقد فعلوا وشفوا بإذن الله. وقد إعتقد الأطباء في عصرنا الحاضر أن ما أصاب هولاء القوم هو(مرض إلتهاب القولون والإستسقاء أو تليف الكبد).

إن التجارب الحديثة في الوقت الحاضر في علاج مرض الإستسقاء ومرض الكبد الوبائي من النوع B , C والإلتهابات الشديدة وأمراض السرطان المبكرة عولجت بحليب الإبل وأبوالها (لإحتوائها على الأجسام المضادة الصغيرة).

ختاماً فإن ما ذكرناه في هذه العجالة عن أسرار ومعجزات الإبل هي غيض من فيض وبذلك تتحقق المعجزة الربانية في دعوتنا لتدبر هذا الحيوان المفيد الذي إستفاد منه أجدادنا

أَفَلا يَنظُرُونَ إِلى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ

أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أضاف اسم الناقة إلى اسمه: (نَاقَةُ اللَّهِ) وهذه إضـــافة تشريف وتعظيم ـ كقوله :بيت الله أو عبدالله، والأمر يتعلق بالناقة في عهد سيدنا صالح ـ عليه السلام ـ

وقد استغل في بادئ الأمر في عملية الدراس، ولكن سرعان ما ارتبط الجمل بتجارة التوابل المزدهرة آنذاك في شبه الجزيرة العربية،
دخل الجمل ميدان الحروب
لا شك أن الجمل قد أبان أنه الأصلح في الحِل والترحال في المناطق الصحراوية الجافة، زيادة على إمكانية الاستفادة من لحومه وألبانه؛
فالجمل لا يحتاج إلى الكثير من الغذاء مقارنة مع باقي حيوانات المزرعة، حيث يستطيع قطع مسافة ٥٠ ميلاً يوميًّا مع تحمل الجوع والعطش لمدة ٥ أيام، أما حمل الأحمال فهو يستطيع نقل ما يفوق ٥٠٠ كيلو غرام والسير بها مسافة ٢٠ ميلاً في اليوم دون طعام أو شراب لمدة ثلاثة أيام متتالية.

الخصائص التشريحية

أهم خاصية في الجهاز الهضمي هي وجود ما يسمى ـ مجازًا ـ الأكياس المائية) في المعدة الأولى (Rumen) وهي عبارة عن انثناءات تضم الملايين من الخلايا الغددية وتعلب دورًا رئيسيًّا في تفعيل عمل اللعاب وإنتاج قسط وافر من السوائل.
تساعد شفتا الجمل العليا والسفلى على الخصوص على التقاط النباتات الشوكية بطريقة سهلة للغاية. ونظرًا لطول عنق الجمل فإن البلعوم يحتوي على عدد هائل من الغدد التي تعمل على ترطيب الوجبة الغذائية الجافة، وسهولة زحف الأكل داخل باقي مكونات الجهاز الهضمي.
ينفرد الجهاز التنفسي للإبل بوجود جيب أنفي جانبي يعمل على تحصيل نسبة هامة من الماء أثناء التنفس، كما يستطيع أنف الجمل الانغلاق كليًّا مانعًا بذلك جفاف القصبة الهوائية.
جلد الجمل خلافًا لباقي آكلات العشب قليل المرونة، ولكنه غليظ جدًّا لحسن الحظ، الشيء الذي يجعله يتحمل لسعات الحشرات وحرارة الرمال الملتهبة. أما الغدد العرقية الجلدية فهي قليلة جدًّا في أنحاء الجسم، وهذه الندرة تساعد على توفير الماء بمنع التبذير عن طريق التعرق. شكل الوبر الغليظ ولونه يحدان من تسرب الحرارة من جسمه. اللون الفاتح للوبر يعمل على انعكاس أشعة الشمس الحارقة.
أما قدم الجمل فلا يتوفر على حافر ويتكون من نسيج دهني يوفر للجمل خفة ورشاقة في السير بكفاءة متساوية على الأرض الوعرة، والزلقة، وكذا الرمال الناعمة.

الخصائص الفيزيولوجية:

١- تحمل الحرارة:

يعتبر سنام الجمل مخزنًا للطاقة، ووجوده على الظهر يضمن للجمل التأقلم مع الحرارة. حيث إن تكتل الدهون في السنام يحد من توزعها وانتشارها تحت الجلد ويتم بذلك التخلص من الحرارة في الجلد.
يؤدي نقصان كمية من الماء في أجسام العديد من الحيوانات إلى زيادة لزوجة الدم مما يؤدي إلى ارتفاع الحرارة الداخلية للجسم وأحيانًا إلى الهلاك.
أما الجمل فلزوجة دمه تبقى ثابتة ولو نقص الماء من جسمه مما يسمح لعملية النقل الحراري من أطراف الجسد إلى القلب.
يعتبر الجمل من الحيوانات ذات الدم الحار (حرارة جسمانية مستقرة)، ولكنه يستطيع تغيير درجة حرارة جسمه متأقلمًا بذلك مع الحرارة المحيطة: فعندما تنزل درجة الحرارة الخارجية ليلاً فإن درجة حرارة جسم الجمل تهبط إلى غاية ٣٤ درجة مئوية، ولكن عند القيظ فإن درجة حرارة جسمه تصل إلى ٤٢ درجة مئوية) دون إصابته بحمى)، إن مثل هذا التقلب الحراري يعد مميتًا لأغلبية الثدييات.
إن الشكل الخارجي للجمل وتصرفه يعملان على مقاومة الحر؛ فعندما تكون الرمال حارة جدًّا يبقى الحيوان واقفًا على أرجله الطويلةعازلاً جسمه عن الحرارة المنبعثة من الأرض، وعند جلوسه فإن وسادة أسفل الصدر ووسائد ركب الأرجل تعزل الجسم عن السطح سامحة بذلك لحركة هوائية تساعد على انتشار الحرارة. وفي خضم الساعات الحارة من النهار يتموقع الجمل تحت أشعة الشمس مباشرة حيث يعمل على تعريض أقل مساحة ممكنة من جسمه لأشعة الشمس الحارقة.
تلعب الغدة الدرقية دورًا هامًّا في علميات الأيض أو التمثيل الغذائي والارتفاع في درجة الحرارة الخارجية ينشط من هذه العلميات الأيضية وذلك إثر اضطراب الآليات الخاصة باستقرار الحرارة الداخلية. فينتج عن ذلك إنتاج طاقة إضافية. تؤدي في نهاية الأمر إلى الحالة المعروفة بالضربة الحرارية والتي تقود إلى الوفاة أحيانًا. أما الجمل فالارتفاع في درجة حرارة جسمه يعمل على نقص استهلاك الأكسجين فتتباطأ عمليات الأيض في جسمه مما يحد من ارتفاع درجة حرارته.

٢- كيف يتحمل الجمل العطش؟

تعد مقاومة الجمل للعطش أهم خاصية عني بها علماء وظائف الأعضاء، فالآليات الخاصة بالحفاظ على النظام المائي تعمل ابتداء من شرب الماء مرورًا باستعماله إلى نهاية عملية الإخراج.

وقد أكد العديد من الأبحاث أن الجمل يستطيع العيش دون ماء لعدة أسابيع متعددة، وعمومًا فإن كمية الماء التي يتناولها الجمل مرتبطة بنوعية الأكل، والحرارة الخارجية المحيطة وحالة الارتواء السابقة. حيث ثبت أن الجمل يكتفي خلال الفصول الباردة بالكمية المائية المتوفرة في الوجبة ويستغني عن الشرب لمدة شهر كامل. أما في الفصل الحار ومع وجبة من الغذاء اليابس فإن الشرب ضروري مرة كل أسبوع.

تموت أغلب الحيوانات عندما ينخفض وزنها من ١٠ ـ ١٦% من وزنها في وسط محيط حار، بيد أن الجمل يواصل العيش دون تعرض حياته إلى خطر مع فقدان ثلث وزنه ويسترده مباشرة بعد الارتواء .وعند التعرض لعطش شديد فالجمل يستطيع شرب كمية هائلة من الماء في زمن قياسي.

وقد لوحظ أن جملاً شرب كمية ٢٠٠ لتر في مدة لا تزيد عن ثلاث دقائق، وذلك بعد حرمان من الماء دام ١٤ يومًا ولم يصب بسوء .كما أن الشرب السريع بعد مدة حرمان مائي تؤدي إلى انفجار الكريات الحمراء في الدم.

٣- خصائص الدم عند الإبل:

تبلغ كمية الدم عند الجمل 93 ملليمتر/ كيلو غرام من الوزن الحي، وهذا الرقم يفوق بكثير ما هو عليه عند باقي الحيوانات، ويتميز شكل الكريات الحمراء عند الجمل بكونها بيضاوية الشكل وحجمها قابل للتغير حسب حالة الارتواء، وتتميز بصلابتها الهائلة التي تقاوم الانفجار. يصل عدد الكريات الحمراء ٤ ـ ١٠ ملايين خليةم٣. أما النسبة من الدم الكلي فهي 25- ٣٠%، وتطول مدة حياة الكريات الحمراء أثناء فترة العطش حتى لا يكلف الجمل موتها وتجددها.

٤-عملية امتصاص الماء:

تنطلق العملية من الغدد اللعابية التي تنتج ٢٠ لترا/ غدة، وعند العطش الشديد فإن هذا الإنتاج لا يتعدى لترًا واحدًا/ غدة دون أن تتعرض قدرة الجمل على الأكل لخلل ما؛ حيث إن رطوبة الفم تستمر بفعل استرداد الأكل من المعدة أثناء عملية الاجترار.

تعتبر المعدة أكبر خزان للماء عند الحيوانات المجترة، والماء المتوفر في معدة الجمل عالي التركيز من الصوديوم والبيكربونات ومصدره هو الدم، أو بمعنى آخر ماء تم امتصاصه من أسفل الجهاز الهضمي (الأمعاء.(وتنتج عملية الامتصاص روثًا يابسًا جدًّا، فنسبة المادة الجافة تصل إلى ٥٠% (عند الغنم ١٥%، البقر ١٣ (%وعند العطش فهذه النسبة تصل إلى ٥٥% بينما هي مستقرة عند الأبقار، إذن فالجمل يضيع خمس مرات أقل من الماء في الروث مقارنة مع الأبقار.

٥- الكلية عضو رئيسي في التوازن المائي:

عند مستوى الكلية يتم إعادة امتصاص أكثر الماء ، وتشكل كمية البول عند الجمل ٠.١% من وزن الجمل (٢% عند الخروف في نفس الظروف)، وعند التعرض لعطش طويل يتخلص الجمل من بول شديد التركيز وبحجم ٤ مرات أقل، كما أن عملية إرجاع الصوديوم إلى الدم تعرف تراجعًا مهمًّا حيث تصل الكمية المتخلص منها إلى 40%. فآلية إعادة الماء البولي يوفر كمية هائلة من الماء، فالجمل لا يفقد سوى ٢٠ غرامًا ماء/ كيلو غرام من وزنه تحت درجة 42 مئوية، بينما هذه الكمية تصل عند الخروف ٤٠ غرام ماء/ كيلو غرام من وزنه.

٦- كيف يتحمل الجمل سوء التغذية؟

الوسط الصحراوي ليس فقط حارًّا وجافًّا، ولكن يتميز بضعف المصادر الغذائية وضعف تنوعها الفصلي والسنوي، ولكن الجمل يملك تقنيات للتأقلم مع كل نقص قد يحصل في المكونات الأساسية للغذاء طاقة، بروتين، أملاح.

وأثبتت عدة دراسات أن الجمل يتوفر على أعلى طاقة تحويلية للعلف ذي القيمة الغذائية الفقيرة مقارنة مع باقي الحيوانات المستأنسة الأخرى، والسر في ذلك هو بقاء الأكل مدة طويلة في مَعِدَاته.

نقص في الطاقة:

تعتبر الدهون الاحتياطية هي الشكل المركز للطاقة عند الثدييات، وفي الوسط الصحراوي تعمل الشحوم المختزنة تحت الجلد على حجز الحرارة ومنع تسربها خارج الجسم. وتتركز معظم الدهون عند الإبل في السنام، وخلال فترة الجوع والنقص في الغذاء فإن الجمل يستهلك هذه الدهون بسهولة، ويمكن أن ينقص وزن السنام من 90) - (0 كيلو غراما. ويؤمّن الخزان الهائل من الطاقة للجمل الصمود والتحمل ولو مؤقتًا على نقص مصادر الطاقة.

فمثلاً عند جمل يزن ٧٥٠ كيلو غرامًا، يبلغ الخزان الدهني ١٥٠ كيلو غرامًا وتعرض ٣ كيلو غرامات فقط من الدهون إلى الاستهلاك ، ويمد الجسم بـ ١٦٠ ميتاجول من الطاقة المتحركة، وهو ما يعادل حاجيات ٨ أيام من العيش لجمل عطشان، أو ٣ أيام لناقة في فترة الإدرار.

نقص البروتين:

أظهرت دراسة التصرف الغذائي للجمل أن له قدرة على اختيار النباتات الأكثر غنى من حيث الآزوت، ويتيح له شكله الخارجي) عنق طويل)

الوصول إلى الأعشاب اليابسة من نوع أكاسيا وفصيلة البقوليات الغنية بالبروتين.
يتحول العشب في الجهاز الهضمي عند المجترات إلى الأمونيا واليوريا واعتمادًا على هذه المكونات تعمل المكروبات في المعدة على صنع البروتينات .ويقوم الجمل بإرجاع اليوريا في الكلية بكمية وافرة حيث إنه يتخلص فقط من ١% في حالة نقص بروتيني (هذه النسبة تصل إلى ٢٥% عند الخروف) مما يسمح له بمواصلة صنع البروتين.

نقص في الأملاح المعدنية:

يعرف الجمل بقدرة كبيرة على استيعاب كمية كبيرة من الملح، وبحساسية لنقص في هذه المادة في الغذاء، وهذا يفسر تفضيله للنباتات من نوع الحلفاء الغنية بالماء والملح، وللجمل قدرة فائقة على استيعاب الكالسيوم والفوسفور دون أدنى تأثر عند تعرضه للعطش، وتفسير ذلك جاء من دراسة اكتشفت أن تركيز فيتامين د (D) عند الجمل يضاعف ١٠ ـ ١٥ مرة ما هو عليه عند باقي المجترات) فيتامين د يلعب دورًا رئيسيًّا في تركيز الكالسيوم في العظام.
تعتبر مادة النحاس أساسية للجمل حيث إنها تدخل في تركيبة إنزيم يلعب دورًا هامًّا في حالات الالتهاب ، وعند نقص مادة النحاس فإن نسبة هذا الإنزيم في الجسم تبقى مستمرة، وذلك ناتج عن تفريغ الاحتياطي من النحاس المخزن في الكبد. نفس الأمر ينطبق على مادة السيلنيوم مما جعل الباحثين يتصورون أن الجمل يستبق الأحداث فيخزن المواد الضرورية لأنشطة الإنزيمات.

٧- خصائص حليب النوق:

يتميز حليب النوق بلون ناصع وطعم يميل إلى الملوحة، وتفوق القيمة الغذائية لحليب النوق كلا من الأبقار والماعز، وتتراوح كمية الطاقة في الحليب ما بين ٩٠٠ ـ ١٠٠٠ كيلو كالوري/ لتر واحد من الحليب (عند البقر تصل من ٧٠٠ ـ ٧٥٠ فقط.(
كما أن حليب الناقة يضم مركبات ذات طبيعة بروتينية مثل مضادات التخثر ومضادات التسمم ومضادات الجراثيم؛ لذا فهو لا يتجبن بسرعة، ويكمن الاحتفاظ به طازجًا لمدة طويلة.
يتميز حليب النــوق باحتــوائه على نسبة هائلة من البروتين مقارنة مع حليب البقر ويتشكل الكازيين البروتين الرئيسي (٧٠%) والألبيومين 3.22%والجلوبيولين .%1.2 كما يحتوي الحليب على كمية عالية من الأحماض الدهنية الذائبة) قصيرة التسلسل.(

كما يحتـــوي حليب النوق على مجموعة كبيرة من الفيتامينات والأملاح كفيتامين أ، ب، س،A,B,C ، يشكل أعلى نسبة مقارنة مع باقي الفيتامينات، وهذا له أهمية بالغة لدى السكان في المناطق الصحراوية.

حيث إن الرعاة الذين يعيشون على حليب النوق يتمتعون بالصحة والحيوية، أكثر من ذلك فقد عرف لحليب الناقة عدة خصائص علاجية.

فقد كان اهتمام العرب بحليب الناقة في علاج أمراض مستعصية، حيث عولجت به القرحة، والاضطرابات المعدية، فقر الدم، والربو...

وثبت علميًّا جدوى استعمال الحليب في علاج أمراض كالسكري، حيث تم اكتشاف بروتين خاص ذي فعالية متشابهة مع عمل الأنسولين حيث توجد ٤٠ وحدة من هذا البروتين في كل لتر من الحليب.

كما تبين أن مضادات الجراثيم الموجودة في الحليب تجعله ذا أهمية في التخلص من عصيات السل، وجراثيم الحمى المالطية

ماذا بعد النظر؟

إن كل ما توصلت إليه الدراسات العلمية بخصوص الجمل خلال السنين الأخيرة قليل من كثير؛ حيث ما زال يخفي العديد من الأسرار التي ربما ستنكشف مع الأيام. ولقد ورد في القرآن الكريم ما يقرب من 360 آية تثير في الإنسان دواعي التأمل والتفكر والتعقل، حتى إن علماء الكلام صاغوا قاعدتهم المشهورة: (إن أول الواجبات الدينية المفروضة على المسلم النظر) أول آية نزلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في سورة العلق: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (والقراءة هنا ليست فقط قراءة نطق بالكلمات والمفردات والجمل، وإنما أيضًا قراءة تفكر وتبصر وفهم لهذا الكون ومحتوياته، وذلك لغرض اكتشاف ما يكتنفه من أسرار وآيات.

فالخطاب القرآني يعمل أولاً على تحريك فطرة الإنسان لاكتساب المعرفة، وثانيًا على استخدام ما لديه من قدرات) العقل) بغية الوصول إلى الحقيقة: وهي أن وراء هذا الكون العظيم المتناسق خالق بديع مقتدر وهو الله ـ سبحانه وتعالى. إذن الغاية هي معرفة الله بآثار صنعه، واستشعار عظمته وقوته بمشاهدة الإخلاصفي عبادته، امتثالاً لقوله ـ عز وجل: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ) سورة الذاريات.

لذا فقد أشاد الوحي السماوي من القرآن والسنة بالعلم وأهله؛ لأن العارفين العاملين هم أكبر درجة وأرفعها عند الله، وخشيتهم لله لا تعدلها أية خشية؛ باعتبار ما يهديهم إليه علمهم بقول ـ عز من قائل: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (سورة فاطر).

فالعلم سبيل إلى الإيمان الكامل الصحيح، والذي يقود صاحبه إلى التقوى. فلا عجب أن نجد أن الله قارن بين العبادة وذكر الله من جهة، والتفكير والتدبر من جهة أخرى، مثل قوله ـ سبحانه وتعالى) :إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النار) سورة آل عمران.

مثل لحوم الإبل ، فإنها حلال بالكتاب ، والسنة ، والإجماع ، ولكن فيها من القوة الشيطانية ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "إنها جن خلقت من جن" وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود: "الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ" فأمر بالتوضؤ من الأمر العارض من الشيطان ، فأكل لحمها يورث قوة شيطانية ، تزول بما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الوضوء من لحمها ، كما صح ذلك عنه صلى الله عليه وسلم من غير وجه ، فمن توضأ من لحمها اندفع عنه ما يصيب المدمنين لأكلها من غير وضوء كالأعراب ، من الحقد ، وقسوة القلب ، التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين: "إن الغلظة وقسوة القلوب في الفدادين ، أصحاب الإبل ، والسكينة في أهل الغنم ".ا.هـ
العلماء في ليبيا يقولون إن أكل لحم الإبل لا ينقض الوضوء. فمن أتبع فى هذا الشأن؟ علماء بلدي، أم علماء السعودية الذين يفتون بأن لحم الإبل يبطل الوضوء؟ علما بأن ثقتي في علماء السعودية أكبر من غيرهم؟
الإجابــة
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد: فالخلاف بين العلماء في مسألة انتقاض الوضوء بأكل لحم الإبل معروف مشهور، ومذهب الجمهور من الحنفية والمالكية والشافعية أن أكل لحم الإبل لا ينقض الوضوء، ومذهب الحنابلة وجماعة من المحققين أن أكل لحم الإبل ينقض الوضوء
كبسولات بول الإبل في الصيدلية
وصلت درجة الافتتان بالإبل عند العرب درجة غير مسبوقة، ومن خلال صورة انطباعية عما يحدث في هذا العصر من احتفالات ومهرجانات عن الإبل، وما يتخللها من قصائد وفخر، أشعر أحياناً أن المسافة ما زالت

قصيرة بين مكانة الإبل عند خوارة ناقة البسوس، وبين مكانتها في الاحتفالات القبلية للإبل في الجزيرة العربية في العصر الحالي، وزاد من مكانتها عند العرب ذكرها في القرآن الكريم، وارتباطها بالفتوحات العربية الإسلامية، وقبل ذلك اعتمادهم الكلي في حياتهم اليومية في أيام الجوع والترحال .

لكنني أعتقد أن الحالة المعاصرة وصلت إلى درجة الهوس بهذا المخلوق، بعد أن وصلت أسعار بعض أصنافها إلى عشرات ومئات الملايين، بالرغم من أن استعمالاتها القديمة وفوائدها في الحروب والترحال انتفت، بعد أن طغت وسائل العصر الحديث، وأصبح البعير راكباً، وليس ناقلاً، لذلك يجب النظر إلى تلك العلاقة المفتونة بالعشق لهذا المخلوق بعيون أخرى .

الأمر لا يخلو من أسباب وجيهة، فقد يكون اقتصادياً بسبب قصور الأداء الاستثماري عند بعض المواطنين، لذلك اتجهوا لتحريك أموالهم في أسواق الإبل، والدخول في مضاربات خيالية، تماماً مثلما يحدث في سوق الأسهم، وقد يكون لها مآرب أخرى، مثل إحياء تقاليد القبيلة الحربية، وتعزيز فخرها بأيام الغزو وقتال القبائل الأخرى، وقد يكون في المعنى رمزية للأصالة والنقاء العربي الخالص .

وصل ذلك الهوس إلى الدراسات العلمية عندما قدَّم أحد العلماء المعاصرين دراسة تؤصِّل أثر الإبل في توجيه الخطاب النقدي العربي، وتسعى الدراسة إلى تأصيل أثر الإبل في توجيه الخطاب النقدي العربي في سيرورته التاريخية، فقد كشفت الجذور والأنساق الأولى المشكلة للفكر العربي عن تأثير كبير لهذا الحيوان في الفكر العربي وفي اللغة العربية التي حددت طرائق تفكير الذين تكلموا بها وسلوكهم والنقد أول هذه الطرائق والظواهر السلوكية .

لكن يبدو أن الأمر دخل إلى منعطف مختلف، بعد أن صرح مركز سعودي للأبحاث الطبية أن هناك توجهاً للبدء في إنتاج كبسولات طبية تحوي بول الإبل لاستخدامها في علاج أمراض السرطان والأمراض المرتبطة بها، بالرغم من أن صاحبة البحث أشارت إلى أن العلاج حالياً ما زال قيد التجربة للحالات المتقدمة من الأورام والبحث عن عدة أنواع من مرض سرطان الرئة والثدي والدم وفي مختلف المراحل، حيث إن العلاج بألبان

وأبوال الإبل أجدى وأنفع في الحالات المبكرة، ويمكن استخدامه في الحالات المتقدمة .

ما زال المجتمع الطبي في العالم ينتظر النتائج المذهلة لبول الإبل في علاج حالات سرطان الرئة المستعصي للعلاج، وأقترح أن تكون الدراسة تحت إشراف مركز طبي أكاديمي، وإذا أثبتت التجارب الطبية السريرية صحة تأثير بول الإبل، وأنه قد يصل إلى درجة الشفاء من سرطان الرئة، فإنني أهيب بشركات صناعة الأدوية السعودية بالحصول على الحق الحصري في إنتاج كبسولات بول الإبل قبل أن تحتكرها الشركات الغربية،فالعائد المالي المتوقع إن صحت النتائج سيكون ضخماً جداً !..

أخيراً أشارت الباحثة إلى أن بول الإبل المفيد من الناقة التي لم تنجب، لأنه أكثر استساغة من حيث الطعم والرائحة، وهناك العديد من المرضى الذين وجدوا فرقاً في الطعم والرائحة بين بول الناقة البكر، وبين بول الناقة الثيب، وقد تُؤدي هذه المعلومة إلى اشتعال أسعار الإبل البكر في سوق المزايين، ولا أستبعد حصول شركات المشروبات الغازية على حق بيع بول الناقة البكر كمشروب طاقة صحي، والله المستعان .

<u>حديث من فوائد حليب الإبل</u>

أجريت على (حليب الإبل) إلى أن حليب الإبل يعتبر علاجاًفعّالاً لمرضى قرحة الاثني عشر ويمنع حدوث السرطانات المختلفة بسبب فعاليته في منع تكوين مركبات النتروسامينات في الجسم والمسؤولة على إحداث السرطانات كما أنه يعتبر مادة ضد الأكسدة الأمر الذي يساعد في حماية أنسجة الجسم المختلفة من التلف.

وقد تم اكتشاف بروتين خاص في حليب الإبل بفعالية مشابهة لعمل هرمون الأنسولين وبتركيز ٤٠ وحدة لكل لتر حليب،

كما لوحظ قابلية حليب الإبل في التقليل من نسبة الكوليسترول في الجسم الأمر الذي يمنع حدوث حالة تصلّب الشرايين في الجسم وبالتالي إصابة الإنسان بأمراض القلب،

كما يعتبر حليب الإبل مقوّياً للجسم والبصر.

ويتميّز حليب الإبل باحتوائه على نسبة بروتين عالية، حيث تبلغ نسبة (الكازنين) وهو البروتين الرئيسي في الحليب ٧٠ في المئة. كما يتصف بروتين حليب الإبل باحتوائه على نسبة عالية من الالبومين ٣.٢٢ في

المئة والكلوبيولين ١.٢٢ في المئة مقارنة مع حليب الحيوانات الحقلية الأخرى وقريب جداً من حليب الأم في الإنسان،
ويتصف باحتوائه على كمية عالية من الدهون الذاتية ٤.٣٣ بالمئه.
وبالمقارنة مع حليب الأبقار والأغنام والماعز فإن دهن حليب الإبل يتكون من أحماض دهنية قصيرة التسلسل ما يؤكد أهمية هذا الحليب في تغذية الأطفال. حيث يستخدم الجسم هذه الأحماض الدهنية ذات الذرات القليلة من الكاربون في بناء مركبات دهنية أخرى أسهل من تكسير السلاسل الطويلة الموجودة في الأحماض الدهنية طويلة السلاسل الشيء الذي يفسر حرص سكان الصحراء على تغذية أطفالهم بحليب الإبل وتفضيله على حليب الأم في الكثير من الأحيان.
كما يحتوي حليب الإبل على مجموعة كبيرة من الفيتامينات والمعادن مقارنة مع حليب الأم وبقية الحيوانات الأخرى، حيث يحتوي على كلور الصوديوم والفوسفات والكالسيوم والنترات والمغنيسيوم والبوتاسيوم والحديد إضافة إلى مجموعة من الفيتامينات مثل فيتامين (إي وسي ومركبات فيتامين فيتامي).
ومن غرائب حليب النوق أنه لا يحلب إلا بعد أن يرضع منه الجمل الصغير، حيث لا يمكن أن تتم عملية الحلب إلا بعد استدعاء الحوار للرضاعة أولاً، ثم يتم حلب الناقة
فَبَوْلُ الإبِلِ دواءٌ نافعٌ لبعض الأمراض، وقدْ أمَر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بشُرْبِه للتَّداوي؛ ففي "الصحيحَيْن" وغيْرهما من حديثِ أنَس بْن مالكٍ قال" : قدِمَ رهْطٌ من عُرينةَ وعُكلٍ على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلَّم فاجْتَوَوُا المدينة، فشَكَوْا ذلك فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْتُوا إِبِلَ الصَّدَقَةِ، فَيَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا، فَفَعَلُوا فَصَحُّوا وَسَمِنُوا"،
وقالت الدكتورة أحلام العوضي -في بحثها عن الأمراضِ التي يُمكِنُ علاجُها ببوْلِ الإبِل من واقع التجربة-: "أبوالُ الإبل ناجعةٌ في علاج الأمراض الجلديَّة كالسعفة -التينيا-، والدَّمامل، والجُروح التي تظهَرُ في جِسْم الإنسان وشعره، والقُروح اليابسة والرَّطبة، ولأبوالِ الإبِل فائدةٌ ثابتةٌ في إطالة الشَّعر ولمعانِه وتكثيفِه، كما يُزيل القِشرة من الرأس، وأيضًا لأبوالِها علاجٌ ناجعٌ لِمرَض الكبِد الوبائِيّ
لِمَ لم يذكر الفيل ؟ لأن الفيل لا يؤكل لحمه ولأنهم لا يعرفونه تمام المعرفة ، فذكرت الإبل لأنها من أعظم المخلوقات خلقة

<u>ذكرها فى القران</u>

١ـ ذكرت الإبل في القرآن على أنها محل اعتبار

{أَ فَلا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ } الغاشية ١٧
ولذلك كان شريح يقول اذهبوا بنا إلى الصحراء حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت .
٢- الإبل ذكرت في القرآن على أنها من البهائم من بهيمة الأنعام التي بها جمال { وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ } النحل ٦
الرواح : هو آخر النهار
المسرح: هو أول النهار
لكن لماذا قدم الرواح ؟
لأن أهلها يعجبون بها إذا قدمت في آخر النهار ولأن الجمال يكمن بها في تلك الفترة من الزمن ولأن أهلها ينتفعون بها بعد الرواح أكثر من انتفاعهم بها بعد تسريحها .
٣- وجاء ذكر الإبل في القرآن على أنها معجزة قوم صالح
{ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا } الشمس ١٣
يعني احذروا أن تعقروا الناقة وأن تقابلوا شرب حليبها بعقرها وأن تعتدوا على يوم شربها من البئر
٤- وجاء ذكر الإبل في القرآن على أنها عظيمة واقسم الله عز وجل بها
{ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً } العاديات ١

التفسير المشهور أن العاديات هي الخيل ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما (ليس من الحيوانات شئ يضبح إلا الخيل والثعلب والكلب)
ولكن في تفسير آخر { وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً} هي الإبل
لكن كيف تضبح ؟ ضبح الإبل هو أن تمد أعناقها إذا سارت وانطلقت تسرع
٥- وجاء ذكر الإبل في القرآن على أنها من البهائم السمينة
{ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ } الحج ٣٦
٦- وجاء ذكر الإبل في القرآن في النهي عن التكبر من البشر على غيرهم
{ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ } لقمان ١٨
والتصعير هو داء يأخذ الإبل فيلف أعناقها عن رؤوسها
٧- وجاء ذكر الإبل في القرآن على أنها علامة و صفة للشرارة التي تنطلق من النار { إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ{٣٢}كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ{٣٣} } المرسلات٣٢، ٣٣
يعني أنها سوداء تميل إلى الصفرة فدل على أنها نار مظلمة
٨- وجاء ذكر الإبل في القرآن محرم أكلها على اليهود بظلمهم

{**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ** } آل عمران ٩٣

إسرائيل هنا هو يعقوب

قالوا : إن الإبل حرمها إبراهيم فكيف تأكلونها ، فرد الله عليهم

{**قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا** }

فليس هناك شئ محرم على اليهود و إنما حرم يعقوب على نفسه الإبل لمّا أصابه كما قال المفسرون {عرق النَسَا } وإلا فليس هناك شئ محرم على اليهود ، لكن لما ظلموا حرم الله عليهم كل ما يتعلق بالإبل

{**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ** } الأنعام ١٤٦

يعني ليست مشقوقة الأصابع كالإبل والنعامة ونحوها فهي محرمة على اليهود

٩- وجاء ذكر الإبل في القرآن على أنها تضيّع ولا يلتفت إليها إذا جاءت علامات يوم القيامة {**وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ** } التكوير ٤

والعشار ناقة عشراء وهي التي حملت ولها أربعة أشهر ويستمر هذا الوصف بها إلى أن تلد

١٠- وجاء ذكر الإبل في القرآن على أن أهل النار يشربون من الحميم شربا عظيما كشرب الناقة إذا أصابها داء الهيام فتشرب من الماء فلا ترتوي حتى تهلك

{ **فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ{٥٤} فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ**{٥٥} }الواقعة٥٤، ٥٥

يعني الإبل التي لا ترتوي التي أصابها هذا الداء

ذكر الإبل في السنة المطهرة :

١- جاء ذكرها في السنة أنه لا تصح الصلاة

في معاطنها وهو المكان الذي تبقى فيه عند ورودها الماء

وعن مرابد الإبل وهو المكان الذي تحبس فيه للبيع

وعن مناخ الإبل وهو المكان الذي تستقر فيه بعد أن تأتي من الرواح

٢- وجاء ذكر الإبل في السنة على أن يحرم التقاطها إذا ظلت في الصحراء كما جاء في الصحيحين .

٣- وجاء ذكر الإبل في السنة على أن صاحبها إذا لم يتعاهدها نفرت وهربت وشردت منه قال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين

{ إنما صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة إن عاهدها امسكها وان أطلقها ذهبت } و جاء عند الحاكم { كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله كشراد البعير على أهله}

٤- وجاء ذكر الإبل في السنة أن أصحابها عليهم أن يركضوا بها في زمن الربيع وألا يسرعوا بها حتى تأخذ حظها من الأرض عند مسلم
{ إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض وإذا سافرتم في السنة يعني في القحط والجدب فأسرعوا عليها السير }

٥- وجاء ذكر الإبل في السنة أنه يصلى عليها السنن حتى الوتر ، كما ثبت من فعله عليه الصلاة والسلام في الصحيحين{ كان يوتر على بعيره }

٦- وجاء ذكر الإبل في السنة في النهي عن تحصين الإبل في قلادات كما تفعله العرب في جاهليتهم ففي الصحيحين من حديث أبي بشير
{ ألا لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت}

٧- وجاء ذكر الإبل في السنة على أنها كما جاء في السنن{ خلقت من الشياطين }ليس معنى ذلك أن مادتها من الشيطنة
لا. إنما لما غلب عليها وصف الغلظة والشدة والشيطنة وصفت بذالك كحالنا نحن خلقنا من تراب ولذلك قال {خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ} الأنبياء لِمَ ؟ لأن الوصف الأعظم فينا هي العجلة

٨- وجاء ذكر الإبل في السنة على أن العرب يحلبونها في زمن الجدب عند العشاء حتى لا يأتي الفقراء فيشاركوهم في شربهم زمن الجدب ولذلك قال عيه الصلاة والسلام كما عند مسلم { ألا لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم العشاء فإنها في كتاب الله العشاء وإنهم يعتمون بحلاب الإبل }

٩- وجاء ذكر الإبل في السنة أن { ما من صاحب إبل لا يؤدي زكاتها إلا جمعت له يوم القيامة أوفر ما كانت فتنطحه وتطؤه بأخفافها }

١٠- وجاء ذكر الإبل في السنة كما في المسند والسنن النهي عن { أن يوطن الرجل المكان في المسجد كما يوطن البعير }
بمعنى أنه ينهى أن يعرف الإنسان بأن هذا المكان مكانه في المسجد لا يفارقه لا في صلاة ولا في قراءة قرآن ولا في ذكر هذا منهيٌّ عنه .

١١- وجاء ذكر الإبل في السنة على أنها { تجزئ عن سبع شياه في الأضحية }

١٢- وجاء ذكر الإبل في السنة أن { الدية فيها مائة من الإبل عن قتل النفس وفي الإصبع الواحد عشر من الإبل وفي السن خمس من الإبل }

١٣- وجاء ذكر الإبل في السنة على أنها تحلب عند الماء لأنه أنفع لها ولكي يراها المساكين فيطعمون من حليبها

١٤ـ وجاء ذكر الإبل في السنة أنك إذا سجدت لا تسجد كما يبرك البعير { إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير }
١٥ـ وجاء ذكر الإبل في السنة على أنه{ يجوز إن تبيع بعيرا ببعيرين أو بأربعة أو بخمسة فلا ربا في الإبل وهو حي } يعني ناقة بناقتين بثلاث بأربع لا إشكال في ذلك
١٦ـ وجاءت السنة في ذكر الإبل أن { الإبل التي تكون في الصحراء انفع لصاحب مرض البطن لكي يشرب من حليبها ومن ابوالها ولكي يتنفس عندها من الهواء الطلق } كما جاء في قصة العرنيين الذين أصابهم داء في بطونهم كما في الصحيحين { فأمرهم النبي صلي الله عليه وآله وسلم أن يذهبوا إلى إبل الصدقة فيشربوا من ابوالها وألبانها فلما شربوا استصحوا } .
١٧ـ وجاء ذكر الإبل في السنة على { أنها قد تتوحش وتند من صاحبها } فماذا يصنع بها ؟
يرميها بالسهم لأن تذكية الإبل لابد من نحرها في الوهدة لكن لو عجز صاحبها وشردت كشرود السباع ولم يتمكن فليرمها بالسهم
١٨ـ وجاء ذكر الإبل في السنة على أن النساء في العرب كن يركبن الإبل من حديث أبي هريرة { خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش }
١٩ـ وجاء ذكر الإبل في السنة كما عند ابن ماجه أن من السنة
{أن من اشترى بعيرا فليضع يده على ذروة سنامه وليدع بالبركة }
يدعو الله أن يبارك له في هذا البعير أو في هذه الناقة .
وعند العرب ما يسمى
بحمر النعم: وهي الإبل في الحمراء التي هي أنفس ما يكون عند العرب من الإبل
وهناك ما يسمى **بحداء الإبل** وهو الصوت الذي يذكر عند الإبل إذا أرادوا أن تسرع في السير نزل الرجل منها ثم حدا بها فانطلقت في السير .
وأما صوت الإبل فيسمى رغاء وأما سارق الإبل فيسمى في اللغة خارب والذي ينقص المكيال مطفف والذي ينقص في الميزان مخسّر ، أما الذي يسرق الإبل فيسمى في اللغة خارب .

لهذه الإبل قدرا ومكانة في شرع الله عز وجل وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا كان له عليه الصلاة والسلام القصواء والعضباء والجدعاء وكان لقاحه خمس وعشرون من الإبل وكان يهتم بها صلى الله عليه وآله وسلم

فالنبي صلي الله عليه وآله وسلم قال كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه { الفخر والخيلاء عند أهل الإبل } وعند ابن ماجه { الإبل عز لأهلها } نعم عز لأهلها

عن أبي سعيد الخدري قال

افتخر أهل الإبل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرسول الكريم السكينة والوقار في أهل الغنم والفخر والخيلاء في أهل الإبل

عن أسيد بن حضير عن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ألبان الإبل فقال توضئوا من ألبانها

قال الرسول الكريم

لا تسبوا الإبل فإن فيها رقوء الدم ومهر الكريمة

لأنها كانت تقدم في الديات فتحقن الدماء ويسود بها وئام الأمة

كانت الإبل عند اجدادنا مطاياهم التي يرتحلون عليها ويأنسون بها في قطع الطرق البعيدة فينشدون لها ويحدون بأنغام تذهب عنها بأس الطريق وتجدد نشاطها لتطوي المسافات أمامها فمع خطواتها نشأت موسيقى الشعر العربي ومع الحداء لها ولدت البحور الشعرية

قالوا في الإبل

الإبل سفن البر جلودها قرب ولحومها نشب وبعرها حطب وأثمانها ذهب

قال حكيم العرب الجاهلي اكثم بن صيفي يوصي العرب بالإبل

لاتضعوا رقاب الإبل في غير حقها فإنها مهر الكريمة ورقو الدم بألبانها يتحف الكبير ويغذي الصغير

وقيل عن الجمل بأنه غيور أنف لا يلقح أمه ولا ينزو على

١- كيف يستخدم(البول)في الشفاء وهذا هو الدليل :

من الأدويه التي تستخدم في علاج الجلطة الدموية مجموعه تسمى FIBRINOLYTICS

تقوم آلية عمل هذه المجموعه على تحويل ماده في الجسم من صورتها الغير نشطة PLASMINOGEN إلى الصوره النشطة PLASMIN وذلك من أجل أن تتحلل المادة المسببة للتجلط FIBRIN أحد أعضاء هذه المجموعة هوUROKINASE الذي يستخرج من خلايا الكلى أو من البول كما يدل الإسم URO

٢- في الحقيقه إن كان هذا أمرا فعلا مثيرا للإشمئزاز ، ولكن لم يطلب أحد منك أن تشرب بول الإبل كفاتح شهية أو أن تستبدل به عصير البرتقال !!

لقد وصى النبي به كعلاج لمرض خطير وهو الإستسقاء ، وما كان العربي القديم يتورع عن فعل ذلك لأنه لم تكن متوفرة له السبل المطلوبة لإستخلاص مادة الشفاء من البول كما فعلنا نحن اليوم .
٣- ان الطب شاهد بصحة هذا الحديث و اليك الآن تجربة علمية أثبتت امكانية علاج مرض
وبدأت التجربة باعطاء كل مريض يوميا جرعة محسوبة من (بول الابل) مخلوطا بلبن الابل حتى يكون مستساغا وبعد ١٥ يوما من بداية التجربة أصابنا الذهول من النتيجة اذ انخفضت بطونهم وعادت لوضعها الطبيعى وشفى جميع أفراد العينة من الاستسقاء
المكونات الموجودة فى بول الابل حيث قال إنه يحتوى على كمية كبيرة من البوتاسيوم يمكن ان تملأ جرادل ويحتوى ايضا على زلال بالجرامات ومغنسيوم ومعروف أن مرض الاستسقاء إ نقص فى الزلال أ فى البوتاسيوم وبول الابل غنى بالاثنين معا.
علاج الأمراض الجلدية والأخرى مكافحة الأمراض بسلالات بكتيرية معزولة من بول الإبل.
و ليس في الحديث إلزام لك أو لأي إنسان بشرب ألبان الابل وأبوالها لأن الانسان لا يؤمر بأكل ما تعافه نفسه ولا بشرب ما تعافه نفسه كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أباح أكل الضب ولم يأكله ، وقال ((لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه))

الريح والرياح

الشعراوى

الفرق بين ريح ورياح

مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٧)آل عمران

وَهُوَالَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧) الاعراف

فإذن عندما ترى كلمة (رياح) فاعلم أنها خير
أما كلمة (ريح) فاعلم أنها شر
لماذا؟ أنت إذا كنت قاعداً في حجرة فيها فتحة نافذة يأتي منها الهواء ، ويتسلط التيار على إنسان ، فالإنسان يصاب بالتعب؛ لأن الهواء يأتي من

مكان واحد ، لكن حين تجلس في الخلاء ويهب الهواء فأنت لا تتعبَ ، لأن الرياح متعددة .
الرياح إذن يرسلها الحق بين يدي رحمته؛ حتى إذا أقلت أي حملت يقال (أقل فلان الحمل) أي رفعه من على الأرض وحمله لأنه أقل من طاقته ، لأنه لو كان أكثر من طاقته لما استطاع أن يرفعه عن الأرض ، وما دام قد أقله فالحمل أقل بالنسبة لطاقته وبالنسبة لجهده ،
أقلت أي حملت ، وما دامت قد حملت فجهدها فوق ما حملته ، وإذا كان الجهد أقل من الذي حملته لابد أن ينزل إلى الأرض .
ومنها قوله تعالى : **{ وَتَصْرِيفِ الرياح . . }** [البقرة : ١٦٤]
{ صَرَّفْنَا } أي : حَوَّلْنا الشيء من حال إلى حال ، يعني تغييرها من حال إلى حال
فمرة : تراها سَكسكاً عليلة هادئة ،
ومرّة تجدها رُخَاءً أي : قوية ،
ومرة تجدها إعصاراً مدمراً .
والرياح قد تكون لواقح تأتي بالخير والنماء ، وقد تكون عقيماً لا خير فيها . هذا هو المراد بالتصريف .
وتصريف الرياح إهاجة للهواء في الكون ،
١- والإهاجة للهواء في الكون تأتي منها فوائد كثيرة للغاية ، ولذلك أراد الله حركة الرياح رحمة عامة مستمرة في كل شيء
٢-وهي أيضاً رحمة تتعلق بالقوت كما تعلقت بمقومات الحياة من نفس وماء وطعام
٣-وتصريف الرياح من أجل تجديد الهواء الذي تتنفسة
٤- وكذلك تحمل الماء . لأن سبحانه القائل عن الرياح . {حتى إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ . . . } [الأعراف : ٥٧]
٥-والرياح هي التي تساعد في تكوين الأمطار التي تنزل على الأرض فتروي التربة التي نحرثها ، {بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ } .
هي بين يدي رحمته لأنها ستأتي لنا بالماء ، وهو الرحمة في ذاته ، وبواسطته يعطينا ري الأرض ، ونحن نرتوي منه مباشرة أيضاً
٦-تحريك طبقات الهواء وإلا لفسد الجو في الماء ، لأن الرياح هي التي تحمل السحاب وتحركه وتنزل به
٧-لَوَاقِحَ
وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) الحجر

ولواقح جمع لاقحة
وتُطلَق في اللغة مرَّة على الناقة التي في بطنها جنين
ومرة تُطلَق على اللاقح الذي يلقح الغير ليصير فيه جنين
لأن الحق سبحانه شاء أن يتكاثر كل ما في الكون؛ وجعل من كُلٍّ زوجين اثنين؛ إما يتكاثر أو تتولد منه الطاقة؛ كالسالب والموجب في الكهرباء .
ونحن لم نَرَ كيف يتم لقاح شجرة الزيتون؛ أو شجرة المانجو ، أو شجرة الجوافة ، وذلك لنأخذ من ذلك عبرةً على دِقّة صَنْعته سبحانه .
وتعرّف العلماء على أن الذكورة بعد أن تنضج في النبات فهي تنكشف وتنتظر الرياح والجو المناسب والبيئة المناسبة لتنقلها من مكان إلى مكان .

السمرائى

الفرق بين كلمة ريح ورياح في القرآن الكريم

كلمة ريح في القرآن الكريم تستعمل للشر كما في قوله تعالى في سورة آل عمران **(مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَـكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {١١٧})**
وفي سورة فصّلت **(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ {١٦})**

وفي سورة القمر **(إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ {١٩})** وسورة الحجّ **(حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ {٣١})** وسورة **الإسراء (أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً {٦٩})**.
أما كلمة الرياح فهي تستعمل في القرآن الكريم للخير كالرياح المبشّرات كما في قوله تعالى
في سورة البقرة **(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ {١٦٤})**

وفي سورة الأعراف **(وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {٥٧})**

وسورة الحجر **(وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ {٢٢})**

وسورة الجاثية **(وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ {٥})**

وسورة النمل **(أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ {٦٣})**.

وفي سورة سبأ **(وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ {١٢})**
استعملت كلمة (ريح) مع سليمان لكنها لم تخصص لشيء فجاءت عامة قد تكون للخير أو للشر لأن الله سخّرها لسليمان يتصرف بها كيف يشاء.

القرآن يستعمل الريح في الشر والرياح في الخير إلا في موطن واحد قال تعالى **(هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ** (٢٢) يونس) قال "ريح طيبة" ثم أتبعها بـ "ريح عاصف" وعليه ينبغي أن ننظر كيف يستعمل القرآن الكلمة في سياقها.

الفرق بين آيات الريح لسليمان

الطبري

{ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) }

وسخرنا لسليمان الريح، غدوها إلى انتصاف النهار مسيرة شهر، ورواحها من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهر.

قال: تغدو مسيرة شهر وتروح مسيرة شهر، قال: مسيرة شهرين في يوم.
قال أخبرنا ابن وهب في قوله(وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ)
قال: كان له مركب من خشب، وكان فيه ألف ركن، في كل ركن ألف بيت
تركب فيه الجن والإنس، تحت كل ركن ألف شيطان، يرفعون ذلك
المركب فإذا ارتفع أتت الريح رخاء فسارت به وساروا معه، يقيل عند قوم
بينه وبينهم شهر، ويمسى عند قوم بينه وبينهم شهر، ولا يدري القوم إلا
وقد أظلهم معه الجيوش والجنود.

<u>الرازى</u>

أقول قوله تعالى : **{ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودُ الجبال }** [الأنبياء : ٧٩] وقوله :
{ ولسليمان الريح عَاصِفَةً } [الأنبياء : ٨١]

ما الحكمة في أن الله تعالى قال في الأنبياء : { وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودُ الجبال }
وفي هذه السورة قال : {ياجبال أَوّبِي مَعَهُ } [سبأ : ١٠]
وقال في الريح: { ولسليمان }

١- نقول الجبال لما سبحت شرفت بذكر الله فلم يضفها إلى داود بلام
الملك بل جعلها معه كالمصاحب ، والريح لم يذكر فيها أنها سبحت فجعلها
كالمملوكة له

٢- {أَوّبِي مَعَهُ }سيري فالجبل في السير ليس أصلاً بل هو يتحرك معه
تبعاً ، والريح لا تتحرك مع سليمان بل تحرك سليمان مع نفسها ، فلم يقل
الريح مع سليمان ، بل سليمان كان مع الريح

<u>واعلم أن الله تعالى ذكر ثلاثة أشياء في حق داود وثلاثة في حق سليمان
عليهما الصلاة والسلام</u>

١- فالجبال المسخرة لداود من جنس تسخير الريح لسليمان ، وذلك لأن
الثقيل مع ما هو أخف منه إذا تحركا يسبق الخفيف الثقيل ويبقى الثقيل
مكانه ، لكن الجبال كانت أثقل من الآدمي والآدمي أثقل من الريح فقدر الله
أن سار الثقيل مع الخفيف أي الجبال مع داود: {أَوّبِى } أي سيري
وسليمان وجنوده مع الريح الثقيل مع الخفيف أيضاً ،

٢- والطير من جنس تسخير الجن لأنهما لا يجتمعان مع الإنسان؛ الطير
لنفوره من الإنس والإنس لنفوره من الجن ، فإن الإنسان يتقي مواضع
الجن ، والجن يطلب أبداً اصطياد الإنسان والإنسان يطلب اصطياد الطير
فقدر الله أن صار الطير لا ينفر من داود بل يستأنس به ويطلبه ، وسليمان
لا ينفر من الجن بل يسخره ويستخدمه
وأما القطر والحديد فتجاذبهما غير خفي

وههنا لطيفة : وهي أن الآدمي ينبغي أن يتقي الجن ويجتنبه والاجتماع به يفضي إلى المفسدة ولهذا قال تعالى : {أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشياطين * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ } [المؤمنون : ٩٧ ، ٩٨] فكيف طلب سليمان الاجتماع بهم فنقول قوله تعالى : {مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ } إشارة إلى أن ذلك الحضور لم يكن فيه مفسدة

ولطيفة أخرى : وهي أن الله تعالى قال ههنا : {بِإِذْنِ رَبّهِ } بلفظ الرب وقال : { وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا } ولم يقل عن أمر ربه ، وذلك لأن الرب لفظ ينبىء عن الرحمة ، فعندما كانت الإشارة إلى حفظ سليمان عليه السلام قال : {رَبِهِ } وعندما كانت الإشارة إلى تعذيبهم قال : {عَنْ أَمْرِنَا } بلفظ التعظيم الموجب لزيادة الخوف

وقوله تعالى : { نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السعير } فيه وجهان

١- أن الملائكة كانوا موكلين بهم وبأيديهم مقارع من نار فالإشارة إليه

٢- أن السعير هو ما يكون في الآخرة فأوعدهم بما في الآخرة من العذاب

<u>فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦)ص</u>

<u>الرازى</u>

رخاء أي رخوة لينة وهي من الرخاوة والريح إذا كانت لينة لا تزعزع ولا تمتنع عليه كانت طيبة ، فإن قيل أليس أنه تعالى قال في آية أخرى { ولسليمان الريح عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِ } قلنا الجواب من وجهين

الأول : لا منافاة بين الآيتين فإن المراد أن تلك الريح كانت في قوة الرياح العاصفة إلا أنها لما جرت بأمره كانت لذيذة طيبة فكانت رخاء

والوجه الثاني : من الجواب أن تلك الريح كانت لينة مرة وعاصفة أخرى ولا منافاة بين الأمرين

وقوله تعالى : {حَيْثُ أَصَابَ } أي قصد وأراد

<u>الطبرى</u>

(فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ) مكان الخيل التي شغلته عن الصلاة(تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً) يعني: رخوة لينة، وهي من الرخاوة.

عن الحسن، أن نبي الله سليمان صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم لما عرضت عليه الخيل، فشغله النظر إليها عن صلاة العصر(حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) فغضب لله، فأمر بها فعُقرت، فأبدله الله مكانها أسرع منها، سخر الريح تجري بأمره رُخاء حيث شاء، فكان يغدو من إيلياء، ويقيل بقزوين، ثم يروح من قزوين ويبيت بكابُل.

قوله(رُخَاءً) سريعة طيبة، قال: ليست بعاصفة ولا بطيئة.

قوله(رُخَاءً) يقول: مُطيعة له.
قوله(رُخَاءً) قال: طوعا. وقوله(حَيْثُ أَصَابَ) يقول: حيث أراد، من قولهم: أصاب الله بك خيرا: أي أراد الله بك خيرا.

وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨١)الانبياء

يقول تعالى ذكره(وَ) سخرنا(لِسُلَيْمَانَ) بن داود(الرِّيحَ عَاصِفَةً) وعصوفُها: شدة هبوبها(تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) يقول: تجري الريح بأمر سليمان إلى الأرض التي باركنا فيها، يعني: إلى الشام، وذلك أنها كانت تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان، ثم تعود به إلى منزله بالشام، فلذلك قيل:(إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا).
الشعراوي

وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨١)الانبياء

لا شكّ أن سليمان - عليه السلام -قد استفاد بما علَّم الله به أباه داود ، وأخذ من نعمة الله على أبيه ، وهنا يزيده ربه - تبارك وتعالى -أموراً يتميز بها ، منها الريح العاصفة أي : القوية الشديدة{تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأرض التي بَارَكْنَا فِيهَا . . . } وكأنها مواصلات داخلية في مملكته من العراق إلى فلسطين .

وفي موضع آخر قال :**{وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّن بعدي إِنَّكَ أَنتَ الوهاب * فَسَخَّرْنَا لَهُ الريح تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ** } [ص : ٣٥-٣٦] .

وُرخَاء : أي : هيّنة ليّنة ناعمة ، وهنا قال { عَاصِفَةً . . . } فكأن الله تعالى جمع لهذه الريح صفة السرعة في (عاصفة) وصفة الراحة في (رخاء)

أما ريح سليمان فكانت تُسرع به إلى مراده ، وهي في الوقت نفسه مريحة ناعمة هادئة لا تُؤثِّر في تكوينات جسمه ، ولا تُحدث له رجَّة أو قوة اندفاع يحتاج مثلاً إلى حزام أمان ، فمَنْ يقدر على الجمع بين هذه الصفات إلا الله القابض الباسط ، الذي يقبض الزمن في حق قوم ويبسطه في حق آخرين

ومعنى : **{ بَارَكْنَا فِيهَا** . . . } أي : **بركة حِسِّية** بما فيها من الزروع والثمار والخِصْب والخيرات ، **وبركة معنوية** حيث جعل فيها مهابط الوحي والنبوات وآثار الأنبياء .

وليس تسخير الريح لسليمان أنها تحمله مثلاً ، كما رأينا في (السينما)
بساط الريح الذي نراه يحمل شيئاً ويسير به في الهواء ، أو : أنها كانت
تُسيِّر المراكب في البحار ، **إنما المراد بتسخيرها له أن تكون تحت مراده ،**
وتأتمر بأمره ، فتسير حيث شاء يميناً أو شمالاً ، فهي لا تهُبُّ على
مرادات الطبيعة التي خلقها الله عليها ، ولكن على مراده هو .
وإنْ كانت هذه الريح الرُّخَاء تحمله **في رحلة داخلية في مملكته**
فهناك من الرياح ما يحمله في رحلات وأسفار خارجية ، كالتي قال الله
تعالى عنها : **{ وَلِسُلَيْمَانَ الريح غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ . . . }** [سبأ :
١٢] فيجوب بها في الكون كيف يشاء **{حَيْثُ أَصَابَ }** [ص : ٣٦] .
ثم يقول تعالى : { وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ } أي عندنا عِلْم نُرتِّب به الأمور
على وَفْق مرادنا ، ونكسر لمرادنا قانون الأشياء فُنسيِّر الريح كما نحب ، لا
كما تقتضيه الطبيعة .

- هواء ساكن {إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الريح . . . } [الشورى : ٣٣] .

والهواء الساكن يضايق الإنسان ، حيث يُصعِّب عليه عملية التنفس ،
فيجلب الهواء لنفسه إما بيده أو بمروحة . لماذا؟ ليجدد الأكسوجين في
الهواء المحيط به فيستطيع التنفس ،

والهواء يأتي مرة ساخناً يلفح الوجوه ، ومرة نسيماً مُنعِشاً عليلاً ، ويأتي
عاصفاً مدمراً . . الخ
لذلك من حكمة الخالق سبحانه ألاّ يُملِّك الهواء لأحد ، ولو ملكه أحد
وغضب عليك لمتَّ قبل أنْ يرضى عنك ، أما الماء فقليل أنْ يُملكه للناس ،
أما الطعام فكثيراً ما يملك
لذلك نسمع من عبارات التهديد : والله لأكتم أنفاسه وهي أسرع وسائل
الإبادة للإنسان وأيسرها وأقلّها أثراً ، فلا يترتب عليها دم ولا جروح
مجرد منديل مبلل بالماء . إذن : الهواء مُقوِّم هام حياة وإماتة .
وقلنا إذا حُبِس الهواء أو سكن لا يتجدد فيه الأكسوجين فيتضايق الإنسان؛
لأن أنفاسه تكتم ، أما إذا حدثت في المكان رائحة كريهة فترى الجميع يضج
: افتحوا النوافذ ، لماذا؟ ليتجدد الهواء
اجتهاد: الهواء ساخن او بارد او منعش. هواء ساكن ام عليل ام عاصف .
هواء روح وريحان ام له رائحة كريهه .هواء نقى ام به اتربه.هواء الفجر
والصبح اذا تنفس ام هواء القيلوله .هواء الصحراء ام الخضره ،هواء
الازدحام وفيه انفاس الخلق ام هواء قلة من الناس . هواء فيه بخار الماء ام

جاف ، هواء فيه جراثيم ام صحى . كل ذلك بالنسبة للمرسل فما بالك بالمستقبل ،صحة الانسان عضوية ونفسيه

الليل والنهار

تعريف الليل لغةً واصطلاحا

الليل لغةً : الليل واحد بمعنى جمع ، وواحدته ليلة مثل تمرة وتمر ، وقد جمع على ليال ، وليل أليل شديد الظلمة

والليل عقيب النهار ومبدؤه من غروب الشمس

الليل اصطلاحاً الليل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر

الليل و النهار يسميان الملوين و يسميان الجديدين و الأحدين و العصرين و البردين و القرنين و الأبردين و الخافقين و الدائرين و الحاذقين و الخيطين و هما زنمتا الدهر و ابنا سمير و ابنا سبات.
الجديدان- الأجدّان- الأهرمان- الأصرمان- الردفان الحرسان-العصران الفتيان- الطريدان

الليل في القرآن

جاء ذكر الليل في القرآن الكريم اثنتين وتسعين مرة، منها ثلاثة وسبعون بلفظ الليل، ومرة واحدة بلفظ ليل، وثماني مرات بلفظ ليلة، وخمس مرات بلفظ ليلا، وثلاث مرات بلفظ ليال، ومرة واحدة بكل من اللفظين ليلها وليالي.
وفي المقابل جاء ذكر النهار في القرآن الكريم سبعة وخمسين مرة منها أربع وخمسون بلفظ النهار، وثلاث مرات بلفظ نهارا، كما وردت ألفاظ الصبح والإصباح، والفلق، وبكرة ومشتقاتها بمدلول النهار في آيات أخري عديدة، كما جاءت كلمة يوم أحيانا بمعني النهار في عدد من آيات القرآن الكريم.
إن المتتبع لآيات القران الكريم يجد أن لفظة (الليل ، ليلا ، ليلها ، ليال ، ليالي) موزعة توزيعا بمستوى يعجز العقل البشري عن وصفه ، لذا سنحاول الوصول إلى معرفة بعض الحكم الإلهية التي تتجلى من اختلاف الليل والنهار، حيث خصّ الله تعالى (الليل)بأن يكون وقتاً للانقطاع والوقوف بين يدي الله ففي كل تأمل وتدبر وتفكر في هذه الآيات يظهر أمرا جديدا وحكمة لم تكن ظاهرة من قبل .

وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ(٥آيات)

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)البقرة
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠)آل عمران
إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦)يونس
وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٨٠)المؤمنون
وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥)الجاثيه

الرازى

١- خلفه يخلفه إذا ذهب الأول وجاء الثاني ، فاختلاف الليل والنهار تعاقبهما في الذهاب والمجيء ، ومنه يقال : فلان يختلف إلى فلان إذا كان يذهب إليه ويجيء من عنده فذهابه يخلف مجيئه ومجيئه يخلف ذهابه وكل شيء يجيء بعد شيء آخر فهو خلفه ، وبهذا فسر قوله تعالى : { وَهُوَ الذى جَعَلَ اليل والنهار خِلْفَةً } [الفرقان : ٦٢] .

٢- اختلاف الليل والنهار في الطول والقصر والنور والظلمة والزيادة والنقصان

قال الكسائي : يقال لكل شيئين اختلفا هما خلفان .

٣- الليل والنهار كما يختلفان بالطول والقصر في الأزمنة ، فهما يختلفان بالأمكنة ، فإن عند من يقول : الأرض كرة فكل ساعة عينتها فتلك الساعة في موضع من الأرض صبح ، وفي موضع آخر ظهر ، وفي موضع ثالث عصر ، وفي رابع مغرب ، وفي خامس عشاء وهلم جرا هذا إذا اعتبرنا البلاد المخالفة في الأطوال ، أما البلاد المختلفة بالعرض ، فكل بلد تكون عرضه الشمالي أكثر كانت أيامه الصيفية أطول ولياليه الصيفية أقصر وأيامه الشتوية بالضد من ذلك فهذه الأحوال المختلفة في الأيام والليالي بحسب اختلاف أطوال البلدان وعرضها أمر مختلف عجيب

إن اختلاف أحوال الليل والنهار يدل على الصانع من وجوه .

١- أن اختلاف أحوال الليل والنهار مرتبط بحركات الشمس ، وهي من الأيات العظام .

٢- ما يحصل بسبب طول الأيام تارة ، وطول الليالي أخرى من اختلاف الفصول ، وهو الربيع والصيف والخريف والشتاء ، وهو من الآيات العظام .

٣- أن انتظام أحوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة في الأيام وطلب النوم والراحة في الليالي من الآيات العظام .

٤- أن كون الليل والنهار متعاونين على تحصيل مصالح الخلق مع ما بينهما من التضاد والتنافي من الآيات العظام ، فإن مقتضى التضاد بين الشيئين أن يتفاسدا لا أن يتعاونا على تحصيل المصالح .

٥-أن إقبال الخلق في أول الليل على النوم يشبه موت الخلائق أولاً عند النفخة الأولى في الصور ويقظتهم عند طلوع الشمس شبيهة بعود الحياة إليهم عند الفخة الثانية ، وهذا أيضاً من الآيات العظام المنبهة على الآيات العظام .

٦- أن انشقاق ظلمة الليل بظهور الصبح المستطيل فيه من الآيات العظام كأنه جدول ماء صاف يسيل في بحر كدر بحيث لا يتكدر الصافي بالكدر

ولا الكدر بالصافي ، وهو المراد بقوله تعالى : { فَالِقُ الإصباح وَجَاعِلُ الليل سكنا } [الأنعام : ٩٦] .

٧- أن تقدير الليل والنهار بالمقدار المعتدل الموافق للمصالح من الآيات العظام كما بينا أن في الموضع الذي يكون القطب على سمت الرأس تكون السنة ستة أشهر فيها نهاراً وستة أشهر ليلاً وهناك لا يتم النضج ولايصلح المسكن لحيوان ولا يتهيأ فيه شيء من أسباب المعيشة .

٨- أن ظهور الضوء في الهواء لو قلنا إنه حصل بقدرة الله تعالى ابتداء عند طلوع الشمس ، من حيث إنه تعالى أجرى عادته بخلق ضوء في الهواء عند طلوع الشمس فلا كلام وإن قلنا الشمس توجب حصول الضوء في الجرم المقابل له كان اختصاص الشمس بهذه الخاصية دون سائر الأجسام مع كون الأجسام بأسرها متماثلة ، يدل على وجود الصانع سبحانه وتعالى .

اختلافات كثيرة بين الليل والنهار

يقرر العلماء وجود اختلافات كثيرة بين منطقة الليل ومنطقة النهار على سطح الأرض، اختلاف في درجات الحرارة، اختلاف في كمية الأشعة

الكونية الساقطة على كل منها، اختلاف في تأثير القمر (المد والجزر)، اختلاف في أساليب الحياة للكائنات الحية والنباتات... واختلافات أخرى لا تُحصى. ولولا هذا الاختلاف لم تستمر الحياة على الأرض، فالنباتات لا يمكن أن تنمو إلا بتعاقب الليل والنهار، وبالتالي لولا اختلاف الليل والنهار لزالت الحياة من على الأرض.

لقد تحدث القرآن عن ظاهرة مهمة وهي الاختلاف الكبير بين منطقة الليل ومنطقة النهار على سطح الكرة الأرضية. ولذلك فإن هذا الاختلاف نعمة من نعم الخالق تبارك وتعالى، لأنه يضمن استمرار الحياة.

لولا وجود ليل ونهار على الأرض ما استطاع النبات أن ينمو، ولم تكن هناك حياة أصلاً!

وِلِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ(٥آيات)

وِلِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)آل عمران

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٦١)الحج

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦)الحديد

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩)لقمان

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى (١٣)فاطر

<u>القرطبى</u>

قَوْلِهِ"تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ"الْآيَةُ، أَيْ تُدْخِلُ مَا نَقَصَ مِنْ أَحَدِهِمَا فِي الْآخَرِ، حَتَّى يَصِيرَ النَّهَارُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَاعَةً وَهُوَ أَطْوَلُ مَا يَكُونُ، وَاللَّيْلُ تِسْعَ سَاعَاتٍ وَهُوَ أَقْصَرُ مَا يَكُونُ. وَكَذَا (تُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ). وَتَحْتَمِلُ أَلْفَاظُ الْآيَةِ أَنْ يَدْخُلَ فِيهَا تَعَاقُبُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، كَأَنَّ زَوَالَ أَحَدِهِمَا وُلُوجٌ فِي الْآخَرِ.

<u>الرازى</u>

أما قوله تعالى : { تُولِجُ اليل فِى النهار وَتُولِجُ النهار فِى اليل } فيه وجهان

١-أن يجعل الليل قصيراً ويجعل ذلك القدر الزائد داخلاً في النهار وتارة على العكس من ذلك وإنما فعل سبحانه وتعالى ذلك لأنه علق قوام العالم ونظامه بذلك

٢- أن المراد هو أنه تعالى يأتي بالليل عقيب النهار ، فيلبس الدنيا ظلمة بعد أن كان فيها ضوء النهار ، ثم يأتي بالنهار عقيب الليل فيلبس الدنيا ضوءه فكان المراد من إيلاج أحدهما في الآخر إيجاد كل واحد منهما عقيب الآخر

<u>اللَّيْلَ سكن(٦آيات)</u>

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٧)يونس

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٦١)غافر

أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٦)النمل

وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣)القصص

وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣)الانعام

فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦)الانعام

<u>الرازى</u>

والمعنى أنه تعالى جعل الليل ليزول التعب والكلال بالسكون فيه ، وجعل النهار مبصراً أي مضيئاً لتهتدوا به في حوائجكم بالأبصار ، والمبصر الذي يبصر ، والنهار يبصر فيه ، وإنما جعله مبصراً على طريق نقل الاسم من السبب إلى المسبب .

فإن قيل : إن قوله : { هُوَ الذى جَعَلَ لَكُمُ اليل لِتَسْكُنُواْ فِيهِ } يدل على أنه تعالى ما خلقه إلا لهذا الوجه ،

وقوله : {إِنَّ فِى ذلك لآيات لّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ } يدل على أنه تعالى أراد بتخليق الليل والنهار أنواعاً كثيرة من الدلائل .

قلنا : إن قوله تعالى : { لّتَسْكُنُواْ } لا يدل على أنه لا حكمة فيه إلا ذلك ، بل ذلك يقتضي حصول تلك الحكمة .

أما قوله تعالى : {إِنَّ فِى ذلك لآيات لّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ } فالمراد يتدبرون ما يسمعون ويعتبرون به .

<u>يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا(٤آيات)</u>

يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)الاعراف

يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣)الرعد

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١)وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢)الليل

وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣)وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤)الشمس

الإغشاء والتغشية إلباس الشيء بالشيء ، وقد جاء التنزيل بالتشديد والتخفيف ، فمن التشديد قوله تعالى : { فغشاها مَا غشى } [النجم : ٥٤]
ومن اللغة الثانية قوله : { فأغشيناهم فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ } [يس : ٩]
والمفعول الثاني محذوف على معنى فأغشيناهم العمى وفقد الرؤية .

قوله : {يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً } يحتمل أن يكون المراد يلحق الليل بالنهار ، وأن يكون المراد النهار بالليل ، واللفظ يحتملهما معاً وليس فيه تغيير ،

والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس {يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً } بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار أي يدرك النهار الليل ويطلبه

قال القفال رحمه الله : أنه سبحانه لما أخبر عباده باستوائه على العرش عن استمرار أصعب المخلوقات على وفق مشيئته ، أراهم ذلك عياناً فيما

يشاهدونه منها ليضم العيان إلى الخبر ، وتزول الشبه عن كل الجهات ، فقال : { يغشي الليل النهار } لأنه تعالى أخبر في هذا الكتاب الكريم بما في تعاقب الليل والنهار من المنافع العظيمة ، والفوائد الجليلة ، فإن بتعاقبهما يتم أمر الحياة ، وتكمل المنفعة والمصلحة .
قوله : { يَطْلُبُهُ حَثِيثًا } قال الليث : الحث : الإعجال ، يقال :حثثت فلاناً فأحتث ، فهو حثيث ومحثوث ، أي مجد سريع .
واعلم أنه سبحانه وصف هذه الحركة بالسرعة والشدة ، وذلك هو الحق ، لأن تعاقب الليل والنهار إنما يحصل بحركة الفلك الأعظم ، وتلك الحركة أشد الحركات سرعة ، وأكملها شدة ، حتى أن الباحثين عن أحوال الموجودات . قالوا : الإنسان إذا كان في العدو الشديد الكامل ، فإلى أن يرفع رجله ويضعها يتحرك الفلك الأعظم ثلاثة آلاف ميل ، وإذا كان الأمر كذلك كانت تلك الحركة في غاية الشدة والسرعة ، فلهذا السبب قال تعالى : { يَطْلُبُهُ حَثِيثًا } ونظير هذه الآية قوله سبحانه : { لاَ الشمس يَنبَغِى لَهَا أَن تدْركَ القمر وَلاَ اليل سَابِقُ النهار وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ

قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ(٣آيات)
كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧)يونس
فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١)هود
فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥)الحجر

الرازى

أما قوله تعالى : {كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً } ففيه {أُغْشِيَتْ } أي ألبست { وُجُوهُهُمْ قِطَعًا } قرأ ابن كثير والكسائي { قِطَعًا } بسكون الطاء ، وقرأ الباقون بفتح الطاء ، والقطع بسكون القطعة . وهي البعض ، ومنه قوله تعالى { فأسر بأهلك بقطع من الليل } [هود : ٨١] أي قطعة . وأما قطع بفتح الطاء ، فهو جمع قطعة ، ومعنى الآية : وصف وجوههم بالسواد ، حتى كأنها ألبست سواداً من الليل ، كقوله تعالى : { تَرَى الذين كَذَبُواْ عَلَى الله وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ } [الزمر : ٦٠] وكقوله :

{فَأَمَّا الذين اسودت وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمانكم } [آل عمران : ١٠٦] وكقوله : { يُعْرَفُ المجرمون بسيماهم } [الرحمن : ٤١] وتلك العلامة هي سواد الوجه وزرقة العين .
قوله : { مُظْلِماً } قال الفراء والزجاج : هو نعت لقوله : { قِطَعًا } وقال أبو علي الفارسي :ويجوز أن يجعل حالاً كأنه قيل :أغشيت وجوههم قطعاً من الليل في حال ظلمته .

العبادات في الليل(١٥آية)

١-تِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ

ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧)البقرة
المنطقة الفاصلة بين الليل والنهار
إن المنطقة التي تتوسط الليل والنهار تظهر بالصور وكأنها خيط رفيع يفصل بين الظلام والنور كما نرى. يقول تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) [البقرة: ١٨٧]. هذه الآية تتحدث عن وجود منطقة فاصلة بين الليل والنهار والفجر في وسطها،

٢-وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ

وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (١١٤)هود
اعلم أنه تعالى لما أمره بالاستقامة أردفه بالأمر بالصلاة وذلك يدل على أن أعظم العبادات بعد الإيمان بالله هو الصلاة وفي الآية مسائل :
الخوارج تمسكوا بهذه الآية في إثبات أن الواجب ليس إلا الفجر والعشاء أنهما واقعان على طرفي النهار والله تعالى أوجب إقامة الصلاة طرفي النهار ، فوجب أن يكون هذا لقدر كافياً .
فإن قيل : قوله : {وَزُلَفاً مِّنَ اليل } يوجب صلوات أخرى .
فإن طرفي النهار موصوفان بكونهما زلفاً من الليل
كثرت المذاهب في تفسير طرفي النهار والأقرب أن الصلاة التي تقام في طرفي النهار وهي الفجر والعصر ، وذلك لأن أحد طرفي النهار طلوع الشمس والطرف الثاني منه غروب الشمس فالطرف الأول هو صلاة الفجر والطرف الثاني لا يجوز أن يكون صلاة المغرب لأنها داخلة تحت قوله : {وَزُلَفاً مِّنَ اليل } فوجب حمل الطرف الثاني على صلاة العصر .

ظاهر هذه الآية يدل على وجوب إقامة الصلاة في طرفي النهار وبينا أن طرفي النهار هما الزمان الأول لطلوع الشمس ، والزمان الثاني لغروبها ، وأما قوله : **{وَزُلَفاً مِّنَ اليل }** فهو يقتضي الأمر بإقامة الصلاة في ثلاث زلف من الليل ، لأن أقل الجمع ثلاثة وللمغرب والعشاء وقتان ، فيجب الحكم بوجوب الوتر حتى يحصل زلف ثلاثة يجب إيقاع الصلاة فيها ، وإذا ثبت وجوب الوتر في حق النبي صلى الله عليه وسلم وجب في حق غيره لقوله تعالى : { واتبعوه } [سبأ : ٢٠] ونظير هذه الآية بعينها قوله سبحانه وتعالى : {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشمس وَقَبْلَ غُرُوبِهَا } [طه : ٣٠] فالذي هو قبل طلوع الشمس هو صلاة الفجر ، والذي هو قبل غروبها هو صلاة العصر .

ثم قال تعالى : **{ وَمِنْ ءانَاء اليل فَسَبّحْ }** وهو نظير قوله : {وَزُلَفاً مِّنَ اليل } .

وقوله : {وَزُلَفاً مِّنَ اليل } قال الليث : زلفة من أول الليل طائفة ، والجمع الزلف . قال الواحدي : وأصل الكلمة من الزلفى والزلفى هي القربى ، يقال : أزلفته فازدلف أي قربته فاقترب .

وقيل في تفسير قوله : {وَزُلَفاً مِّنَ اليل }وقرباً من الليل ، ثم قال : {إِنَّ الحسنات يُذْهِبْنَ السيئات}

في تفسير الحسنات : قال ابن عباس : المعنى أن الصلوات الخمس كفارات لسائر الذنوب بشرط الاجتناب عن الكبائر .

وروي عن مجاهد أن الحسنات هي قول العبد سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

٣- غَسَقِ اللَّيْلِ

أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨)الاسراء

معنى دلوك الشمس على قولين .

١-أن دلوكها غروبها

٢-دلوك الشمس هو زوالها عن كبد السماء

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر "

قال أهل اللغة معنى الدلوك في كلام العرب الزوال ولذلك قيل للشمس إذا زالت نصف النهار دالكة ، وقيل لها إذا أفلت دالكة لأنها في الحالتين زائلة . والدلوك عبارة عن الميل والزوال ، والمعنى {أَقِمِ الصلاة } أي أدمها من

وقت زوال الشمس إلى غسق الليل وعلى هذا التقدير فيدخل فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، ثم قال : {أَقِم الصلاة } فإذا حملنا الدلوك على الزوال دخلت الصلوات الخمس في هذه الآية ، وإن حملناه على الغروب لم يدخل فيه إلا ثلاث صلوات وهي المغرب والعشاء والفجر وحمل كلام الله تعالى على ما يكون أكثر فائدة أولى فوجب أن يكون المراد من الدلوك الزوال

قيل ان اللام في قوله لدلوك الشمس لام الأجل والسبب وذلك لأن الصلاة إنما تجب بزوال الشمس فيجب على المصلي إقامتها لأجل دلوك الشمس .

قوله : { **<u>إلى غسق الليل</u>** } غسق الليل سواده وظلمته

وأصل هذا الحرف من السيلان يقال : غسقت العين تغسق . وهو هملان العين بالماء ، والغاسق السائل ، ومن هذا يقال لما يسيل من أهل النار : الغساق ، فمعنى غسق الليل أي انصب بظلامه ، وذلك أن الظلمة كأنها تنصب على العالم ، يقال : غسقت العين إذا امتلأت دمعاً ، وغسقت الجراحة إذا امتلأت دماً ، قال لأنا لو حملنا الغسق على هذا المعنى دخلت الصلوات الأربع فيه وهي الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، ولو حملنا الغسق على ظهور أول الظلمة لم يدخل فيه إلا الظهر والمغرب فوجب أن يكون الأول أولى

قوله **<u>{ وقرآن الفجر</u>** } أجمعوا على أن المراد منه صلاة الصبح

أن الفقهاء بينوا أن السنة أن تكون القراءة في هذه الصلاة أطول من القراءة في سائر الصلوات فالمقصود من قوله { وقرآن الفجر } الحث على أن تطويل القراءة في هذه الصلاة مطلوب

<u>أنه وصف قرآن الفجر بكونه مشهوداً</u> .

١- قال الجمهور : معناه أن ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون في صلاة الصبح خلف الإمام تنزل ملائكة النهار عليهم وهم في صلاة الغداة وقبل أن تعرج ملائكة الليل فإذا فرغ الإمام من صلاته عرجت ملائكة الليل ومكثت ملائكة النهار

الإنسان إذا شرع فيها من أول الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم إذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار فبهذا الطريق تحضر في هذه الصلاة ملائكة الليل وملائكة النهار

٢- في تفسير قوله تعالى : { إِنَّهُ كَانَ مَشْهُودًا } فالإنسان لما قام من منامه فكأنه انتقل من الموت إلى الحياة ومن العدم إلى الوجود ثم إنه مع ذلك يشاهد في أثناء صلاته انقلاب كلية هذا العالم من الظلمة إلى الضوء ومن

الموت إلى الحياة ومن السكون إلى الحركة ومن العدم إلى الوجود . وهذه الحالة حالة عجيبة تشهد العقول والأرواح بأنه لا يقدر على هذا التقليب والتحويل والتبديل إلا الخالق المدبر بالحكمة البالغة والقوة الغير المتناهية وحينئذ يستنير العقل بنور هذه المعرفة وينفتح على العقل والروح أبواب المكاشفات الروحانية الإلهية.
٣- {إن قرآن الفجر كان مشهوداً } الترغيب في أن تؤدي هذه الصلاة بالجماعة ويكون المعنى كونه مشهوداً بالجماعة الكثيرة
٤- {وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً } يحتمل أن يكون السبب في كونه مشهوداً هو أن الإنسان لما نام طول الليل فصار كالغافل في هذه المدة عن مراقبة أحوال الدنيا فزالت صورة الحوادث الجسمانية عن لوح خياله وفكره وعقله وصارت هذه الألواح كألواح سطرت فيها نقوش فاسدة ثم غسلت وأزيلت تلك النقوش عنها ، ففي أول وقت القيام من المنام صارت ألواح عقله وفكره وخياله مطهرة عن النقوش الفاسدة الباطلة . فإذا تسارع الإنسان في ذلك الوقت إلى عبادة الله تعالى وقراءة الكلمات الدالة على تنزيهه والإقدام على الأفعال الدالة على تعظيم الله تعالى انتقش في لوح عقله وفكره وخياله هذه النقوش الطاهرة المقدسة

٤- وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ

وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩)الاسراء

الرازى

١-التهجد عبارة عن صلاة الليل فقوله { فتهجد به } أي بالقرآن كما قال : قُمِ اليل إِلاَّ قَلِيلاً } إلى قوله : { وَرَتّلِ القرءان تَرْتِيلاً } المزمل : ٢- ٤
قال الواحدي الهجود في اللغة النوم
عن أبي عبيدة الهاجد النائم والهاجد المصلي بالليل فعند هؤلاء هذا اللفظ من الأضداد
وأما الأزهري فإنه توسط في تفسير هذا اللفظ وقال المعروف في كلام العرب أن الهاجد هو النائم ثم رأينا أن في الشرع يقال لمن قام من النوم إلى الصلاة إنه متهجد فوجب أن يحمل هذا على أنه سمي متهجداً لالقائه الهجود عن نفسه كما قيل للعابد متحنث لإلقائه الحنث عن نفسه وهو الإثم
٢- احتمال آخر وهو أن الإنسان إنما يترك لذة النوم ويتحمل مشقة القيام إلى الصلاة ليطيب رقاده وهجوده عند الموت فلما كان غرضه من ترك

هذا الهجود أن يصل إلى الهجود اللذيذ عند الموت كان هذا القيام طلباً لذلك الهجود فسمي تهجداً لهذا السبب .
٣-أيحسب أحدكم إذا قام من الليل فصلى حتى يصبح أنه قد تهجد إنما التهجد الصلاة بعد الرقاد ثم صلاة أخرى بعد رقدة ثم صلاة أخرى بعد رقدة هكذا كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . إذا عرفت هذا فنقول كلما صلى الإنسان طلب هجوداً ورقاداً فلا يبعد أنه سمي تهجداً لهذا السبب .
{ وَمِنَ الليل } لا بد له من متعلق والفاء في قوله : { فَتَهَجَّدْ } لا بد له من معطوف عليه والتقدير قم من الليل أي في بعض الليل فتهجد به وقوله : { بِهِ } أي بالقرآن والمراد منه الصلاة المشتملة على القرآن .
معنى النافلة في اللغة ما كان زيادة على الأصل ذكرناه في قوله تعالى : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنفال } [الأنفال : ١]ومعناها أيضاً في هذه الآية الزيادة وفي تفسير كونها زيادة قولان مبنيان على أن صلاة الليل هل كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم أم لا فمن الناس من قال إنها كانت واجبة عليه ثم نسخت فصارت نافلة ، أي تطوعاً وزيادة على الفرائض ،
وذكر مجاهد والسدي في تفسير كونها (نافلة)وجهاً حسناً قالا إنه تعالى غفر للنبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فكل طاعة يأتي بها سوى المكتوبة فإنه لا يكون تأثيرها في كفارة الذنوب ألبتة بل يكون تأثيرها في زيادة الدرجات وكثرة الثواب وكان المقصود من تلك العبادة زيادة الثواب فلهذا سميت نافلة بخلاف الأمة ، فإن لهم ذنوباً محتاجة إلى الكفارات فهذه الطاعة محتاجون إليها لتكفير الذنوب والسيئات فثبت أن هذه الطاعات إنما تكون زوائد ونوافل في حق النبي صلى الله عليه وسلم لا في حق غيره فلهذا السبب قال : {نَافِلَةً لَّكَ } يعني أنها زوائد ونوافل في حقك لا في حق غيرك وتقريره ما ذكرناه .
وأما الذين قالوا : إن صلاة الليل كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا معنى كونها نافلة له على التخصيص أنها فريضة عليك زائدة على الصلوات الخمس خصصت بها من بين أمتك ويمكن نصرة هذا القول بأن قوله فتهجد أمر وصيغة الأمر للوجوب فوجب كون هذا التهجد واجباً

٥- يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠)الانبياء
٦- وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (٤٩)الطور
٧-وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (٤٠)ق
٨- كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧)الذاريات

قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢)المزمل
١٠-إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٢٠) المزمل
١١-نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦)المزمل
١٢-وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦)الانسان

آنَاءَ اللَّيْلِ

١٣-لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣)
١٤-أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ (٩)الزمر
١٥-وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (١٣٠)طه

{ ءاناء الليل } أصلها في اللغة الأوقات والساعات وواحدها إنا ، مثل : معى وأمعاء
لأنه انتظار الساعات والأوقات ، وفي الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للرجل الذي أخر المجيء إلى الجمعة " آذيت وآنيت " أي دافعت الأوقات .

قوله تعالى : { وَهُمْ يَسْجُدُونَ }
١-يحتمل أن يكون حالاً من التلاوة كأنهم يقرؤن القرآن في السجدة مبالغة في الخضوع والخشوع إلا أن القفال رحمه الله روى في «تفسيره» حديثاً : أن ذلك غير جائز ، وهو قوله عليه السلام : "ألا إني نهيت أن أقرأ راكعاً أو ساجداً "
٢-يحتمل أن يكون كلاماً مستقلاً والمعنى أنهم يقومون تارة يبتغون الفضل والرحمة بأنواع ما يكون في الصلاة من الخضوع لله تعالى وهو كقوله{وَالَّذِينَ يِبِيتُونَ لِرَبّهِمْ سُجَّداً وقياما } [الفرقان : ٦٤]
وقوله { أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَاء اليل ساجدا وَقَائِماً يَحْذَرُ الأخرة وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبّهِ } [الزمر : ٩]
قال الحسن : يريح رأسه بقدميه وقدميه برأسه ، وهذا على معنى إرادة الراحة وإزالة التعب وإحداث النشاط
٣- يحتمل أن يكون المراد بقوله { وَهُمْ يَسْجُدُونَ } أنهم يصلون وصفهم بالتهجد بالليل والصلاة تسمى سجوداً وسجدة وركوعاً وركعة وتسبيحاً وتسبيحة

تسخير-وجعل-وخلق الليل(٨ آيات)

١- وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣)ابراهيم

٢-وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢)النحل

، يقول تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) [آل عمران: ١٩٠]الليل والنهار يقدمان خدمات مجانية

يتحدث العلماء عن فوائد كثيرة لتعاقب الليل والنهار، من حيث استقرار درجات الحرارة على الأرض لتبقى مناسبة للحياة، وحدوث الليل والنهار ضروري لنمو النباتات...إذاً الليل والنهار يقدمان لنا خدمات مجانية لا ، عندما نتأمل بقية الأجسام الكونية كالقمر، نلاحظ أنه لا يوجد على سطحه تعاقب لليل والنهار، فنجد جانباً مظلماً شديد البرودة وجانباً منيراً ذو حرارة مرتفعة جداً.

إن حركة الأرض حول نفسها وحول الشمس تتم بصورة منتظمة ولا يوجد أدنى خلل يمكن أن يسبب اضطراباً في التوقيت أو تعاقب الليل والنهار، وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله تعالى: (لَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) [يس: ٤٠].

<u>٣-جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً</u>

هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢)الفرقان

<u>٤جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا</u>

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (قُلْ) أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢)القصص

الليل والنهار نعمتان يتعاقبان على الزمان ، لأن المرء في الدنيا وفي حال التكليف مدفوع إلى أن يتعب لتحصيل ما يحتاج إليه ، ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار ، ولأجله يحصل الاجتماع فيمكن المعاملات ومعلوم أن ذلك لا يتم لولا الراحة والسكون بالليل فلا بد منهما والحالة هذه ، فأما في الجنة فلا نصب ولا تعب فلا حاجة بهم إلى الليل فلذلك يدوم لهم الضياء واللذات

، فبين تعالى أنه لا قادر على ذلك إلا الله تعالى ، وإنما قال : {أَفَلاَ تَسْمَعُونَ } {أَفلاَ تُبْصِرُونَ } لأن الغرض من ذلك الانتفاع بما يسمعون ويبصرون من جهة التدبر فلما لم ينتفعوا نزلوا منزلة من لا يسمع ولا يبصر قال الكلبي قوله : {أَفَلاَ تَسْمَعُونَ } معناه أفلا تطيعون من يفعل ذلك وقوله : {أَفلاَ تُبْصِرُونَ } معناه أفلا تبصرون ما أنتم عليه من الخطأ والضلال ،

قال صاحب «الكشاف» السرمد الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ، ومنه قولهم في الأشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد ، فإن قيل هلا قال : بنهار تتصرفون فيه ، كما قيل : بليل تسكنون فيه؟ قلنا ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لأن المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ، وإنما قرن بالضياء أفلا تسمعون ، لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من درك منافعه ووصف فوائده ، وقرن بالليل أفلا تبصرون لأن غيرك يدرك من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه ، ومن رحمته زاوج بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة لتسكنوا في أحدهما وهو الليل ، ولتبتغوا من فضله في الآخر وهو النهار ولأداء الشكر على المنفعتين معاً .

واعلم أنه وإن كان السكون في النهار ممكناً وابتغاء فضل الله بالليل ممكناً إلا أن الأليق بكل واحد منهما ما ذكره الله تعالى به فلهذا خصه به .

٥- وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (١٢)الاسراء

<u>٦- وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا</u>

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) النبا

الرازى

قال القفال : أصل اللباس هو الشيء الذي يلبسه الإنسان ويتغطى به ، فيكون ذلك مغطياً له ، فلما كان الليل يغشى الناس بظلمته فيغطيهم جعل لباساً لهم ، وهذا السبت سمي الليل لباساً على وجه المجاز ، والمراد كون الليل ساتراً لهم . وأما وجه النعمة في ذلك ، فهو أن ظلمة الليل تستر الإنسان عن العيون إذا أراد هرباً من عدو ، أو بياتاً له ، أو إخفاء مالا يحب الإنسان إطلاع غيره عليه

وأيضاً فكما أن الإنسان بسبب اللباس يزداد جماله وتتكامل قوته ويندفع عنه أذى الحر والبرد ، فكذا لباس الليل بسبب ما يحصل فيه من النوم يزيد في جمال الإنسان ، وفي طراوة أعضائه وفي تكامل قواه الحسية

والحركية ، ويندفع عنه أذى التعب الجسماني ، وأذى الأفكار الموحشة النفسانية ، فإن المريض إذا نام بالليل وجد الخفة العظيمة .
قوله تعالى وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١)

المعنى وجعلنا النهار وقت معاشوا أن يكون معاشاً مفعلاً وظرفاً للتعيش ، ومعنى كون النهار معاشاً أن الخلق إنما يمكنهم التقلب في حوائجهم ومكاسبهم في النهار لا في الليل .
الطبرى
والسبت والسبات: هو السكون، ولذلك سمي السبت سبتا، لأنه يوم راحة ودعة(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا) يقول تعالى ذكره: وجعلنا الليل لكم غشاء يتغشاكم سواده، وتغطيكم ظلمته، كما يغطي الثوب لابسه لتسكنوا فيه عن التصرّف لما كنتم تتصرّفون له نهارا؛

٧-وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (٤٧)الفرقان
الطبرى
تأويل قوله تعالى :{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (٤٧) }
يقول تعالى ذكره: الذي مدّ الظل ثم جعل الشمس عليه دليلا هو الذي جعل لكم أيها الناس الليل لباسا. وإنما قال جلّ ثناؤه(جَعَلَ لَكُمُاللَّيْلَ لِبَاسًا) لأنه جعله لخلقه جنة يجتنون فيها ويسكنون، فصار لهم سترا يستترون به، كما يستترون بالثياب التي يُكسونها. وقوله:(وَالنَّوْمَ سُبَاتًا) يقول: وجعل لكم النوم راحة تستريح به أبدانكم، وتهدأ به جوارحكم. وقوله:(وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا) يقول تعالى ذكره: وجعل النهار يقظة وحياة من قولهم: نَشر الميتُ،
ومنه قول الله:(وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا)
عن مجاهد، قوله:(وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا) قال: ينشر فيه.
وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك، أنه عقيب قوله:(وَالنَّوْمَ سُبَاتًا) في الليل. فإذ كان ذلك كذلك، فوصف النهار بأن فيه اليقظة والنشور من النوم أشبه إذ كان النوم أخا الموت. لأن الله أخبر أنه جعل النهار معاشا، وفيه الانتشار للمعاش، ولكن النشور مصدر من قول القائل: نشر،

فهو بالنشر من الموت والنوم أشبه، كما صحّت الرواية عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا أصبح وقام من نومه: "الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَما أماتَنا، وإلَيْهِ النُّشُورُ".

<u>الرازى</u>

{وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اليل لِبَاساً والنوم سُبَاتاً وَجَعَلَ النهار نُشُوراً } اعلم أنه تعالى شبه الليل من حيث إنه يستر الكل ويغطي باللباس الساتر للبدن ، ونبه على ما لنا فيه من النفع بقوله : {والنوم سُبَاتاً } والسبات هو الراحة وجعل النوم سباتاً لأنه سبب للراحة قال أبو مسلم : السبات الراحة ومنه يوم السبت لما جرت به العادة من الاستراحة فيه ، ويقال للعليل إذا استراح من تعب العلة مسبوت ، وقال صاحب «الكشاف» السبات الموت والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة قال : وهذا كقوله : { وَهُوَ الذى يتوفاكم باليل } [الأنعام : ٦٠] وإنما قلنا إن تفسيره بالموت أولى من تفسيره بالراحة ، لأن النشور في مقابلته يأباه ، قال أبو مسلم : { وجعل النهار نشوراً } هو بمعنى الانتشار والحركة كما سمى تعالى نوم الإنسان وفاة ، فقال : { الله يَتَوَفَّى الانفس حِينَ مِوْتِهَا } [الزمر : ٤٢] والتي لم تمت في منامها كذلك وفق بين القيام من النوم والقيام من الموت في التسمية بالنشور ، وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار لنعمه على خلقه ، لأن الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنيوية ، والنوم واليقظة شبههما بالموت والحياة ، وعن لقمان أنه قال لابنه : كما تنام فتوقظ ، كذلك تموت فتنتشر .

<u>٨-خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ</u>

<u>وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ</u>

(٣٣)الانبياء

الليل يسبح في الفضاء

الليل والنهار يتحركان بنفس السرعة ويسبحان حول الأرض نتيجة لدورانها حول نفسها. تأملوا عبارة (كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) فكما أن الشمس لها فلك خاص تسبح فيه، وكذلك القمر، هناك حركة مستمرة ومنتظمة لليل والنهار، وهذه الحركة دليل على كروية الأرض.

كما أن القمر يدور حول الأرض في مدار محدد، وكما أن الأرض تدور حول الشمس في مدار محدد، كذلك فإن الليل يدور ويلف حول الكرة الأرضية، ويكوّر ويحيط بالنهار، وهكذا فإن سرعة حركة الليل والنهار هي ذاتها سرعة دوران الأرض حول محورها.

الطبرى

(لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) قال: لا يُشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر، ولا ينبغي ذلك لهما

قوله(لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) وهذا في ضوء القمر وضوء الشمس، إذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء، وإذا طلع القمر بضوئه لم يكن للشمس ضوء(وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَار) قال: في قضاء الله وعلمه أن لا يفوت الليل النهار حتى يدركه، فيذهب ظلمته، وفي قضاء الله أن لا يفوت النهار الليل حتى يدركه، فيذهب بضوئه .

ولكلٍّ حدٌّ وعلم لا يعدوه، ولا يقصر دونه؛ إذا جاء سلطان هذا، ذهب سلطان هذا، وإذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا .

يقول: إذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يدي الآخر، فإذا غابا غاب أحدهما بين يدي الآخر ، وأنْ من قوله(أَنْ تُدْرِكَ) في موضع رفع بقوله: ينبغي.

وقوله(وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) يقول: وكل ما ذكرنا من الشمس والقمر والليل والنهار في فلك يجرون.

وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) يعني: كلّ في فلك في السموات ؟.

جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ (٧٦)الانعام

يقال جن عليه الليل وأجنه الليل ، ويقال : لكل ما سترته جن وأجن ، ويقال أيضاً جنه الليل ، ولكن الاختيار جن عليه الليل ، وأجنه الليل . هذا قول جميع أهل اللغة ، ومعنى { جَنَّ } ستر ومنه الجنة والجن والجنون والجان والجنين والمجن والجنن والمجن ، وهو المقبور . والمجنة كل هذا يعود أصله إلى الستر والاستتار ، وقال بعض النحويين : {جَنَّ عَلَيْهِ اليل } إذا أظلم عليه الليل . ولهذا دخلت «على» عليه كما تقول في أظلم . فأما جنه فستره من غير تضمين معنى {أَظْلَمَ} .

يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ

يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (٤٤)النور

الرازى

أما قوله : {يُقَلِّبُ الله اليل والنهار } فقيل فيه وجوه :

منها تعاقبهما ومجيء أحدهما بعد الآخر وهو كقوله : { وَهُوَ الذي جَعَلَ الليل والنهار خِلْفَةً } [الفرقان : ٦٢]
ومنها ولوج أحدهما في الآخر وأخذ أحدهما من الآخر .
ومنها تغير أحوالهما في البرد والحر وغيرهما
ولا يمتنع في مثل ذلك أن يريد تعالى معاني الكل لأنه في الإنعام والاعتبار أولى وأقوى .

اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ

وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧)يس

الكحيل

النهار طبقة رقيقة جداً

إن طبقة النهار رقيقة جداً أشبه بطبقة الجلد التي تغلف جسد الإنسان. تأملوا معي هذه الصورة التي تبين سماكة طبقة النهار، وهي طبقة تغلف الجانب المضيء من الكرة الأرضية ولا يتجاوز ارتفاعها ١٠٠ كيلو متر، بينما يبلغ قطر الأرض بحدود ١٢٥٠٠ كيلو متر، أي أن طبقة النهار أقل من واحد بالمئة فقط من قطر الأرض.
الطبقة الرقيقةجداً ، من كان يعلم زمن نزول القرآن أن النهار ينسلخ انسلاخاً عن الأرض نتيجة لدورانها؟!

الرازى

ما معنى سلخ النهار من الليل؟ نقول معناه تمييزه منه يقال انسلخ النهار من الليل إذا أتى آخر النهار ودخل أول الليل وسلخه الله منه فانسلخ هو منه ، وأما إذا استعمل بغير كلمة من فقيل سلخت النهار أو الشمس فمعناه دخلت في آخره ، فإن قيل فالليل في نفسه آية فأية حاجة إلى قوله : { نَسْلَخُ مِنْهُ النهار } ؟ نقول الشيء تتبين بضده منافعه ومحاسنه وقوله : {فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ } أي داخلون في الظلام

الطبرى

(اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) يقول: ننزع عنه النهار. ومعنى "منه" في هذا الموضع: عنه، كأنه قيل: نسلخ عنه النهار، فنأتي بالظلمة ونذهب بالنهار. ومنه قوله(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) أي: خرج منها وتركها، فكذلك انسلاخ الليل من النهار. وقوله(فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ) يقول: فإذا هم قد صاروا في ظلمة بمجيء الليل.

وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠) يس

الرازى

إشارة إلى أن كل شيء من الأشياء المذكورة خلق على وفق الحكمة ، فالشمس لم تكن تصلح لها سرعة الحركة بحيث تدرك القمر وإلا لكان في شهر واحد صيف وشتاء فلا تدرك الثمار وقوله : {وَلاَ اليل سَابِقُ النهار } قيل في تفسيره إن سلطان الليل وهو القمر ليس يسبق الشمس وهي سلطان النهار ،

وقيل معناه ولا الليل سابق النهار أي الليل لا يدخل وقت النهار

معنى قوله تعالى : {وَلاَ اليل سَابِقُ النهار } أن القمر إذا كان على أفق المشرق أيام الاستقبال تكون الشمس في مقابلته على أفق المغرب ، ثم إن عند غروب الشمس يطلع القمر وعند طلوعها يغرب القمر ، كأن لها حركة واحدة مع أن الشمس تتأخر عن القمر في ليلة مقداراً ظاهراً في الحس

فتبين أن سلطان الليل لا يسبق سلطان النهار فالمراد من الليل القمر ومن النهار الشمس

فقوله : {لاَ الشمس يَنبَغِى لَهَا أَن تدْرِكَ القمر } إشارة إلى حركتها البطيئة التي تتم الدورة في سنة وقوله : {وَلاَ اليل سَابِقُ النهار } إشارة إلى حركتها اليومية التي بها تعود من المشرق إلى المشرق مرة أخرى في يوم وليلة

١- ما الحكمة في إطلاق الليل وإرادة سلطانه وهو القمر ، وماذا يكون لو قال ولا القمر سابق الشمس؟ نقول لو قال ولا القمر سابق الشمس ما كان يفهم أن الإشارة إلى الحركة اليومية

٢- ما الفائدة في قوله تعالى : {لاَ الشمس يَنبَغِى لَهَا أَن تدْرِكَ } بصيغة الفعل وقوله : {وَلاَ اليل سَابِقُ النهار } بصيغة اسم الفاعل ، ولم يقل ولا الليل يسبق ولا قال مدركة القمر؟ نقول الحركة الأولية التي للشمس ، ولا يدرك بها القمر مختصة بالشمس ، فجعلها كالصادرة منها ، وذكر بصيغة الفعل لأن صيغة الفعل لا تطلق على من لا يصدر منه الفعل

فإن قيل قوله تعالى :

يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً } [الأعراف : ٥٤] يدل على خلاف ما ذكرتم ، لأن النهار إذا كان يطلب الليل فالليل سابقه ، وقلتم إن قوله : { وَلاَ اليل سَابِ قُ النهار }معناه ما ذكرتم فيكون الليل سابقاً ولا يكون سابقاً ،

نقول قد ذكرنا أن المراد بالليل ههنا سلطان الليل وهو القمر ، وهو لا يسبق الشمس بالحركة اليومية السريعة ،
والمراد من الليل هناك نفس الليل وكل واحد لما كان في عقيب الآخر فكأنه طالبه ، فإن قيل فلم ذكر ههنا {سَابِقُ النهار } وقد ذكر هناك يطلبه ، ولم يقل طالبه؟ نقول ذلك لما بينا من أن المراد في هذه السورة من الليل كواكب الليل ، وهي في هذه الحركة كأنها لا حركة لها ولا تسبق ، ولا من شأنها أنها سابقة ، والمراد هناك نفس الليل والنهار وهما زمانان والزمان لا قرار له فهو يطلب حثيثاً لصدور التقصي منه ،
وقوله تعالى : { وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } يحقق ما ذكرنا أي للكل طلوع وغروب في يوم وليلة لا يسبق بعضها بعضاً ، بالنسبة إلى هذه الحركة وكل حركة في فلك تخصه وفيه مسائل :
أ- التنوين في قوله (وكل) تثبت الأمر على العموم وتتركه عليه .
ب- إذا كان كل بمعنى كل واحد منهم والمذكور الشمس والقمر فكيف قال : { يَسْبَحُونَ } ؟ نقول الجواب عنه من وجوه
١- ما بينا أن قوله كل للعموم فكأنه أخبر عن كل كوكب في السماء سيار
٢-أن لفظ كل يجوز أن يوحد نظراً إلى كونه لفظاً موحداً غير مثنى ولا مجموع ، ويجوز أن يجمع لكون معناه جمعاً ، وأما التثنية فلا يدل عليها للفظ ولا
٣- لما قال : {ولاَ اليل سَابِقُ النهار } والمراد ما في الليل من الكواكب قال : { يَسْبَحُونَ } .
- الفلك ماذا؟ نقول الجسم المستدير أو السطح المستدير أو الدائرة فإن قيل فعلى هذا تكون السماء مستديرة يبان كونه فلكاً مستديراً .
وكذلك لكل كوكب فلك لاختلاف سيرها بالسرعة والبطء والممر ، فإن بعضها يمر في دائرة وبعضها في دائرة أخرى حتى في بعض الأوقات يمر بعضها ببعض ولا يكسفه وفي بعض الأوقات يكسفه فلكل كوكب فلك

يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ

لْحَقِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِ الْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى ا للَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٥)الزمر

اعتقد الناس لقرون طويلة أن الأرض مسطحة ولم يكن لديهم فكرة عن كروية الأرض، ولكن القرآن العظيم أشار في آي رائعة إلى هذه الحقيقة

الكونية. وذلك من خلال وصف ظاهرة الليل والنهار حيث استخدم كلمة (يكوّر) أي يلفّ من كل جانب.
لولا هذه الظاهرة "ظاهرة دوران الليل والنهار" حول الأرض باستمرار، بسبب حركة الأرض المستمرة، ولولا وجود الشمس لتؤمن الإضاءة اللازمة للنهار، ولولا كروية الأرض لم تكن هذه العمليات لتحدث، ويمكن أن نستنتج بناء على الصور التالية عدة حقائق، والعجيب يا أحبتي أن القرآن صوَّر لنا كل هذه الحقائق وكأننا نراها!
الليل يحيط بالنهار بشكل دائري
إن منطقة التداخل ليست مستقيمة أو متعرجة، بل على شكل دائرة تحيط بالكرة الأرضية. وهذا ما عبر عنه القرآن بقوله تعالى: (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ) [الزمر: ٥]. فكلمة (يُكَوِّرُ) تعني أنه يدخل الليل في النهار بشكل دائري يشبه الكرة. وهذه الآية دليل على كروية الأرض أيضاً.
<u>الطبري</u>
(خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْل) يقول: يغشي هذا على هذا، وهذا على هذا، كما قال(يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْل)
وقيل يحمل الليل على النهار.
قيل: يدهوره.
وقيل: يجيء بالنهار ويذهب بالليل، ويجيء بالليل، ويذهب بالنهار.
حين يذهب بالليل ويكور النهار عليه، ويذهب بالنهار ويكور الليل عليه.

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (١٢)الاسراء

يمتن تعالى على خلقه بآياته العظام، فمنها مخالفته بين الليل والنهار ليسكنوا في الليل وينتشروا في النهار للمعايش والصنائع والأعمال والأسفار، وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام، ويعرفوا مضي الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والإجازات وغير ذلك، ولهذا قال: { لتبتغوا فضلا من ربكم} : أي في معايشكم وأسفاركم ونحو ذلك، { ولتعلموا عدد السنين والحساب}، فإنه لو كان الزمان كله نسقاً واحداً وأسلوباً متساوياً لما عرف شيء من ذلك،
ثم إنه تعالى جعل لليل آية، أي علامة يعرف بها، وهي الظلام وظهور القمر فيه، وللنهار علامة، وهي النور وطلوع الشمس النيرة فيه، وفاوت بين نور القمر وضياء الشمس ليعرف هذا من هذا، كما قال تعالى: { هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق}
قوله: { فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة} قال(ظلمة الليل وسدف النهار، وعن مجاهد: الشمس آية النهار، والقمر آية الليل. وقال ابن عباس: كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، والقمر آية الليل، والشمس آية النهار، فمحونا آية الليل السواد الذي في القمر. وقال قتادة: كنا نحدث أن محو آية الليل سواد القمر الذي فيه، وجعلنا آية النهار مبصرة أي منيرة، وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم،
الجلالين

{ وجعلنا الليل والنهار آيتين } دالتين على قدرتنا { فمحونا آية الليل } طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه والإضافة للبيان { وجعلنا آية النهار مبصرة } أي مبصرا فيها بالضوء .
القرطبي

قوله تعالى { وجعلنا الليل والنهار آيتين} أي علامتين على وحدانيتنا ووجودنا وكمال علمنا وقدرتنا. والآية فيهما : إقبال كل واحد منهما من حيث لا يعلم، وإدباره إلى حيث لا يعلم. ونقصان أحدهما بزيادة الآخر

وبالعكس آية أيضا. وكذلك ضوء النهار وظلمة الليل. وقد مضى هذا. { فمحونا آية الليل}ولم يقل : فمحونا الليل، فلما أضاف الآية إلى الليل والنهار دل على أن الآيتين المذكورتين لهما لا هما. و { محونا} معناه طمسنا.
فلو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولا كان الأجير يدري إلى متى يعمل ولا الصائم إلى متى يصوم ولا المرأة كيف تعتد، ولا تدرى أوقات الصلوات والحج ولا تحل الديون ولا حين يبذرون ويزرعون ولا متى يسكنون للراحة لأبدانهم وكأن الله نظر إلى عباده وهو أرحم بهم من

الشعراوى سورة الاسراء الايات ٩ - ١٢

الحق سبحانه وتعالى جعل الزمن لاً ونهاراً ظرفاً للأحداث، وجعل لكل منهما مهمة لا تتأتى مع الآخر، فهما متقابلان لا متضادان، فليس الليل ضد النهار أو النهار ضد الليل؛ لأن لكل منهما مهمة، والتقابل يجعلهما متكاملين.
ولذلك أراد الله تعالى أن يُنظّر بالليل والنهار في جنس الإنسان من الذكورة ِالأنوثة، فهما أيضاً متكاملان لا متضادان، حتى لا تقوم عداوة بين ذكورة وأنوثة، كما نرى البعض من الجنسين يتعصَّب لجنسه تعصُّباً أعمى خالياً من فَهْم طبيعة العلاقة بين الذكر والأنثى.

فالليل والنهار كجنس واحد لهما مهمة، أما من حيث النوع فلكل منهما مهمة خاصة به، وإياك أن تخلط بين هذه وهذه.
وتأمل قول الحق سبحانه:
{ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ *وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ *وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلأُنثَىٰ *إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ } [الليل: ١-٤]
فلا تجعل الليل ضِداً للنهار، ولا النهار ضداً لليل، وكذلك لا تجعل الذكورة ضِداً للأنوثة، ولا الأنوثة ضداً للذكورة.
قوله تعالى: { وَجَعَلْنَا ٱلَّيلَ وَٱلنَّهَارَ آيَتَيْنِ.. } [الإسراء: ١٢]
جعلنا: بمعنى خلقنا، والليل والنهار هما المعروفان لنا بالمعايشة والمشاهدة، ومعرفتنا هذه أوضح من أنْ نعرِّفهما، فنقول مثلاً: الليل هو مَغِيب الشمس عن نصف الكرة الأرضية، والنهار هو شروق الشمس على نصف الكرة الأرضية.
إذن: قد يكون الشي أوضح من تعريفه.
والحق سبحانه خلق لنا الليل والنهار، وجعل لكل منهما حكمة ومهمة،

وحينما يتحدّث عنهما، يقول تعالى:
{ وَٱلضُّحَىٰ *وَٱللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ } [الضحى: ١-٢]
ويقول:
{ وَٱللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ *وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ } [الليل: ١-٢] فبدأ بالليل.
ومرة يتحدث عن اللازم لهما، فيقول:
{ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ } [الأنعام: ١]
لأن الحكمة من الليل تكمن في ظُلمته، والحكمة من النهار تكمُن في نوره، فالظُّلمة سكنٌ واستقرار وراحة. وفي الليل تهدأ الأعصاب من الأشعة والضوء، ويأخذ البدن راحته؛ لذلك قال صلى الله عليه وسلم: " أطفئوا المصابيح إذا رقدتم ".
في حين نرى الكثيرين يظنون أن الأضواء المبهرة ـ التي نراها الآن ـ مظهر حضاري، وهم غافلون عن الحكمة من الليل، وهي ظلمته.
والنور للحركة والعمل والسَّعْي، فمَن ارتاح في الليل يُصبح نشيطاً للعمل، ولا يعمل الإنسان إلا إذا أخذ طاقة جديدة، وارتاحت أعضاؤه، ساعتها تستطيع أن تطلب منه أن يعمل.
لذلك قال الحق سبحانه:
{ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيلَ وَٱلنَّهَارَ.. } [القصص: ٧٣]
لماذا؟
{ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ.. } [القصص: ٧٣] أي: في الليل.
{ وَلِتَبتَغُواْ مِن فَضْلِهِ.. } [القصص: ٧٣] أي: في النهار.
إذن: لليل مهمة، وللنهار مهمة، وإياك أنْ تخلط هذه بهذه، وإذا ما وُجد عمل لا يُؤدِّي إلا بالليل كالحراسة مثلاً، نجد الحق سبحانه يفتح لنا باباً لنخرج من هذه القاعدة العامة.
فيقول تعالى:
{ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكم بِٱللَّيلِ وَٱلنَّهَارِ.. } [الروم: ٢٣]
فجعل النهار أيضاً محلاً للنوم، فأعطانا فُسْحة ورُخْصة، ولكن في أضيق نطاق، فَمَنْ لا يقومون بأعمالهم إلا في الليل، وهي نسبة ضئيلة لا تخرق القاعدة العامة التي ارتضاها الحق سبحانه لتنظيم حركة حياتنا.فإذا خرج الإنسان عن هذه القاعدة، وتمرَّد على هذا النظام الإلهي، فإن الحق سبحانه يَردعه بما يكبح جماحه، ويحميه من إسرافه على نفسه، وهذا من لُطْفه تعالى ورحمته بخَلْقه.
هذا الردْع إما رَدْع ذاتيّ اختياري، وإما رَدْع قَهْريّ الردع الذاتي يحدث للإنسان حينما يسعى في حركة الحياة ويعمل، فيحتاج إلى طاقة، هذه

الطاقة تحتاج إلى دم متدفق يجري في أعضائه، فإنْ زادتْ الحركة عن طاقة الإنسان يلهث وتتلاحق أنفاسه، وتبدو عليه أمارات التعب والإرهاق، لأن الدم المتوارد إلى رئته لا يكفي هذه الحركة.
وهذا نلاحظه مثلاً في صعود السُّلَّم، حيث حركة الصعود مناقضة لجاذبية الأرض لك، فتحتاج إلى قوة أكثر، وإلى دم أكثر وتنفس فوق التنفس العادي.
فكأن الحق سبحانه وتعالى جعل التعب والميل إلى الراحة رادعاً ذاتياً في الإنسان، إذا ما تجاوز حَدّ الطاقة التي جعلها الله فيه.
أما الردْع القهري فهو النوم، يلقيه الله على الإنسان إذا ما كابر وغالط نفسه، وظن أنه قادر على مزيد من العمل دون راحة، فهنا يأتي دور الرادع القَسْري، فينام رغماً عنه ولا يستطيع المقاومة، وكأن الطبيعة التي خلقها الله فيه تقول له: ارحم نفسك، فإنك لم تَعُدْ صالحاً للعمل.
فالحق تبارك وتعالى لا يُسلِم الإنسان لاختياره، بل يُلقي عليه النوم وفقدان الوعي والحركة ليحميه من حماقته وإسرافه على نفسه.
لذلك نرى الواحد مِنّا إذا ما تعرّض لمناسبة اضطرته لعدم النوم لمدة يومين مثلاً ، لا بُدَّ له بعد أن ينتهي من مهمته هذه أنْ يَنام مثل هذه المدة التي سهرها؛ ليأخذ الجسم حَقَّه من الراحة التي حُرِم منها.
وقوله تعالى: { آيَتَيْنِ.. } [الإسراء: ١٢]
قلنا: إن الآية هي الشيء العجيب الذي يدعو إلى التأمل، ويُظهِر قدرة الخالق وعظمته سبحانه، والآية تُطلَق على ثلاثة أشياء:
ـ تُطلَق على الآيات الكونية التي خلقها الله في كونه وأبدعها، وهذه الآيات الكونية يلتقي بها المؤمن والكافر، ومنها كما قال تعالى:
{ وَمِنْ آيَاتِهِ ٱللَّيلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ } [فصلت:٣٧]
{ وَمِنْ آيَاتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلأَعْلاَمِ } [الشورى: ٣٢]
وهذه الآيات تلفتنا إلى قدرة الخالق سبحانه وتعالى.
فقول الحق سبحانه: { وَجَعَلْنَا ٱللَّيلَ وَٱلنَّهَارَ آيَتَيْنِ.. } [الإسراء: ١٢]
أي: كونيتين، ولا مانع أنْ تفسر الآياتُ الكونية آيات القرآن.
وقوله: { فَمَحَوْنَآ آيَةَ ٱللَّيل.. } [الإسراء: ١٢]
أي: بعد أنْ كان الضوء غابت الشمس فَحَلَّ الظلام، أو مَحوْناهَا: أي جعلناها هكذا، كما قلنا: سبحان مَنْ بيَّض اللبن.
أي خلقه هكذا، فيكون المراد: خلق الليل هكذا مظلماً.
{ وَجَعَلْنَآ آيَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً.. } [الإسراء: ١٢]
أي: خلقنا النهار مضيئاً، ومعنى مبصرة أو مضيئة أي: نرى بها الأشياء؛

لأن الأشياء لا تُرى في الظلام، فإذا حَلَّ الضياء والنور رأيناها، وعلى هذا كان ينبغي أن يقول: وجعلنا آية النهار مُبْصَراً فيها، وليست هي مبصرة.
وهذه كما في قوله تعالى في قصة موسى وفرعون:
{ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً.. } [النمل: ١٣]
فنسب البصر إلى الآيات، كما نسب البصر هنا إلى النهار.
وهذه مسألة حيَّرتْ الباحثين في فلسفة الكون وظواهره، فكانوا يظنون أنك ترى الأشياء إذا انتقل الشعاع من عينك إلى المرئي فتراه. إلى أن جاء العالم الإسلامي " ابن الهيثم " الذي نَوَّر الله بصيرته، وهداه إلى سِرِّ رؤية الأشياء، فأوضح لهم ما وقعوا فيه من الخطأ، فلو أن الشعاع ينتقل من العين إلى المرئي لأمكنك أن ترى الأشياء في الظُّلمة إذا كنتَ في الضوء.
إذن: الشعاع لا يأتي من العين، بل من الشيء المرئي، ولذلك نرى الأشياء إنْ كانت في الضوء، ولا نراها إن كانت في الظلام.
وعليه يكون الشيء المرئيّ هو الذي يبصرك من حيث هو الذي يتضح لك، ويساعدك على رؤيته، ولذلك نقول: هذا شيء يُلفت النظر أي: يرسل إليك مَا يجعلك تلتفت إليه.
إذن: التعبير القرآني: { وَجَعَلْنَآ آيَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً.. } [الإسراء: ١٢]
على مستوى عال من الدقة والإعجاز، وصدق الله تعالى حين قال:
{ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي ٱلآفَاقِ وَفِيۤ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ } [فصلت: ٥٣]
وقوله تعالى: { لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ.. } [الإسراء: ١٢]
وهذه هي العلة الأولى لآية الليل والنهار.
أي: أن السعي وطلب الرزق لا يكون إلا في النهار؛ لذلك أتى طلب فضل الله ورزقه بعد آية النهار، ومعلوم أن الإنسان لا تكون له حركة نشاطية وإقبال على السَّعي والعمل إلا إذا كان مرتاحاً ولا تتوفر له الراحة إلا بنوم الليل.
وبهذا نجد في الآية الكريمة نفس الترتيب الوارد في قوله تعالى:
{ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ.. } [القصص: ٧٣]
فالترتيب في الآية يقتضي أن نقول:
{ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ.. } أي: في الليل،
{ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ.. }
[القصص: ٧٣] أي: في النهار، وعمل النهار لا يتم إلا براحة الليل، فهما ـ إذن ـ متكاملان.

ِالحق سبحانه وتعالى جعل النهار مَحلاً للحركة وابتغاء فضل الله؛ لأن الحركة أمرٌ ماديّ وتفاعل ماديّ بين الإنسان ومادة الكون من حوله، كالفلاح وتفاعله مع أرضه، والعامل تفاعله مع آلته.
هذا التفاعل المادي لا يتم إلا في ضوء؛ لأن الظلمة تغطي الأشياء وتُعميها، وهذا يتناسب مع الليل حيث ينام الناس، أما في السعي والحركة فلا بُدَّ من ضوء أتبين به الفاعل والمنفعل له، ففي الظلمة قد تصطدم بما هو أقوى منك فيحطمك، أو بما هو أضعف منك فتحطمه.
إذن: فأول خطوات ابتغاء فضل الله أن يتبيّن الإنسان المادة التي يتفاعل معها. لذلك، فالحق سبحانه جعل الظلمة سابقة للضياء. فقال تعالى:
{ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ } [الأنعام: ١]
لأن النور محلٌّ للحركة، ولا يمكن للإنسان أن يعمل إلا بعد راحة، والراحة لا تكون إلا في ظُلمة الليل.
وقوله تعالى: { وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ.. } [الإسراء: ١٢]
وهذه هي العِلَّة الأخرى لليل والنهار، حيث بمرورهما يتمّ حساب السنين.
وكلمة { عَدَدَ }تقتضي شيئاً له وحدات، ونريد أن نعرف كمية هذه الوحدات؛ لأن الشيء إنْ لم تكُنْ له كميات متكررة فهو واحد.
وقوله: { ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ.. } [الإسراء: ١٢]
لأنها من لوازم حركتنا في الحياة، فعن طريق حساب الأيام نستطيع تحديد وقت الزراعات المختلفة، أو وقت سقوط المطر، أو هبوب الرياح. وفي العبادات نحدد بها أيام الحج، وشهر الصوم، ووقت الصلاة، ويوم الجمعة، هذه وغيرها من لوازم حياتنا لا نعرفها إلا بمرور الليل والنهار.
ولو تأملتَ عظمة الخالق سبحانه لوجدتَ القمر في الليل، والشمس في النهار، ولكل منهما مهمة في حساب الأيام والشهور والسنين، فالشمس لا تعرف بها إلا اليوم الذي أنت فيه، حيث يبدأ اليوم بشروقها وينتهي بغروبها، أما بالقمر فتستطيع حساب الأيام والشهور؛ لأن الخالق سبحانه جعل فيه علامة ذاتية يتم الحساب على أساسها، فهو في أول الشهر هلال، ثم يكبر فيصير إلى تربيع أول، ثم إلى تربيع ثان، ثم إلى بدر، ثم يأخذ في التناقص إلى أن يصل إلى المحاق آخر الشهر.
إذن: نستطيع أن نحدد اليوم بالشمس والشهور بالقمر، ومن هنا تثبت مواقيت العبادة بالليل دون النهار، فتثبت رؤية رمضان ليلاً أولاً، ثم يثبت نهاراً، فنقول: الليلة أول رمضان، لذلك قال تعالى:
{ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ } [يونس: ٥]

فقوله:{ وَقَدَّرَهُ.. } [يونس: ٥] أي: القمر؛ لأن به تتبين أوائل الشهور، وهو أدقّ نظام حسابي يُعتمد عليه حتى الآن عند علماء الفلك وعلماء البحار وغيرهم

{ مَنَازِلَ.. } [يونس: ٥] هي البروج الاثنى عشر للقمر التي أقسم الله بها في قوله تعالى:

{ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ * وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ } البروج: ١-٣

ولأن حياة الخَلْق لا تقوم إلا بحساب الزمن، فقد جعل الخالق سبحانه في كَوْنه ضوابط تضبط لنا الزمن، وهذه الضوابط لا تصلح لضبط الوقت إلا إذا كانت هي في نفسها منضبطة، فمثلاً أنت لا تستطيع أن تضبط مواعيدك على ساعتك إذا كانت غير منضبطة (تُقدّم أو تُأخّر).

لذلك يقول الخالق المبدع سبحانه عن ضوابط الوقت في كَوْنه:

{ الشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ } [الرحمن: ٥]

أي: بحساب دقيق لا يختلّ، وطالما أن الخالق سبحانه خلقها بحساب فاجعلوها ضوابط لحساباتكم.

وقوله تعالى: { وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً.. } [الإسراء: ١٢]

معنى التفصيل أن تجعل بَيْناً بين شيئين، وتقول: فصلْتُ شيئاً عن شيء، فالحق سبحانه فصَّل لنا كل ما يحتاج إلى تفصيل، حتى لا يلتبس علينا الأمر في كل نواحي الحياة.

<u>وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧)فصلت</u>

<u>وكما اقسم الله تعالى بالليل (٦ آيات)</u>

وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣)المدثر

وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧)التكوير

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤)الفجر

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤)الشمس

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١)الليل

وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢)الضحى

<u>وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣)المدثر</u>

<u>الرازى</u>

دبر أي جاء بعد النهار ، يقال : دبرني أي جاء خلفي ودبر الليل أي جاء بعد النهار ، قال قطرب : فعلى هذا معنى إذا دبر إذا أقبل بعد مضي النهار
الطبرى
(وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ) يقول:والليل إذ ولَّى ذاهبا.
عن ابن عباس(وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ) دبوره: إظلامه.
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة(إِذْ أَدْبَرَ)، وبعض قرّاء مكة والكوفة(إذا دَبَرَ).
(واللَّيْل إذَا دَبَرَ) يعني: إذا دبر النهار وكان في آخره ؛ قال: ويقال: دبرني: إذا جاء خلفي، وأدبر:إذا ولَّى.

وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧)التكوير

يقال : عسعس الليل إذا أقبل ، وعسعس إذا أدبر ،

فقوله : {واليل إِذَا عَسْعَسَ } [التكوير : ١٧] إشارة إلى أول طلوع الصبح ،

وقوله : { والصبح إِذَا تَنَفَّسَ } إشارة إلى تكامل طلوع الصبح فلا يكون فيه تكرار .
وأما قوله تعالى : { والصبح إِذَا تَنَفَّسَ } أي إذا أسفر كقوله : {والصبح إِذَا أَسْفَرَ } [المدثر : ٣٤] ثم في كيفية المجاز قولان :
أحدهما : أنه إذا أقبل الصبح أقبل بأقباله روح ونسيم ، فجعل ذلك نفساً له على المجاز ، وقيل تنفس الصبح .
والثاني : أنه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي جلس بحيث لا يتحرك ، واجتمع الحزن في قلبه ، فإذا تنفس وجد راحة . فههنا لما طلع الصبح فكأنه تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس وهو استعارة لطيفة . واعلم أنه تعالى لما ذكر المقسم به أتبعه بذكر المقسم عليه فقال :
الطبرى

وقال آخرون: عُني بقوله:(إِذَا عَسْعَسَ) إذا أقبل بظلامه.
* ذكر من قال ذلك:
(وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) قال: إذا غَشِيَ الناسَ .

والعرب تقول: عسعس الليل، وسَعْسَع الليل: إذا أدبر، ولم يبق منه إلا اليسير؛

وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧)الانشقاق

الرازى

ما قوله : { والليل وَمَا وَسَقَ } فقال أهل اللغة : وسق أي جمع ومنه الوسق وهو الطعام المجتمع الذي يكال ويوزن ثم صار اسماً للحمل واستوسقت الإبل إذا اجتمعت وانضمت والراعي يسقها أي يجمعها قال صاحب «الكشاف» : يقال وسقه فاتسق واستوسق ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع . وأما المعنى فقال القفال : مجموع أقاويل المفسرين يدل على أنهم فسروا قوله تعالى : { وَمَا وَسَقَ } على جميع ما يجمعه الليل من النجوم ورجوع الحيوان عن الانتشار وتحرك ما يتحرك فيه الهوام ، ثم هذا يحتمل أن يكون إشارة إلى الأشياء كلها لاشتمال الليل عليها فكأنه تعالى أقسم بجميع المخلوقات كما قال {فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ } [الحاقة : ٣٨] وقال سعيد بن جبير ما عمل فيه ، قال القفال : يحتمل أن يكون ذلك هو تهجد العباد فقد مدح الله تعالى بها المستغفرين بالأسحار فيجوز أن يحلف بهم وإنما قلنا : إن الليل جمع هذه الأشياء كلها لأن ظلمته كأنها تجلل الجبال والبحار والشجر والحيوانات ، فلا جرم صح أن يقال : وسق جميع هذه الأشياء

البقاعي

الإقسام { بالشفق * } أي الضياء الذي يكون في المغرب عقب غروب الشمس أطباقاً حمرة ثم صفرة ثم كدرة إلى بياض ثم سواد ، وكذلك الليل أوله بياض بغبرة ثم تتزايد غبرته قليلاً إلى أن يسود مربداً فيوسق كل شيء ظلاماً ، سمي شفقاً لرقته ومنه الشفقة لرقة القلب { والليل } أي الذي يغلبه فيذهبه { وما وسق * } أي جمع في بطنه وطرد وساق من ذلك الشفق ومن النهار الذي كان قبله والنجوم التي أظهرها وغير ذلك من الغرائب التي تدل على أن موجده بعد أن لم يكن ومذهب ما كان به قادر على الإبداء والإعادة وكل ما يريد { والقمر } أي الذي هو آيته { إذا اتسق * } أي انتظم واستوى واجتمع كماله وتم أمره ليلة إبداره بعد أن كان قد غاب أصلاً ثم بدأ هلالاً خفياً ضئيلاً دقيقاً ولم يزل يزداد حتى يتم ثم ينقص إلى أن يخفى ثم يعود إلى حاله دليلاً أظهر من الشمس على قدرة موجده كذلك على كل أمر من الإبداء والإعادة .

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤)الفجر

البقاعي

ولما كان تعاقب الليل والنهار أدل على القدرة وأظهر في النعمة ، قال راداً لآخر القسم على أوله ، ومذكراً بالنعمة وكمال القدرة ، لأن الليل أخفاهما

سُرى وسراً ، فهو أعظمهما في ذلك أمراً ، لأن سير النهار ظاهر لسرايته بخلاف الليل فإنه محوى صرفه فكان أدل على القدرة { والليل } أي من ليلة النفر { إذا يسر * } أي ينقضي كما ينقضي ليل الدنيا وظلام ظلمها فيخلفه الفجر ويسرى فيه الذين آبوا إلى الله راجعين إلى ديارهم بعد حط أوزارهم ، وقد رجع آخر القسم على أوله - وأثبت الياء في يسري ابن كثير ويعقوب وحذفها الباقون ، وعلة حذفها قد سأل عنها المؤرج الأخفش فقال : اخدمني سنة ، فسأله بعد سنة فقال : الليل يسرى فيه ولا يسري ، فعدل به عن معناه فوجب أن يعدل عن لفظه كقوله تعالى : { وما كانت أمك بغيّاً } [مريم : ٢٨] لما عدل عن (باغية)

الرلزى

{ إِذَا يَسْر } إذا يمضي كما قال : {واليل إِذَا أَدْبَرَ } [المدثر : ٣٣] وقوله : {واليل إِذَا عَسْعَسَ } [التكوير : ١٧] وسراها ومضيها وانقضاؤها أو يقال : سراها هو السير فيها ، وقال قتادة : { إِذَا يَسْر } أي إذا جاء وأقبل .
المسألة الثانية : أكثر المفسرين على أنه ليس المراد منه ليلة مخصوصة بل العموم بدليل قوله : {واليل إِذَا أَدْبَرَ } {واليل إِذَا عَسْعَسَ } ولأن نعمة الله بتعاقب الليل والنهار واختلاف مقاديرهما على الخلق عظيمة ، فصح أن يقسم به لأن فيه تنبيهاً على أن تعاقبهما بتدبير مدبر حكيم عالم بجميع المعلومات ، وقال مقاتل : هي ليلة المزدلفة فقوله : { إِذَا يَسْر } أي إذا يسار فيه كما يقال : ليل نائم لوقوع النوم فيه ، وليل ساهر لوقوع السهر فيه ، وهي ليلة يقع السري في أولها عند الدفع من عرفات إلى المزدلفة ، وفي آخرها كما روي أنه عليه الصلاة والسلام كان يقدم ضعفة أهله في هذه الليل ، وإنما يجوز ذلك عند الشافعي رحمه الله بعد نصف الليل .
المسألة الثالثة : قال الزجاج : قرىء { إِذَا يَسْر } بإثبات الياء ، ثم قال : وحذفها أحب إلي لأنها فاصلة والفواصل تحذف منها الياءات ، ويدل عليها الكسرات ، قال الفراء : والعرب قد تحذف الياء وتكتفي بكسرة ما قبلها ،

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤)الشمس

الطبرى

وقوله:(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا) يقول تعالى ذكره: والليل إذا يغشي الشمس، حتى تغيب فَتُظْلِمُ الآفَاقُ.
وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا) : إذا غَشَّاها الليل.
الرازى

يعني يغشى الليل الشمس فيزيل ضوءها ، وهذه الآية تقوي القول الأول في الآية التي قبلها من وجهين الأول : إنه لما جعل الليل يغشى الشمس ويزيل ضوءها حسن أن يقال : النهار يجليها ، على ضد ما ذكر في الليل والثاني : أن الضمير في يغشاها للشمس بلا خلاف ، فكذا في جلاها يجب أن يكون للشمس حتى يكون الضمير في الفواصل من أول السورة إلى ههنا للشمس ، قال القفال : وهذه الأقسام الأربعة ليست إلا بالشمس في الحقيقة لكن بحسب أوصاف أربعة أولها : الضوء الحاصل منها عند ارتفاع النهار . وذلك هو الوقت الذي يكمل فيه انتشار الحيوان واضطراب الناس للمعاش ، ومنها تلو القمر لها وأخذه الضوء عنها ، ومنها تكامل طلوعها وبروزها بمجيء النهار ، ومنها وجود خلاف ذلك بمجيء الليل ، ومن تأمل قليلاً في عظمة الشمس ثم شاهد بعين عقله فيها أثر المصنوعية والمخلوقية من المقدار المتناهي ، والتركب من الأجزاء انتقل منه إلى عظمة خالقها ، فسبحانه ما أعظم شأنه .

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١)الليل

الرازى

أما قوله : {والليل إِذَا يغشى } فاعلم أنه تعالى لم يذكر مفعول يغشى ، فهو إما الشمس من قوله : {والليل إِذَا يغشاها } [الشمس : ٤] وإما النهار من قوله : { يغشى الليل والنهار } [الرعد : ٣] وإما كل شيء يواريه بظلامه من قوله : {إِذَا وَقَبَ } [الفلق : ٣] وقوله : {والنهار إِذَا تجلى } أي ظهر بزوال ظلمة الليل ، أو ظهر وانكشف بطلوع الشمس .

وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢)الضحى

الرازى

وأما قوله : {والليل إِذَا سجى } فذكر أهل اللغة في { سجى } ثلاثة أوجه متقاربة : سكن وأظلم وغطى أما الأول : فقال أبو عبيد والمبرد والزجاج : سجى أي سكن يقال : ليلة ساجية أي ساكنة الريح ، وعين ساجية أي فائزة الطرف . وسجى البحر إذا سكنت أمواجه ، وقال في الدعاء :

يا مالك البحر إذا البحر سجى

وأما الثاني : وهو تفسير سجى بأظلم . فقال الفراء : سجى أي أظلم وركد في طوله .

وأما الثالث : وهو تفسير سجى بغطى ، فقال الأصمعي وابن الأعرابي سجى الليل تغطيته النهار ، مثل ما يسجى الرجل بالثوب ، واعلم أن أقوال المفسرين غير خارجة عن هذه الوجوه الثلاثة فقال ابن عباس : غطى الدنيا بالظلمة ، وقال الحسن : ألبس الناس ظلامه ، وقال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير : إذا أقبل الليل غطى كل شيء ، وقال مجاهد وقتادة والسدي وابن زيد : سكن بالناس ولسكونه معنيان أحدهما : سكون الناس فنسب إليه كما يقال ليل نائم ونهار صائم والثاني : هو أن سكونه عبارة عن استقرار ظلامه واستوائه فلا يزداد بعد ذلك ، وههنا سؤالات :
السؤال الأول : ما الحكمة في أنه تعالى في السورة الماضية قدم ذكر الليل ، وفي هذه السورة أخره؟ قلنا : فيه وجوه أحدها : أن بالليل والنهار ينتظم مصالح المكلفين ، والليل له فضيلة السبق لقوله : { وَجَعَلَ الظلمات والنور } [الأنعام : ١] وللنهار فضيلة النور ، بل الليل كالدنيا والنهار كالآخرة ، فلما كان لكل واحد فضيلة ليست للآخر ، لا جرم قدم هذا على ذاك تارة وذاك ، على هذا أخرى ، ونظيره أنه تعالى قدم السجود على الركوع في قوله : { واسجدى واركعى } [آل عمران : ٤٣] ثم قدم الركوع على السجود في قوله : { اركعوا واسجدوا } [الحج : ٧٧] وثانيها : أنه تعالى قدم الليل على النهار في سورة أبي بكر لأن أبا بكر سبقه كفر ، وههنا قدم الضحى لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ما سبقه ذنب وثالثها : سورة والليل سورة أبي بكر ، وسورة الضحى سورة محمد عليه الصلاة والسلام ثم ما جعل بينهما واسطة ليعلم أنه لا واسطة بين محمد وأبي بكر ، فإذا ذكرت الليل أولاً وهو أبو بكر ، ثم صعدت وجدت بعده النهار وهو محمد ، وإن ذكرت والضحى أولاً وهو محمد ، ثم نزلت وجدت بعده ، والليل وهو أبو بكر ، ليعلم أنه لا واسطة بينهما .
ما الحكمة ههنا في الحلف بالضحى والليل فقط؟ والجواب : لوجوه أحدها : كأنه تعالى يقول : الزمان ساعة ، فساعة ساعة ليل ، وساعة نهار ، ثم يزداد فمرة تزداد ساعات الليل وتنقص ساعات النهار ، ومرة بالعكس فلا تكون الزيادة لهوى ولا النقصان لقلى

<u>الطبرى</u>

والليل إذا أقبل بظلامه.
إذا لَبِسَ الناس، إذَا جاء.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: إذا ذهب.
وقال آخرون: معناه: إذا استوى وسكن.
يعني: استقراره وسكونه.

والليل إذا سكن بأهله، وثبت بظلامه،

أما لفظة (ليلا") فقد وردت في القران الكريم (٥)

حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤)يونس

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)الاسراء

فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٢٣)الدخان

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥)نوح

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦)الانسان

ولفظة (ليلة) وردت في القرآن (٨)

وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٥١)البقرة

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ (١٨٧)البقرة

وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً (١٤٢)الاعراف

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣)الدخان

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢)لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)القدر

ولفظة (ليلها) وردت مرة

وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩)النازعات

ولفظة (ليال) وردت ثلاث

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠)مريم

سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧)الحاقة

وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢)الفجر

لفظة (ليالي) وردت مرة واحدة

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨)سبأ

<u>آيات النهار</u>

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢)آل عمران

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (٤٥)يونس

وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ (٣٣)سبا

فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (٣٥)الاحقاف

حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤)يونس

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (٥٠)يونس

فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦)الانعام

قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١)هود

فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧)الروم

وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨)التكوير

وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤)المدثر

فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣)العاديات

وَالضُّحَى (١)

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١)الشمس

وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢)الليل

<u>فوائد الليل</u>

إن الحديث عن الليل و ما يتعلق به من فوائد دنيوية ، وما يترتب عليه من مصالح لا تنحصر بالفرد ، بل تتعداه إلى المجتمع، والى الحياة كلها نباتاً كانت أم حيواناً ،حديث له نفعه وأثره في الدنيا قبل الآخرة ، فما مدى حاجة الإنسان ، أو الحيوان ،أو النبات لهذا الجزء الذي جعله الله آيةً ودليلاً وبرهاناً على عظمته ،وقدرته ،وحكمته؟واثر ذلك على ديمومة الحياة واستمرارها ؟ من سكون وحركة ، ونوم و يقظة ،و تعب ونصب ، وراحة واسترخاء ،و صمت وصوت .

فالقرآن وصف الليل بأنه لباس ،ومظلم، وسكن وبأنه وقت ليسكن فيه بنو البشر، وجعل النوم فيه سباتا ،ووقتاً تختفي فيه سائر المخلوقات ، وجعل النهار معاشاً، ووقتاً للكسب ،ووقتاً تسرب فيه سائر المخلوقات ، وجعله وقتاً للنشور والابتغاء من فضل الله ، ولعل كل ذلك كونه مبصرا ، وكل هذا وذاك تقدير العزيز العليم الذي خلق كل شيء وأتقن خلقه وصنعه ، فتدبر ذلك .

<u>واليك ما ظهر من فوائد الليل وهي كما يأتي :-</u>

١- قال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) آل عمران، الآية ١٩٠ .

١- <u>مصالح دنيوية</u>، حيث التعاقب والاختلاف بين الليل والنهار هذا بالطول وهذا بالقصر يترتب عليه زيادة ساعات الليل على حساب ساعات النهار وهكذا بالنسبة لفصول السنة ربيعاً ،وصيفاً ، وخريفاً وشتاءاً وهذا له أثره في اختلاف الثمار التي تختلف من فصل إلى آخر، وكذلك فيما يخص الفواكه والخضر التي ينتفع بها الإنسان بالدرجة الأولى . والى هذا أشار ابن كثير رحمه الله بالقول : (تأخذ من طول هذا فتزيده في قصر هذا فيعتدلان ثم تأخذ من هذا فيتفاوتان ثم يعتدلان وهكذا في فصول السنة ربيعا" ، صيفا" ، خريفا" وشتاءا" .) وقال أيضا : (فبالشمس تعرف الأيام وبسير القمر تعرف الشهور والأعوام)

٢- <u>السكن والسبات</u> : فهنا نقف عند كل لفظة وردت في كتاب الله حيث ذكر القرآن الكريم السبات في آيات، والسكن في آيات ،والنوم في آيات أخرى ، و جاءت منفردة تارةً،و مجتمعة تارةً أخرى ، وكل واحدة منها لها معنى ومدلولاً يختلف عن الآخر ،وهذا هو شأن كلام الله تعالى . فعن السبات قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً) الفرقان ، الآية ٤٧

حيث جعل الله تعالى النوم سباتا" وقد تكرر ذلك في قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً) النبأ ، الآية ٩

ومعناه أن الله جعل النوم راحة ؛لان فيه انقطاع عن حركة الأبدان .
قال ابن كثير رحمه الله : (والنوم سباتا أي قاطعا للحركة لراحة الأبدان فان الأعضاء والجوارح تَكِلُ من كَثرَةِ الحركة في الانتشار بالنهار في المعاش فإذا جاء الليل وسكن سكنت الحركات فاستراحت فحصل النوم الذي فيه راحة البدن والروح معا)

وعن السكن جاءت آيات تدلل على رحمته تعالى بعباده من خلال جعل الليل فترة تهدأ بها النفوس وتلجأ فيها إلى السكينة والاستقرار من خلال وصفه تعالى بأنه لباس حيث قال : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً) النبأ، الآية ١٠

ويذكر الله تعالى عباده بأن يذكروا نعمة الله عليهم بان جعل لهم الليل ليسكنوا فيه من تعب النهار ومشاقه ليتجدد لهم نهار ونشاط جديدين في حياتهم وانه (أي الليل) رحمة من الله بالمخلوقات كلها ، قال تعالى : (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) القصص، الآية ٧٣

وقال أيضا":(أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً) . النمل، ٨٦ الآية

والسكن هو الاستراحة من التعب الذي ينتج عن الحركة قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (ومن الآيات ما جعل الله من صفة النوم في الليل والنهار فيه تحصل الراحة وسكون الحركة وذهاب الكلل والتعب) . وقال أيضا" : (أي في ظلام الليل لتسكن حركاتهم بسببه وتهدأ أنفاسهم)

فائدة ودور الظلام في سكون الخلايا الحية لكل حي وليس النوم فقط له فائدة حيث قال : (إن السكون بالليل ضرورة لكل حي .. فلا بد من فترة من الظلام تسكن فيه الخلايا الحية وتستكمل نشاطها في النور، ولا يكفي مجرد النوم لتوفير هذا السكون بل لابد من ليل ، لا بد من ظلام فالخلية الحية التي تتعرض إلى ضوء مستمر تصل إلى حد من الإجهاد تتلف معه أنسجتها لأنها لم تتمتع بقسط ضروري لها من السكون) وهنا تتجلى لنا رحمة الله تعالى في كلمة واحدة (ألم يروا) وهنا دعوة للنظر والتأمل والتفكر في عظيم خلق الله تعالى .

نجد أن النبات هو الأخر بحاجة إلى ظلام الليل ليأخذ هو الأخر نصيبه من الرحمة . حيث ثبت من خلال التجارب الزراعية أن الظلام له اثر كبير في إزهار العديد من النباتات ، كما أن له دوراً في نمو النباتات ؛وذلك لان عملية التركيب الضوئي والتي من خلالها يتم تصنيع الغذاء تحتاج إلى ساعات من الظلام يقوم فيه النبات بطرح غاز ثاني أو كسيد الكربون واستهلاك الأوكسجين وهذه العملية عكس ما يحدث في النهار

مما يؤدي ذلك إلى عملية التوازن في وجود الغازين بالجو وهذا بدوره له الأثر في استمرار الحياة ، علما أن الإنسان والحيوانات بحاجة إلى الأوكسجين وطرح ثلي أوكسيد الكربون في عملية التنفس ، فضلاً عن ذلك فان البذور والثمار في الضوء تتنفس أكثر من الظلام أي أن الظلام يقلل من التنفس وبالتالي يطيل فترة خزن البذور والثمار ، فهل من متدبر لهذه المعاني وهل من شاكر لهذه النعم ؟!

٣- تجدد الحياة واستمرارها : وهذه الفائدة لها ارتباط وثيق بالتي قبلها ، لأنه من دون السكون والانقطاع والراحة لا يمكن للحياة أن تستمر ولا يمكن لها أن تتجدد لان استمرار الحركة بدون السكون لا يمكن لان الأعضاء والجوارح تكل وتتعب ، كما إن النوم المستمر والسكون بدون حركة وعمل ونشاط لا يمكن التقدم إلى الأمام أو أن تستمر معه الحياة، فالحياة مبنية على ذلك ،والى هذا أشار القرآن الكريم بالقول: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ # قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ # وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) . القصص ٧١ إلى ٧٣

فالإنسان بطبعه لا يمكن أن يستمر على حالة واحدة من ظلام مستمر أو نهار مستمر بل الحياة كلها تحتاج إلى هذا والى هذا ، قال سيد قطب رحمه الله: (والناس يشتاقون إلى الصبح حين يطول بهم الليل قليلا في أيام الشتاء ويحنون إلى ضياء الشمس حين تتوارى عنهم فترة وراء السحاب فكيف بهم لو فقدوا الضياء .. ويحنون إلى الليل حين يطول النهار بعض الساعات في الصيف ويجدون في ظلام الليل الملجأ والحياة كلها تحتاج إلى فترة الليل لتجد ما تنفعه من الطاقة في نشاط النهار ، فالليل سكينة وقرار والنهار نشاط وعمل) . حيث جعل الله تعالى للنهار والضوء حاجات ، والليل والظلام حاجات ولكل منهما دوره

(وجعل حاجتهم إلى النشاط والعمل يلبيها الضوء والنهار ، وحاجتهم إلى النوم والراحة يلبيها الليل والظلام مثلهم مثل جميع الأحياء على ظهر هذا الكوكب) . وهذا استمرار وتجدد للحياة وديمومتها إلى اجل مسمى .

٤- عدد السنين والحساب : إن من فوائد تعاقب الليل والنهار هي معرفة حساب الأيام ثم الأسابيع ثم الشهور ثم الأعوام وما يترتب على ذلك من مصالح دنيوية لا يمكن إنكارها ، ودور ذلك في تنظيم وقت الإنسان في هذه الحياة من المواعيد والأعمال التي يقوم بها الإنسان وفق منهج منضبط. إن عملية ضبط الوقت مهمة جدا في المعاملات بين الناس قال

تعالى:
(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهار مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً) الإسراء، الآية ١٢

قال ابن كثير رحمه الله : (يمتن تعالى على خلقه بآياته العظام فمنها مخالفته بين الليل والنهار ليسكنوا في الليل وينتشروا في النهار للمعايش والصنائع والأعمال والأسفار وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام ويعرفوا وقت الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات وغير ذلك .. فانه لو كان الزمان كله نسقا واحدا واسلوبا" متساويا" لما عرف شيء من ذلك)

وقال أيضا:(فبالشمس تعرف الأيام وبسير القمر تعرف الشهور والأعوام) ، والى ذلك أشار القرآن الكريم بالقول: (يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) البقرة ، الآية ١٨٩

، وقال أيضا": (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) . يونس ، الآية ٥

٥- تذكير وموعظة : النوم وقت يحتاجه كل كائن حي ولاسيما الإنسان لكي يأخذ قسطا وافيا من الراحة للأعضاء والروح معا لذا جعله الله تعالى آيةً من آياته الدالة على عظمته وقدرته ، قال تعالى: (مِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ) العنكبوت ، الآية ٢٣

فالنوم يذكر بالموت ،ويدلل في الوقت نفسه على قدرته تعالى على بعث الأجساد بعد موتها ، قال تعالى : (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) الزمر ، الآية ٤٢

(ومن فوائد النوم العظيمة انه يذكر الإنسان بالموت الذي هو نهاية كل حي ،إلا الحي الذي لا يموت ، وفي الاستيقاظ منه دلالة على قدرة الله سبحانه وتعالى على بعث الأجساد بعد موتها ،وإحيائها بعد وفاتها) ، لذا كان النبي ε إذا أراد أن ينام قال: (باسمك اللهم أموت وأحيا) وإذا استيقظ من منامه قال: (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور) .

النوم: (هي الوفاة في صورة من صورها بما يعتري الحواس من غفلة وما يعتري الحس من سهوه ،وما يعتري العقل من سكون ، وما يعتري الوعي من سبات – أي انقطاع – ،وهو السر الذي لا يعلم البشر كيف يحدث) ،

وبهذا نفهم قول النبي ε (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور) ، فالنوم خير مذكر بالموت ،والاستيقاظ منه خير موعظة بالبعث والنشور بعد الموت .. فهل من مدّكر !.

أسرار قيام الليل

إن الحديث عن أسرار الليل حديث ممتع وأكثر جمالا من الحديث عن فوائد النهار لان الأخير يتعلق بمصالح دنيوية لها دورها في استمرار الحياة إلى اجل مسمى أما الأول والذي نحن بصدده الآن فإنه يتحدث عن أمور لها علاقة بحياةٍ مستمرةٍ أبديةٍ لذا يكون الشوقُ والتعلقُ بالذي له صفة البقاء لا الزوال أكثر ، وأن المتأمل في بعض الآيات القرآنية يجدها تتحدثُ عن اختيار الله لوقت معين في ليلةٍ معينةٍ لنزول كلامه جل شأنه ويأمرُ العابدين بان ينقطعوا في جزءٍ من الليل لخالقهم بالتسبيح والصلاة والتوبة والاستغفار وغيرها من العبادات الأخرى ، وهنا له الحق كل من يسأل عن السرّ في هذا الاختيار الإلهي ، بل عن الأسرار التي تكمن وراء ذلك .

إن الذي يتتبع آيات القرآن الكريم يجدها تأمر بصلاة الليل ،والتسبيح ،والاستغفار ،و الدعاء مع أن هذه العبادات يستطيع أن يقوم بها الإنسان نهارا" جهارا" فهل هناك فرق ، وهل هناك ثمرات ؟ يقول تعالى: (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً # نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً # أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً # إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً # إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً) المزمل ٢ إلى ٦ .
، وقال تعالى: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً) الإسراء ، الآية ٧٩

فالأمر بالقيام شيء، والأمر بالتهجد شيء آخر ، فالتهجد جزء من القيام وهذا ما سنراه . لذا نبدأ بالقيام ونقف عند قول ابن كثير رحمه الله في ذلك : (قيام الليل كان واجباً على النبي ،وعلى صحابته حولاً كاملاً ،ثم نُسخ في حق الأمة وجُوبُه ،ثم بعد ذلك نسخ اللهُ تعالى ذلك كلّه ليلة الإسراء بخمس صلوات) . جاء عن التابعين معنى (الناشئة) التي وردت في القرآن بمعنى قام حيث قال مجاهد وغير واحد : (يقال نشأ إذا قام من الليل .. الليل كله ناشئة ، بعد العشاء والفرض، إن ناشئة الليل هي ساعاته ،وأوقاته ،وكل ساعة منه تسمى ناشئة) وهنا يكمن سر اختيار الباري عز وجل لهذا الجزء من الوقت لان العبد يقوم به بين يدي الله لذا قال تعالى عن هذه الناشئة بأنها (اشد وطئا وأقوم قيلا) .

قال ابن كثير رحمه الله : (والمقصود إن قيام الليل هو اشد مواطأة بين القلب واللسان ، واجمع على التلاوة .. أي اجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار لأنه وقت انتشار الناس ولفظ الأصوات ، أي أصوب وأقوم وأهيأ) . فالليل يعطي سكينة وهدوء وراحة من خلالها يكون الصفاء للفكر ،والذهن ،والعقل ويكون قلب العبد أكثر خشوعاً وذلاً بين يدي الخالق ،ويكفي بهذا الاختيار الرباني سرا كما إن الناس نيام ،وأنت تقطع من الليل الذي هو لراحة البدن والروح معا جزءا وأنت قد أمضيت نهارا من التعب والنصب بين هموم العيش وصعوبة الوقت ،كل هذا لأجل تلبية نداء الخالق لك ،لعلك تحظى برضاه ،أو مغفرته أو عفوه ، (إن قيام الليل والناس نيام .. والاتصال بالله وتلقي فيضه ونوره والأنس بالوحدة معه والخلوة إليه وترتيل القرآن والكون ساكن أجهد للبدن واثبت في الخير .. فان فعالية هتاف النوم وجاذبية الفراش بعد كد النهار اشد وطأ وأجهد للبدن ولكنها إعلان لسيطرة الروح واستجابة لدعوة الله)

(وأقوم قيلا) (فإنها أقوم قيلا لان للذكر فيه حلاوته ، وللصلاة فيها خشوعها ، وانها لتكسب في القلب أُنساً ،وراحةً ، ونورا ،قد لا يجدها في صلاة النهار وذكره)
فهذا هو اختيار الخالق الذي يعلم ما يصلح حالنا في الدنيا والآخرة ، ولنجرب ذلك فسوف نجد اثر ذلك واضحاً وضوح الشمس (والله الذي خلق هذا القلب يعلم مداخله وأوتاره ويعلم ما يتسرب إليه وما يوقع عليه ، وأي الأوقات يكون فيها أكثر تفتحاً واستعداداً وتهيأً ، وأي الأسباب اعلق به واشد تأثيراً فيه) .

ولعل هذا هو السر الذي جعل السلف الصالح ينتهجون منهج رسول الله في الانقطاع لله في جوف الليل حتى مدحهم الله سبحانه بالقول : (كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ #وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) الذاريات ١٧الى ١٨ .
عن عائشة (رضي الله عنها) قالت :(كان النبي ص يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقلت : له لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبدا شكورا). وعلى هذا سار من جاء بعده .
(كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) قال الحسن البصري (رحمه الله) : كانوا قليلا من الليل ، كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله ونشطوا إلى السحر حتى كان الاستغفار بسحر ..) فماذا نقول نحن في آخر الزمان !
فهل منا من يأنس بمثل ما انسوا ؟ حتى يصدق فينا قوله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا" وطمعا") . السجدة ، الآية ١٦

وقد قال ابن عثيمين رحمه الله في هذا المقام: (هذه من أوصاف المتقين إنهم كانوا لا يهجعون من الليل إلا قليلا وذلك أنهم يشتغلون بالقيام والتهجد وقراءة القرآن وغير ذلك) ، ثم قال رحمه الله: (فانظر ما هو أصلح لقلبك ، قد يكون الإنسان في حال السجود اخشع واحضر قلبا ، وقد يكون في حال القيام يقرأ القرآن ويتدبر القرآن ويحصل له لطائف من كتاب الله مالا يحصل له في حال السجود) .
كما إن النبي ص حثنا على صلاة الليل أكثر من صلاة النهار حيث قال : (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل) .
ولعل ذلك يعود إلى صدق النية فيها وخلوها من الرياء وفيها يكون الإخلاص لله تعالى وحده ، فالصلاة روضة من رياض العبادات . قال ابن عثيمين (رحمه الله) عنها (فيها من كل زوج بهيج ،قرآن ،وذكر، ودعاء ،وتسبيح ،وتكبير ، ولهذا كانت من أفضل العبادات البدنية) . لذا حث الباري عز وجل العباد على صلاة الليل بالقول : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ . الإسراء ، الآية ٧٩
قال ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى (ومن الليل .. – أي – ومن ساعاته) . والتهجد ما كان بعد نوم وهو معروف في لغة العرب.
إن التهجد والقيام في الليل لا يقتصر على الصلاة والاستغفار فحسب بل القرآن الكريم أمر بالتسبيح لله رب العالمين حين قال تعالى : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾
وقال تعالى : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ ق، الآية ٤٠
فيجتمع القيام بين يدي الله بصفاء النية وصدقها مع التسبيح وقبل ذلك الاستغفار ثم الدعاء ليكون الإنسان موجها بكل أحاسيسه ومشاعره وجوارحه وأعضاءه للذي خلقهن فهو الوحيد المستحق للعبادة والخضوع والذلة والانقياد وما سواه فلا ، والعبد في ظلام الليل يأمل استجابة لدعائه وقبولا لعمله ودفعا للظلم ورفعا للعذاب ورضا الباري عز وجل ، فإذا هو بحديث النبي ص
(إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم سأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة)
قال ابن عثيمين رحمه الله : (وهذه الساعة غير معلومة بعينها وذلك من اجل أن نجتهد وان نتحرى قدر الله عز وجل) ، فأي كرم هذا وأي نعمة هذه التي نحن غافلون عنها ! .

ويزيد الليالي شرفاً وعزاً وفخراً ،وعظمةً نزول الباري عز وجل في كل ليلة إلى السماء الدنيا نزولا يليق بجلاله وكماله وعظمته ينظر في مسألة السائلين ، ودعاء المضطرين ، واستغاثة الملهوفين ، وندامة التائبين ، واعتراف المذنبين ، وتقصير المقصرين ، وليعطي كل واحد مسألته

وكما قال تعالى:أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى) آل عمران، الآية ١٩٥ .
وقال المصطفى ص ((يتنزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ، فيقول هل من تائب فأتوب عليه ، وهل من مستغفر فاغفر له ، وهل من سائل فيعطى سؤله ؟ حتى يطلع الفجر)) . وهذا يدعونا لان نتأمل في النصوص القرآنية مرة بعد أخرى ونكرر النظر فيها وفي معانيها المأخوذة من التفاسير الموثقة ، وبقراءة الآيات القرآنية تثبت المعاني وتستقر عند القارئ معان عند القراءة بتدبر وخشوع

أسرار اختيار الله تعالى بعض الليالي :

عند النظر في الآيات القرآنية الخاصة بهذا الموضوع نجد أن القرآن الكريم تحدثعند اختيار الله تعالى لليلة بعينها لكي تحمل حدثاً عظيماً ، فكانت تلك الليالي التي هي جزء من الزمن أو الوقت الماضي قد تشرفت بان كانت ظرفاً لهذه الحادثة أو تلك ونبدأ بأشر فها وأعظمها وهي التي قال تعالى عنها

١- :إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ) الدخان ،الآية ٣
وهي التي أرادها بالقول :(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ #وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ # لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ # تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ # سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) القدر، الآية ١
،هذه الليلة نزل فيها اشرف وأعظم كتاب ، وهو كلام الخالق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير آية الدخان: (في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق وما يكون فيها إلى آخرها) ، وقال أيضا: (وأنه انزل القرآن ليلة القدر وهي الليلة المباركة)
ولقد أضاف النبي ص لهذه الليلة مكانة جديدة عندما حث العابدين بان يقوموا هذه الليلة بالعبادة والطاعة والتسبيح والاستغفار ليزيدها بذلك علوا ورفعة يليق بها بقوله: ((من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))

٢- ولقد ذكر القرآن الكريم ليلةً أخرى مباركةً حدث فيها إعجاز يضاف إلى إعجاز القرآن الكريم ولكن هنا المعجزة لشخص النبي ص الذي كرمه وشرفه الله برحلة عظيمة وعجيبة تشرفت تلك الليلة بكل لحظاتها بان تحرك هذا الحدث أو أن تكون ظرفا خالداً بخلود هذا الكتاب ألا وهي حادثة الإسراء والمعراج
حيث قال تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) الإسراء ، الآية ١

٣- كما إن القرآن الكريم جعل الليل سببا ووسيلة لنجاة عباده المؤمنين من سطوة الطغاة الكافرين فكان الليل من جنود الله التي لا يعلمها إلا هو ، حيث أخبر القرآن بان الله قد أمر نبيه لوطاً عليه السلام أن يخرج هو ومن آمن معه ليلاً بقوله :

قَالُوا(يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) هود ،الآية ٨١

قال ابن كثير رحمه الله : (أن يسري بأهله من آخر الليل)

٤- وقد تكرر الأمر مع موسى عليه السلام فخلصه الله من سطوة فرعون وجنوده عندما أمره بالخروج ليلا حيث قال تعالى (فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ) الدخان، الآية ٢٣ .

٥- كما إن المصطفى صجعل خروجه من بيته في حادثة الهجرة ليلاً ، لتكون تلك اللحظات والدقائق الحرجة شاهدا على اختيار الخالق لها بان تكون أداة لنصر المؤمنين،فالظلام يستر غيره لذا سماه الله تعالى (لباسا") (الليل يستر الأشياء والأحياء فتبدو هذه الدنيا وكأنها تلبس الليل وتتسع بظلامه فهو لباس) . ويبقى التساؤل عن السر الذي أودعه الله في ليلة القدر وليلة الإسراء مطروحا لعل من يجد ذلك فالله له في خلقه وتصرفاته حكم وأسرار لا يطلع عليها احد سواه .

لقد حث النبي ص أصحابه على السفر في وقت الليل حيث قال :((عليكم بالدلّجة (الدلجة : السير في الليل)

فان الأرض تطوى بالليل .) تطوى : يسهل المشي فيها بحيث يظن الماشي انه سار قليلا" .. وذلك للإحساس بالنشاط من برودة الليل

وقد قال ابن عثيمين رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: (ارشد النبي صلى الله عليه وسلم أمته أن يسيروا في الليل ، واخبر أن الأرض تطوى للمسافر إذا سافر في الليل ، يعني انه يقطع في الدلجة – الليل – ما لا يقطعه في النهار ، وذلك لان الليل وقت يراد فهو أنشط للرواحل وأسرع في سيرها) .

دعوة للتفكر والتأمل في ظلام الليل حيث السكون والهدوء والراحة ، أما الأخرى فهي مجموعة الثمار التي نتجت عن تلك الأسرار سواء أكانت دنيوية أم دينية على مستوى الفرد أم الجماعة .

١- دعوة للتفكر

إن التفكر يحتاج إلى صفاء الذهن وعدم انشغال العقل بأمور خارجة عن الموضوع المراد التفكر فيه للوصول إلى نتيجة معينة ، وقد وصف الله تعالى أصحاب العقول الذين يتفكرون في خلقه بعد أن ذكر تعالى آيةَ من آيات عظمته وهي اختلاف الليل والنهار حيث قال تعالى : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ #

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) آل عمران ١٩٠-١٩١

عن الحسن البصري (رحمه الله) قال: (تفكر ساعة خير من قيام ليلة ، وقال سفيان بن عيينة : الفكرة نور يدخل قلبك) . وقال عمر بن عبد العزيز(رضي الله عنه) : (الكلام بذكر الله عز وجل حسن ، والتفكر في نعم الله أفضل عبادةٍ) .

هذا عن التفكر في كل وقت فما بالك إذا تفكر العبد في وقت الصفاء الذهني، وقت تقف فيه أعضاء الجسد بين يدي خالقها بين التسبيح، والاستغفار، وتلاوة القرآن ،والدعاء ، وقد نقل عن بعضهم القول :(لو تفكر الناس في عظمة الله لما عصوا الله ، عز المؤمن استغناؤه عن الناس وشرفه قيامه بالليل) .

إن عملية تعاقب الليل والنهار بنظام دقيق أصبحت مألوفة بحيث لا نرى فيها عجبا ، (ولكنه في ذاته عجب من العجب لمن ينفض عنه فوات الألفة ويتلقاه بحس الشاعر المتجدد الذي لم يجمده التكرار ، والنظام الدقيق الذي لا تتخلف معه دورة الفلك هو بذاته مثار تأمل في ناموس هذا الكون وتفكر في القدرة المبدعة التي تدبره وترعاه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .

وهذا هو القنوت الذي جاء ذكره في قوله تعالى :(أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) الزمر، الآية ٩

(هذا هو القنوت لله وحساسية القلب واستشعار الحذر من الآخرة والتطلع إلى رحمة الله وفضله ومراقبة الله .. هذا هو الطريق .. إنما يعرف أصحاب القلوب الواعية المتفتحة المدركة لما وراء الظواهر من حقائق التي تذكر الله في كل شيء تراه وتلمسه ولا تنساه ولا تنسى يوم لقاه) .

٢- ثمرة قيام الليل

إن قيام الليل سواءً أكان صلاةً ،أو تسبيحاً ، أو استغفاراً ، أو توبةً ، أو دعاءً ، أو ذكراً ، أو تلاوة قرآن فلكل واحدة من تلك العبادات ثمرة أو ثمرات يقطفها عاملها ،ولنقف عند كل عبادة وما وراء ها من خير يعود لصاحبه في الدنيا أو الآخرة ، قال تعالى: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً) الإسراء، الآية ٧٩

ال ابن عثيمين رحمه الله : ((ثم بيّن تعالى من ثمرات التهجد قال (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) قال العلماء : إذا قال الله تعالى في القرآن – عسى – فهو واجب يعني أن الله سيبعثك مقاما محمودا أي يبعثك يوم القيامة مقاما تحمد عليه من كل الخلائق)). وقال تعالى أيضا :(فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) الصافات ١٤٣

فالتسبيح والمداومة عليه كان سببا في نجاة يونس (عليه السلام) . وقد حثنا الله على التسبيح عموما وفي الليل خصوصا قال تعالى:(وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً) الإنسان، الآية ٢٦
وان كان نبيا من أنبيائه استمر على تسبيح الله فأنجاه الله مما كان فيه فمن باب أولى أن نكون مسبحين لله أفرادا وجماعات ليلا ونهارا لعل الله أن يجعل في ذلك التسبيح نجاة مما نحن فيه وخلاصا من العذاب . قال تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) الأنفال، الآية ٣٣
فالاستغفار سبب لرفع العذاب وسبب لمنع نزوله ، وقد مدح الله المستغفرين بالأسحار بقوله :(كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ#وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) الذاريات من الآية ١٧الى الآية ١٨
ومن ثمراته قول النبي ص ((من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل همّ فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب) . ذكر القرآن الكريم من ثمرات الاستغفار قوله : (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً #يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً #وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً) نوح من الآية ١٠ إلى الآية ١٢ .
وهذه الآيات تدعونا جميعا بان نتوجه إلى الله بالتوبة والاستغفار لعلنا نخرج من الظلام الذي نحن فيه ، ومن الكروب التي حلت بنا ، وخصوصا إذا علمنا أن نبينا محمداً (صلى الله عليه وسلم) قال وفعل بالقول :((والله إني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة)) . فالتوبة والاستغفار معا سبب في القوة حيث قال تعالى :(وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) هود الآية ٥٢
، فهذه دعوة من الله للمسيء والعاصي والظالم لنفسه والمقصر بالعبادة بان يتوبوا إلى الله توبة نصوحا وهم يسمعون
قول النبي ص ((إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار)) ، وقوله ((إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حيث يبقى ثلث الليل الأخير فيقول هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فاغفر له ، هل من سائل فيعطى سؤله ؟ حتى يطلع الفجر)) . وفي هذا الخبر بشارة لكل من يبحث عن التوبة والرجوع إلى الله ، ولمن يريد تفريجا لكربة ، فخير الدنيا والآخرة مكنوز في الثلث الأخير من كل ليلة وهكذا العمر كله .
فأين الذين يغتنمون فرصة قد لا تعوض في ساعة من ليلة من تلك الليالي لعل الدعاء يسمع ، ولعل العمل يرفع ، ولعل الشر والظلم يدفع في لحظة ، قال رسول الله ع((إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسال الله تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة))

قال ابن عثمين : وهذه الساعة غير معلومة بعينها وذلك من اجل أن نجتهد وأن نتحرى قدر الله عز وجل أفلا تريد أن تكتب في الذاكرين والذاكرات إذا أردت ذلك فاستمع لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من استيقظ من الليل وأيقظ أهله فصليا ركعتين جميعا كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات))

الاعجاز العلمي

أ- صورة من سفينة الفضاء جاليليو لكل من الأرض والقمر في وسط ظلمة الكون ويرى نصف كل منهما المواجه للشمس منيرا والنصف الآخر غارقا في ظلام دامس.

ب- أحد رواد الفضاء يسبح في ظلمة الكون ويرى طبقة نور النهار على سطح الأرض خطا رفيعا أزرق ٢٠٠ كم.

وفي هذه الآيات يمن علينا ربنا تبارك وتعالى بتبادل الليل والنهار ويعتبرهما من آياته الكبرى، لأن في ذلك استقامة للحياة على الأرض، وعونا للإنسان على تحديد الزمن، والتأريخ للأحداث المتتالية. وبدون هذا التبادل بين الليل المظلم والنهار المنير تتوقف الحياة على الأرض، ويتلاشي إحساس الإنسان بمرور الزمن، وتتوقف قدرته على متابعة الأحداث والتأريخ لها.

والليل والنهار آيتان كونيتان عظيمتان من آيات الله في الخلق تشهدان على دقة بناء الكون، وعلى انتظام حركة الأرض حول محورها المائل بقدر محدد، وبدقة فائقة في مدار محدد حول الشمس، وما يستتبعه ذلك من تحديد لسنة الأرض، وتبادل للفصول المناخية، ومرور للشهور والأسابيع والأيام، وتعاقب الليل والنهار على نصفي الأرض.

التبادل المنتظم بين الليل والنهار

إن التبادل المنتظم بين الليل المظلم والنهار المنير على نصفي الكرة الأرضية هو من الضرورات اللازمة للحياة الأرضية، ولاستمرارية وجودها بصورها المختلفة حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها. فبهذا التبادل بين الظلمة والنور يتم التحكم في توزيع ما يصل إلى الأرض من الطاقة الشمسية، وبالتالي يعين على التحكم في درجات الحرارة والرطوبة وكميات الضوء في مختلف البيئات الأرضية؛ كما يعين على التحكم في العديد من الأنشطة الحياتية وغير الحياتية من مثل التنفس والأيض في كل من الإنسان والحيوان، وعمليات النتح والتمثيل الضوئي في النباتات؛ ويتم

ضبط التركيب الكيميائي للغلافين الغازي والمائي المحيطين بالأرض، وضبط الكثير من دورات النشاط الأرضي من مثل دورة الماء بين الأرض والطبقات الدنيا من غلافها الغازي، وحركات الرياح والسحاب في هذا الغلاف، وتوزيع نزول المطر منه (بتقدير من الله)؛ كما تتم دورة تعرية الصخور بتفتيتها، ونقل هذا الفتات أو إبقائه في مكانه من أجل تكوين التربة أو الرسوبيات والصخور الرسوبية وما بها من خيرات أرضية.

وبالإضافة إلى ذلك فإن في اختلاف الليل المظلم والنهار المنير تقسيما لليوم الأرضي إلى فترة للحركة والعمل والنشاط، وفترة للراحة والاستجمام والسكون. فالإنسان محتاج إلى السكينة بالليل كي يخلد فيه إلى شيء من الراحة النفسية بالعبادة والتفكر، والراحة البدنية بالاسترخاء والنوم والإغفاء حتي يستعيد كلا من نشاطه البدني والذهني، ويستجمع قواه فيتهيأ للعمل بالنهار التالي وما يتطلبه ذلك من القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض. وقد ثبت علميا أن أفضل النوم يكون بالليل، وأقله فائدة هو نوم النهار (فيما عدا فترة القيلولة). كما ثبت أن كثرة النوم بالنهار تؤثر في نشاط الدورة الدموية في جسم الإنسان، وتتهدده بالتيبس في العضلات، وتؤدي إلى تراكم الدهون وزيادة الوزن، وإلى العديد من صور التوتر العصبي والقلق النفسي.

وربما كان من مبررات التوجيه الرباني بالنوم بالليل والنشاط بالنهار أن طبقات الحماية التي أوجدها ربنا تبارك وتعالى في الغلاف الغازي للأرض، ومن أهمها "النطق المتأينة" وما بها من "أحزمة الإشعاع" تتمدد بالنهار فتزداد قدراتها على حماية الحياة الأرضية مما يسمح للإنسان بالحركة والنشاط دون مخاطر. وهذه النطق تنكمش انكماشا ملحوظا بالليل، مما يقلل من قدراتها على الحماية؛ فينصح الإنسان بالركون إلى النوم والراحة حماية له من تلك المخاطر. وفي ذلك يقول ربنا تبارك وتعالى: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا) (النبأ:١٠-١١). قال تبارك وتعالى:(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) (يونس:٦٧).

من هنا كان التدبر في ظاهرة تعاقب الليل والنهار دعوة إلى الخلق كافة للإيمان بالله. ومن هنا أيضا جاءت الآيات التي تشير إلى تبادل الليل

والنهار في صياغة معجزة. ومن جوانب ذلك الإعجاز إشارتها إلى أعداد من الحقائق الكونية التي لم تكن معروفة وقت تنـزل القرآن الكريم، ولا لقرون متطاولة من بعد ذلك مما يجزم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويشهد للنبي الخاتم والرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة الحقة والرسالة الخاتمة.

الشواهد العلمية المستقاة من تبادل الليل والنهار

١- التأكيد على كروية الأرض

فإن تبادل الليل والنهار على نصفي الأرض وتعاقبهما وإيلاج كل منهما في الآخر، واختلافهما وتقليبهما، وإدبار أحدهما وسفور الآخر، وإغشاء نور النهار بحلكة الليل، وتجلية حلكة الليل بنور النهار، وتكوير الليل على النهار، وتكوير النهار على الليل، كل ذلك إشارات ضمنية رقيقة إلى كروية الأرض. فلو لم تكن الأرض كرة ما أمكن حدوث شيء من ذلك أبدا، وأبسطه تبادل الليل والنهار على نصفي الأرض.

هذه الحقيقة العلمية جاء بها القرآن الكريم من قبل ألف وأربعمائة من السنين في وقت ساد فيه الاعتقاد باستواء الأرض لدى كل الناس، على الرغم من إثبات عدد من قدامى المفكرين غير ذلك.

ونزول الآيات القرآنية العديدة بهذه الحقيقة الكونية الثابتة في الجزيرة العربية التي كانت في ذلك الوقت القديم بيئة بدوية بسيطة ليس لها أدنى حظ من المعرفة العلمية ومناهجها ولا بالكون ومكوناته، لمما يقطع بأن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أبدع هذا الكون بعلمه وحكمته وقدرته، والذي هو أدرى بصنعته من كل من هم سواه، وأن سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم كان موصولا بالوحي، ومعلما من قبل خالق السماوات والأرض.

٢- التأكيد على دوران الأرض حول محورها أمام الشمس

فلو لم تكن الأرض كروية، ولو لم تكن تلك الكرة تدور حول محورها أمام الشمس ما تبادل الليل والنهار. وهذا الدوران عبرت عنه الآيات القرآنية في أكثر من عشرين آية صريحة بتعبيرات ضمنية رقيقة، ولكنها مصاغة

صياغة علمية دقيقة، تبلغ من الدقة والشمول والكمال مالم يبلغه العلم الحديث.

وقد أنزلت هذه الآيات مؤكدة حقيقة دوران الأرض حول محورها في وقت ساد فيه الاعتقاد بثبات الأرض ورسوخها، بمعني عدم دورانها أو تحركها، وهو أمر معجز للغاية.

٣- التأكيد على أن سرعة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس في المراحل الأولى لخلق الكون كانت أعلى من سرعتها الحالية

وهذه الحقيقة لم يتوصل العلم المكتسب من إدراكها إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، وقد سبقها القرآن الكريم بأكثر من أربعة عشر قرنا، وذلك بالإشارة إلى هذه الحقيقة في قول الحق تبارك وتعالى:(إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (الأعراف:٥٤).

وإغشاء النهار بالليل جاء في القرآن الكريم أربع مرات (الأعراف:٥٤، الرعد:٣، الشمس:١-٤، الليل:١،٢). والمرة الوحيدة التي جاءت فيها الصفة (يَطْلُبُهُ حَثِيثًا) أي سريعا، هي هذه الآية الرابعة والخمسون من سورة الأعراف، لأنها تتحدث عن بداية خلق السماوات والأرض؛ وهي حقيقة مدونة في هياكل الحيوانات وأخشاب النباتات بدقة بالغة، ولم يكن لأحد من الخلق إلمام بأية فكرة عنها إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين حين اكتشف العلماء أن تبادل الليل والنهار كان يتم في العقود الجيولوجية القديمة بسرعة فائقة جعلت من عدد الأيام في السنة عند بدء الخلق أكثر من ألفي يوم،وجعلت من طول الليل والنهار معاً أقل من أربع ساعات. وكان إبطاء سرعة دوران الأرض حول محورها بمعدل جزء من الثانية في كل قرن من الزمان آية من آيات الله في إعداد الأرض لاستقبال الحياة، لأن صور الحياة -وفي مقدمتها الإنسان- ما كان ممكنا أن تتلاءم مع هذه السرعات الفائقة لدوران الأرض، وكذلك مع قصر أو طول كل من الليل والنهار.

٤- التأكيد على سبح الأرض في مدارها حول الشمس

يعبر القرآن الكريم عن الأرض في عدد من آياته بالليل والنهار كما جاء في قول الحق تبارك وتعالي:(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (الأنبياء:٣٣)، وفي قوله عز من قائل: (لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (يس:٤٠).

وذلك لأن كلا من الليل والنهار عبارة عن ظرف زمان وليس جسما ماديا، ولابد للزمان من مكان يظهر فيه. والمكان في هذه الحالة هو كوكب الأرض الذي يقتسم الليل نصفه، والنهار النصف الآخر في حركة دائبة وتبادل مستمر. ولولم تكن الأرض كروية، ولو لم تكن تدور حول محورها أمام الشمس لما تبادل سطحها الليل والنهار في تعاقب مستمر. ولولا جري الأرض في مدارها حول الشمس ما تغيرت البروج. ولو لم تكن الأرض مائلة بمحور دورانها على دائرة البروج بزاوية مقدارها ٦٦،٥ درجة تقريبا ما تبادلت الفصول. ولولا علم الله بجهل الناس لتلك الحقائق في الأزمنة السابقة لأنزل الحقيقة الكونية بلغة صادعة قاطعة، ولكن لكي لا يفزع الخلق في وقت تنـزل القرآن الكريم أشار إلى جري الأرض في مدارها المحدد لها حول الشمس بسبح كل من الليل والنهار. والسبح لا يكون إلا للأجسام المادية في وسط أقل كثافة منها. فالسبح في اللغة هو الانتقال السريع للجسم المادي بحركة ذاتية فيه من مثل حركات كل من الأرض والقمر والشمس وغيرها من أجرام السماء، كل في مداره وحول جرم أكبر منه. ويؤكد هذا الاستنتاج صيغة الجمع "كل في فلك يسبحون" التي جاءت في الآيتين، لأنه لو كان المقصود بالسبح الشمس والقمر فحسب، لجاء التعبير بالتثنية و"كلاهما يسبحان".

٥- التأكيد على الرقة الشديدة لطبقة النهار في الغلاف الغازي لنصف الأرض المواجه للشمس

وهي حقيقة لم يدركها الإنسان إلا بعد ريادة الفضاء، في منتصف الخمسينات وأوائل الستينات من القرن العشرين. وقد سبق القرآن الكريم هذا الكشف العلمي بأربعة عشر قرنا وذلك في قول الحق تبارك وتعالى: (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ) (يس:٣٧).

وهذه الآية الكريمة تؤكد أن الأصل في الكون الظلام، وأن طبقة النهار في الغلاف الغازي المحيط بنصف الأرض المواجه للشمس، والتي تتحرك

باستمرار لتحل محل ظلام الليل بإشراق الفجر، هي طبقة بالغة الرقة لا يكاد سمكها أن يتعدى ٢٠٠ كم فوق مستوى سطح البحر. وإذا نسبنا هذا السمك إلى المسافة بين الأرض والشمس، وهي مقدرة بحوالي المائة وخمسين مليون كم، كانت النسبة واحدا إلى سبعمائة وخمسين ألفا تقريبا. وإذا نسبناه إلى نصف قطر الجزء المدرك من الكون، والمقدر بأكثر من اثني عشر بليون (ألف مليون) سنة ضوئية اختفت هذه النسبة تماما أو كادت. ومن هنا تتضح ضآلة سمك الطبقة التي يعمها نور النهار، كما يتضح عدم استقرارها لانتقالها باستمرار من نقطة إلى أخرى على سطح الأرض مع دورانها حول محورها أمام الشمس؛ ويتضح كذلك أن تلك الطبقة الرقيقة من نور النهار تحجب عنا ظلام الكون الخارجي، لأن الذين تعدوا طبقة النهار من رواد الفضاء رأوا الشمس في منتصف النهار قرصا أزرق في صفحة سوداء. وبهذه المعلومات التي اكتشفت منذ أقل من نصف قرن تتضح روعة تشبيه القرآن الكريم انسلاخ نور النهار عن ظلمة كل من الليل والكون بسلخ جلد الذبيحة الرقيق عن كامل بدنها. وهذا يؤكد أن الظلمة هي الأصل في هذا الكون، وأن النهار ليس إلا ظاهرة نورانية عارضة رقيقة جدا، لا تظهر إلا في الطبقات الدنيا من الغلاف الغازي في نصفه المواجه للشمس؛ وبواسطة دوران الأرض حول محورها أمام ذلك النجم ينسلخ النهار تدريجيا أمام ظلمة ليل الأرض والتي تلتقي بظلمة السماء.

٦- التأكيد على دقة الحساب الزمني بواسطة كل من الليل والنهار والشمس والقمر

من المعروف أن السنة الهجرية هي سنة شمسية/قمرية، لأن هذه السنة تحددها دورة الأرض حول الشمس دورة كاملة تتمها في ٣٦٥.٢٥ يوما تقريبا، وأن هذه السنة تقسم إلى اثني عشر شهرا بواسطة دوران القمر حول الأرض؛ كما يقسم الشهر إلى أسابيع وأيام وليال بنفس الواسطة. وقد تقسم الشهور بواسطة البروج التي تمر بها الأرض في أثناء جريها في مدارها حول الشمس، كما تدرك الأيام بتبادل كل من الليل والنهار، ويقسم النهار إلى وحدات أصغر بواسطة المزولة الشمسية؛ ومن هنا كان القسم القرآني بالليل والنهار والشمس والقمر في خمس آيات (الأنعام:٩٦، إبراهيم:٣٣، النحل:١٢، الأنبياء:٣٣، فصلت:٣٧).

٧- الإشارة إلى أن ليل الأرض كان في بدء الخلق ينار بعدد من الظواهر الكونية

وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً) (الإسراء:١٢).

ويستشف من هذه الآية ظاهرة الشفق القطبي وأطيافه والتي تعرف أيضا باسم ظاهرة الأنوار القطبية أو باسم ظاهرة فجر الليل القطبي؛ وهي ظاهرة نورانية ترى بالليل في سماء المناطق القطبية وحول القطبية، وتتكون نتيجة لارتطام الأشعة الكونية الأولية التي تملأ فسحة الجزء المدرك من الكون على هيئة الجسيمات الأولية للمادة بالغلاف الغازي للأرض، مما يؤدي إلى تأينه وإصدار أشعة كونية ثانوية. ونتيجة لذلك تتصادم الأشعة بشحناتها الكهربية المختلفة مع كل من أحزمة الإشعاع ونطق التأين في الغلاف الغازي للأرض وتفريغ شحناتها فتوهجها. والجسيمات الأولية للمادة متناهية في الدقة، وتحمل شحنات كهربية عالية، وتتحرك بسرعات تقترب من سرعة الضوء، ولم تكتشف إلا في سنة ١٩٣٦. والأشعة الكونية تتحرك بمحاذاة خطوط المجال المغناطيسي للأرض والتي تنحني لتصب في قطبي الأرض المغناطيسيين فتؤدي إلى تأين الغلاف الغازي للأرض، ومن ثم إلى توهجه.

ومن الثابت علميا أن نطق الحماية المتعددة في الغلاف الغازي للأرض من مثل نطاق الأوزون، ونطق التأين، وأحزمة الإشعاع، والنطاق المغناطيسي للأرض لم تكن موجودة في بدء خلق الأرض. ولذلك فقد كانت الأشعة الكونية تصل إلى المستويات الدنيا من الغلاف الغازي للأرض فتؤدي إلى توهجه ليلا حول كافة الأرض، وبعد تكون نطق الحماية المختلفة أخذت هذه الظاهرة في التضاؤل التدريجي حتى اختفت، فيما عدا مناطق محدودة حول القطبين، تبقي شاهدة على أن ليل الأرض في المراحل الأولى من خلقها كان يضاء بوهج لا يقل في شدته عن نور الفجر الصادق.

فسبحان الذي أنزل من قبل أربعة عشر قرنا قوله الحق على لسان نبيه الخاتم: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ

مُبْ صِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً) (الإسراء:١٢).

هذه الشواهد العلمية المستقاة من تبادل الليل والنهار بدء بتأكيد كروية الأرض، ثم دورانها حول محورها، وتباطؤ هذا الدوران مع الزمن، وجريها في مدارها المحدد حول الشمس، والرقة الشديدة لطبقة النهار، والدقة الفائقة لحساب الزمن بواسطة تتابع كل من الليل والنهار والشمس والقمر، وأن ليل الأرض كان يضاء في بدء الخلق بوهج لا يقل في شدته عن نور الفجر الصادق، وأن من بقايا هذا الوهج القديم ظاهرة الفجر القطبي...

الشمس والقمر

الشمس والقمر في القرآن

قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨)البقرة

فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨)الانعام

فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦)الانعام

يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)الاعراف

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥)يونس

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) يوسف

وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢)الرعد

وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) ابراهيم

وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢)النحل

أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨)الاسراء

وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ (١٧)الكهف

حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ (٨٦)الكهف

حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩٠)الكهف

وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا (١٣٠)طه

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣)الانبياء

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ (١٨)الحج

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (٤٥)الفرقان

وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤)النمل

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٦١) العنكبوت

وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩)لقمان
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى (١٣)فاطر
وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨)يس
لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠) يس

يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٥) الزمر
وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧)فصلت
فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩)ق
الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥)الرحمن
وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦)نوح
فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩)القيامه

مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣)الانسان
إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢)التكوير
وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢)الشمس

<u>القمر</u>

فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧)الانعام
تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٦١)الفرقان
وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩)يس
اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١)القمر
كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣)المدثر
فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨)القيامه
وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (١٩)الانشقاق

<u>الرازى</u>

أما قوله : {والقمر إِذَا اتسق } فاعلم أن أصل الكلمة من الاجتماع يقال : وسقته فاتسق كما يقال : وصلته فاتصل ، أي جمعته فاجتمع ويقال : أمور فلان متسقة أي مجتمعة على الصلاح كما يقال : منتظمة ، وأما أهل المعاني فقال ابن عباس إذا اتسق أي استوى واجتمع وتكامل وتم واستدار وذلك ليلة ثلاثة عشر إلى ستة عشر ،

{ حتى عَادَ كالعرجون القديم } أي رجع في الدقة إلى حالته التي كان عليها من قبل . والعرجون من الانعراج يقال لعود العذق عرجون ، والقديم المتقادم الزمان

ـ يقول الله تبارك وتعالى : وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ..

جاء العالم (كابلر) في القرن السابع عشر وأكد أن الشمس والكواكب التي تتبعها تدور كلها في مسارات خاصة بكل منها وفق نظام معين..

الشمس نجم عادي يقع في الثلث الخارجي لشعاع قرص مجرة الطريق اللبني . وهي تجري بسرعة رهيبة حول مركز المجرة الثابتة الذي تبعد عنه ٣٠ ألف سنة ضوئية ساحبة معها الكواكب السيارة التي تتبعها بحيث تكمل دورة كاملة حول المجرة كل ٢٥٠ مليون سنة!!

منذ ولادة الشمس التي ترجع إلى ٤.٦ مليار سنة أكملت الشمس وما تبعها حوالي ١٨ دورة حول مجرة الطريق اللبني ، والتي تجري بدورها نحو التجمع المحلي للمجرات ، والتجمع المحلي يجري نحو تجمع أكبر هو كدس المجرات ، وكدس المجرات يجري نحو تجمع أكبر هو كدس المجرات العملاق ، فكل جرم في الكون يجري ويدور ويجذب ويُجذب..

لم يكشف علم الفلك إلا في القرن العشرين عن أن النجوم تولد وتنمو وتكبر وتهرم وتموت ، فقد تأكد العلماء الآن من ظاهرة موت النجوم وأن شمسنا سوف يأتي عليها يوم وستنطفئ ، أما توقيت موتها فلا يعلمه إلا بارئها سبحانه وتعالى..

ومن هذه المعلومات أن الشمس نجم تصل الحرارة في داخله إلى ١٥ مليون درجة مئوية ، وفي أطرافه تصل درجة الحرارة إلى ٦ مليون درجة ، لذا فالشمس يعتبر مختبر عملاق من الفيزياء النووية ، وبفعل هذه الحرارة الهائلة تتحد جزيئات الذرة وتعطي غاز الهيدروجين الذي يؤلف القسم الأكبر من مادتها (٩٢.١%) ثم يتحول الهيدروجين إلى غاز الهليوم ومن هذا التحول ينشأ ضوء الشمس ؛ وبهذا يتضح لنا كيف أن الشمس هو جرم مستقل يستمد ضياءه من ذاته ، وليس جرماً معتماً كما كان يظن علماء الفلك في العصور القديمة..

وضوء الشمس هو المصدر الأساسي لبقية مصادر الطاقة كالرياح والطاقة المائية والطاقة الغذائية.. وغيرها ، ولذا فالشمس تعتبر خزان طاقة هائل والذي هو أحد الأسباب التي خلقها الله تبارك وتعالى لتصلح الحياة على وجه كوكب الأرض.

أما بالنسبة للقمر فهو جرم معتم بارد يستمد نوره من الشمس ، فالوجه المنير للقمر هو نتيجة انعكاس ضوء الشمس على سطحه ، ولذا فالوجه الآخر للقمر هو مظلم تماماً نتيجة لعدم انعكاس ضوء الشمس عليه..

أما بالنسبة لحركة البحار المعروفة حاليا بـ المد والجذر فلم يتم التعرف على أسبابها العلمية إلا في القرن الثامن عشر مع (نيوتن) الذي ربطها بتأثير جاذبية القمر والشمس على الأرض.

ولا يبدو أثر هذه الجاذبية على الأرض الصلبة واضحاً ، إلا أن تأثيرها يبدو واضحاً على سطح المحيطات والبحار من خلال ارتفاع منسوب المياه وانخفاضه المعروف بالمد والجزْر ، فللقمر جاذبية تقوم بجذب مياه البحار والمحيطات ، ولكن لأن هذه الجاذبية القمرية هي جاذبية ضعيفة بالمقارنة بجاذبية الأرض التي تقاومها ، تقوم جاذبية الأرض بإعادة المياه مرة أخرى ، ومن هذا الشد والجذب بين الجاذبتين تحدث حركة المياه في البحار والمحيطات والتي بدونها لا يمكن للحياة أن تستمر في الكرة الأرضية بأكملها ، فمياه البحار والمحيطات إذا ركدت سيؤدي هذا إلى ركود آلاف الأطنان من الملح الموجود بهذه البحار والمحيطات ، وركود هذه الكميات الضخمة من الأملاح سيؤدي بدوره إلى تعفن المياه ، وهذا التعفن يؤدي إلى موت جميع الأحياء المائية الموجودة بهذه البحار والمحيطات وتعفنها هي الأخرى ، ومن جراء تعفن هذه الكميات الضخمة من الأحياء المائية ، سيمتلئ سطح الكرة الأرضية بالبكتريا وستنتقل مختلف أنواع الميكروبات الحاملة لمختلف الأمراض وتنتشر في سرعة مخيفة قاضية على كل كائن حي تقابله ، وتختفي الحياة من على وجه الكرة الأرضية تماماً...

ولقد كشفت علوم الأحياء البحرية أن تصرفات تلك الأحياء في حياتها مثل التفتيش عن الغذاء والتوالد والهجرة والنمو ، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتعاقب الليل والنهار ومنازل القمر ، وخاصة عندما يكون بدراً...

فكثير من الأسماك والقشريات التي تعيش في أعماق البحار تصعد إلى سطحه عندما يكون بدراً ، والنباتات تنمو بسرعة أكبر خلال الليالي التي يكون القمر فيها مكتملاً. وبصورة عامة فإن جميع الأحياء تتأثر بضوء الشمس ونور القمر من خلال ساعات داخلية بيولوجية في كل منها...

-**كوكب الأرض الوحيد الصالح للحياة!!**
لو كانت الأرض بحجم القمر لانخفضت جاذبيتها إلى السدس مما هي عليه الآن ، فما استطاعت أن تمسك بالماء فوق سطحها و لانعدمت إمكانية الحياة على ظهرها كما هو الحال على سطح القمر ، علماً أن القمر والأرض تكونتا من كتلة غازية واحدة.
ولو كانت الأرض بحجم الشمس لبلغت جاذبيتها ١٥٠ مرة عما هي عليه الآن ولارتفع الضغط الجوي على سطحها إلى معدل طن واحد في كل بوصة مربعة ، وفي ذلك استحالة نشأة أي حياة على سطحها ، علماً أن السماوات والأرض انفصلتا من كتلة غازية واحدة...
ولو كانت المسافة التي تفصل الأرض عن الشمس بزيادة ٤ ملايين ونصف مليون كلم (أي ١٥٤ مليون كلم بدلاً من ١٥٠ مليون كلم) لانخفضت درجة الحرارة إلى ١٨٠ درجة تحت الصفر على سطحها ، ولانعدمت فرصة الحياة للبشر على سطح كوكب الأرض.. ولو نقصت هذه المسافة بمقدار مليون ونصف من الكيلومترات (١٤٨.٥ مليون كلم بدلاً من ١٥٠ مليون كلم) لارتفعت درجة الحرارة إلى ٤٥٠ درجة مئوية ، و لانتهت أية فرصة للحياة البشرية على وجه الأرض..
ولو كان دوران الأرض حول محورها العمودي مستقيماً وليس مائلاً كما هو الحال في دوران كوكب المريخ حول نفسه لانعدمت إمكانية الحياة على سطحها..

الشمس والقمر

الشمس والقمر آيتان من آيات الله الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى الدالة على وجوده وقدرته وعظمته وملكه وحكمته

القمر مثلحجراً كبيراً جداً يطير في السماء ولا يسقط وهو مع هذا يضيء؛ انظروا إلى السماء ولاحظوا هذا القمر البديع أليس من خلق الله أليس هو يطير ولا يسقط ويضيء؟ فسبحان الله أولاً وآخراً على هذه الآيات الدالة على أنه الواحد الأحد الذي لا ينازعه في صفاته ولا ملكه أحد من خلقه.

ولعل السبب في هذا الاندهاش الذي يحصل هو ما يعتري البشر من الغفلة والنسيان وإلا فإن كل ما تراه أعيننا وتسمع به آذاننا إنما هو آية دالة على الله سبحانه، وهذا مصداق لقول الله تعالى:(**إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**

لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ * وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [الجاثية: ٣-٥].

ولما كانت الشمس والقمر من مخلوقات الله كان حرياً بكل مؤمن أن يقف وقفة تأمل ودراسة وتدبر لهذه الكواكب التي سخرها لنا الخالق الرحيم، ولنتأملها مع نظرة علمية حديثة تبين لنا ما توصل إليه علماء العصر من آيات تجمع التأمل والتفكر مع روعة العلم: **(وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)**[المجادلة: ١١]،**(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء)** [فاطر: ٢٨]، هذا العلم الذي آتاه الله عباده ومنَّ به عليهم ليكونوا شاهدين على أن هذا القرآن هو من عند الله.

الحساب في اللغة:

جاء في لسان العرب: الحِسابُ والحِسابةُ عَدُّك الشيءَ وقوله تعالى**(واللهُ سَرِيعُ الحِساب)**أَي حِسابُه واقِعٌ لا مَحالَة وكلُّ واقِعٍ فهو سَرِيعٌ .

الحساب والقرآن الكريم:

جاءت ألفاظ الحساب أو الحسبان في القرآن الكريم بألفاظ متعددة منها: لفظ مواقيت، حسبان، حساب، كما في الآيات الآتية: قال تعالى:**(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** [البقرة: ١٨٩].

وقال الله تعالى: **(فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)** [الأنعام: ٩٦].

وقال الله تعالى: **(هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)** [يونس: ٥].

وقال الله تعالى: **(الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ)** [الرحمن: ٥].

أقوال علماء الإسلام:

تقدم ذكر أربع آيات جاء فيها الحساب، فلننظر فيما قاله أهل العلم حول هذه الآيات:

١. قوله تعالى: (**فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**) [الأنعام: ٩٦] وقوله تعالى: (**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ**) [الرحمن: ٥] وقوله تعالى:(**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**) [يونس: ٥]، قال أبو جعفر: وجعل الشمس والقمر يجريان بحساب وعدد لبلوغ أمرهما ونهاية آجالهما ويدوران لمصالح الخلق التي جعلا لها.

وقال القرطبي: أي يجريان بحساب معلوم فأضمر الخبر، قال ابن عباس وقتادة وأبو مالك أي يجريان بحساب في منازل لا يعدوانها ولا يحيدان عنها،

وقيل: يعني أن بهما تحسب الأوقات والآجال والأعمار ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب شيئاً لو كان الدهر كله ليلاً أو نهاراً

وقيل: (بحسبان) تقدير آجالهما أي تجري بآجال كآجال الناس فإذا جاء أجلهما هلكا، نظيره (**كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى**) [الرعد: ٢].

وقال الضحاك بقدر

وقال مجاهد: بحسبان كحسبان الرحى يعني قطبها يدوران في مثل القطب، وقيل: أي يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات وتعلم السنون الحساب.

وقال ابن كثير: أي يجريان بحساب مقنن مقدر لا يتغير ولا يضطرب بل لكل منهما منازل يسلكها في الصيف والشتاء فيترتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولاً وقصراً كما قال: (**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**) [يونس: ٥].

وكما قال:(**لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**) [يس: ٤٠] وقال(**إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ**

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [الأعراف: ٥٤].

وقال الآلوسي: والمراد كل من الشمس والقمر في فلك

٢. قوله تعالى(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [البقرة: ١٨٩].

قال الطبري: جعلها الله مواقيت لصوم المسلمين وإفطارهم ولحجهم ومناسكهم وعدة نسائهم وحل ديونهم.

وقال النسفي: أي معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدة نسائهم وأيام حيضهن ومدة حملهن وغير ذلك، ومعالم للحج يعرف بها وقته.

وقال الآلوسي:مواقيت للناس والحج مطابقاً مبيناً للحكمة الظاهرة اللائقة بشأن التبليغ العام المذكرة لنعمة الله تعالى ومزيد رأفته سبحانه، وهي أن يكون معالم للناس يوقتون بها أمورهم الدنيوية ويعلمون أوقات زروعهم ومتاجرهم ومعالم للعبادات المؤقتة يعرف بها أوقاتها كالصيام والإفطار وخصوصاً الحج، فإن الوقت مراعى فيه أداءاً وقضاءاً، ولو كان الهلال مدوراً كالشمس أو ملازماً حالة واحدة لم يكد يتيسر التوقيت به ولم يذكر صلى الله تعالى عليه وسلم الحكمة الباطنة لذلك مثل كون اختلاف تشكلاته سبباً عادياً أو جعلياً لاختلاف أحوال المواليد العنصرية كما بين في محله لأنه مما لم يطلع عليه كل أحد.

<u>المعنى العلمي للنص الكريم:</u>

من معاني تسخير كل من الشمس والقمر ضبط حركة كل منهما لما فيه صلاح الكون واستقامة الحياة علي الأرض.

ومن معاني أن كلاً منهما يجري إلى أجل مسمى: أن الكون ليس بأزلي ولا بأبدي، بل كانت له في الأصل بداية تحاول العلوم المكتسبة تحديدها، وكل ماله بداية لابد وأن ستكون له في يوم من الأيام نهاية؛ لها من الشواهد الحسية في كل من الشمس والقمر ما يؤكد علي حتميتها.

تسخير الشمس والقمر:

مما امتن الله به على خلقه أن سخر لهم جميع ما في السموات وما في الأرض وهذا ما قاله ربنا في كتابه العزيز: **(وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)** [الجاثية: ١٣] هذا التسخير العجيب والذي يشهد به من له أدنى عقل إنما هو تكريماً لنا نحن بني آدم؛ بل هو تكريم لكل من وجد على هذه الأرض، قال تعالى: **(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)** [الإسراء: ٧٠].

ومن هذه المخلوقات المسخرة لنا الشمس والقمر، قال تعالى:**(اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ)** [الرعد: ٢].

ولندع أهل العلم يبينوا لنا بعض المعلومات حول الشمس والقمر من منظور علمي:

الشمس هي أقرب نجوم السماء إلى الأرض التي تبعد عنها بمسافة مائة وخمسين مليون كيلو متر في المتوسط؛

والشمس نجم عادي، متوسط الحجم على هيئة كرة من الغاز الملتهب يبلغ قطرها١،٤٠٠،٠٠٠ كيلو متر، وحجمها١٤٢ ألف مليون مليون كيلو متر مكعب، ومتوسط كثافتها١،٤ جرام للسنتيمتر المكعب، ولذلك تقدر كتلتها بنحو ألفي تريليون تريليون طن. ويمثل ذلك حوالي٩٩% من كتلة المجموعة الشمسية كلها

والشمس عبارة عن فرن نووي كوني عملاق عمره أكثر من عشرة بلايين من السنين، يرتفع الضغط في داخله إلى ما يساوي أربعمائة مليار ضغط جوي؛ وبذلك تبدأ عملية الاندماج النووي بين نوى ذرات الإيدروجين منتجة نوى ذرات الهيليوم وتنطلق الطاقة التي ترفع درجة حرارة لب الشمس إلى أكثر من ١٥ مليون درجة مطلقة تتناقص بالتدريج إلى حوالي ستة آلاف درجة مطلقة عند سطحها، وإن تجاوزت المليون درجة في ألسنة اللهب المندفعة من داخلها.

ونظراً للجاذبية الرهيبة التي تحدثها كتلة الشمس الهائلة على مكوناتها فإنها تتجاذب كلها في اتجاه المركز تجاذباً تنتج عنه ضغوط هائلة ترفع درجة حرارة لب الشمس إلى المستوى الذي يسمح ببدء واستمرار عملية الاندماج النووي فيه.

ونظرا للتوازن الدقيق بين جاذبية الشمس لمكوناتها في اتجاه مركزها، ودفع تلك المكونات بعيداً عن المركز بواسطة القوى الناتجة عن تمدد الغازات المكونة لها بفعل الحرارة الفائقة في مركزها، فقد بقيت الشمس مستمرة في الوجود تحت هذا التوازن العجيب على مدى عشرة بلايين من السنين (على أقل تقدير) وإلى أن يرث الله -تعالى- الكون ومن فيه؛ ولولا هذا التوازن الدقيق لانفجرت الشمس كقنبلة نووية عملاقة، أو لانهارت على ذاتها تحت ضغط جاذبيتها خاصة أنها مجرد كرة ضخمة من الغازات.

وعلى ذلك فإن تقدير حجم وكتلة الشمس بهذه الدقة البالغة هو الذي مكنها من تحقيق هذا التوازن الدقيق بين قوى الدفع إلى الخارج، وقوى التجاذب إلى الداخل، ومن البقاء في حالة غازية أو شبه غازية، ملتهبة، متوهجة بذاتها، ولو تغير حجم وكتلة الشمس ولو قليلاً لتغير سلوك مادتها تماما، أو انفجرت أو انهارت على ذاتها، وذلك لأن السبب في اندلاع عملية الاندماج النووي في قلب النجم وانطلاق الطاقة منه هو تكونه من كتلة وحجم معينين يحافظان على الاتزان الدقيق بين التمدد والتجاذب، وهل هناك من التسخير صورة أبلغ من ذلك؟.

معلومات عن القمر

كلمة "قمر" تستخدم للإشارة إلى أي جرم سماوي أو صناعي، يدور بمدار معين حول الأرض، أو أيٍ من الكواكب الأخرى، فكوكب زحل مثلاً له ثمانية عشر قمراً (تابعا)وهناك تسمية أُخرى للقمر ويسمّى بها أحياناً وهي "لونا". عرف القمر باللغات السامية القديمة ومنها العربية بإسم سنين ومنه اشتق اسم شبه جزيرة سيناء وجبل صنين في لبنان.
جانب القمر الذي لا يُرى من الأرض يسمّى "الجانب البعيد"، أو "الجانب المظلم"، وسمّي بهذا الإسم لعدم قدرة بني البشر من النظر إليه من الأرض
تسخير القمر:

والقمر هذا الذي نراه في كبد السماء هو الآخر مسخر لنا كما بينا ذلك، ولكن لننظر تسخيره لنا من وجهة نظر علماء الفلك:
يأخذ القمر نوره من أشعة الشمس، ثم يعود فيعكس على الكرة الأرضية، بحيث ترى الأرض دائماً نفس الوجه من القمر.
ويبعد القمر عن الأرض ٣٥٦٤١٠كم، ويصل بعده في أدنى اقتراب من الأرض ٣٥٦٤٠٠كم، وسرعته على مداره ٣٦٨٠ كم في الساعة، وحرارته القصوى ١١٧ مئوية، وحرارته الدنيا ١٦٢.٧ تحت الصفر.
وأعلى جبل فيه هو قمة ديورفيف في القطب الجنوبي للقمر، ويبلغ ارتفاعه ١٠.٥كم بالنسبة إلى سطحه.
والقمر تابع صغير للأرض، وهو على هيئة شبه كرة من الصخر، يقدر قطرها بحوالي ٣٤٧٤ كيلو مترا، ومساحة سطحها بحوالي ٣٨ مليون كيلو متر مربع، وحجمها بحوالي ٢٢ مليون مليون كيلو متر مكعب، ومتوسط كثافتها بحوالي ٣،٣٤ جرام للسنتيمتر المكعب، وكتلتها بحوالي ٧٣٥ مليون مليون طن، ويدور القمر حول الأرض في مدار شبه دائري يقدر طوله بحوالي ٢،٤ مليون كيلو متر بسرعة متوسطة تقدر بحوالي كيلو متر واحد في الثانية ليتم دورته الاقترانية حول الأرض في حوالي ٢٩،٥ يوم من أيام الأرض، هي الشهر القمري الاقتراني للأرض.
إن كلاً من منازل القمر، وأطواره المتتالية والتي يحددها مساحة وشكل الجزء المرئي من سطح القمر المنير وهو يتزايد سعة من الهلال الوليد حتى يصل إلى البدر الكامل، ثم يبدأ في التناقص حتى يصل إلى الهلال الأخير ومن بعده يدخل في طور المحاق لمدة يوم أو يومين إلى ميلاد الهلال الجديد يمكن تقسيم الشهر القمري إلى أسابيع متتالية وتقسيم كل أسبوع إلى أيام متتابعة بدقة فائقة.
وسطح القمر معتم تماما، وعلى الرغم من ذلك فإن الله تعالى قد أعطاه القدرة على عكس ما قيمته ٧،٣% من أشعة الشمس الساقطة عليه، وبذلك ينير سماء الأرض بمجرد غياب الشمس، وذلك بمراحله المتتالية من الهلال الوليد، إلى ميلاد الهلال الجديد في أول الشهر التالي، وعلى ذلك فإن القمر في دورته الشهرية حول الأرض قد سخره ربنا تبارك وتعالى مصدراً للنور في ليل الأرض.
كما أن له دوراً في عمليتي المد والجزر وهما قوتان من قوى الأرض يعملان على تفتيت صخور الشواطئ، وتكوين أنواع عديدة من الرسوبيات والصخور الرسوبية على طول تلك الشواطئ، كما تعملان على تركيز العديد من الثروات المعدنية في رمالها.

هذا قليل من كثير من صور التسخير التي أعدتها الإرادة الإلهية بحكمة بالغة لكي يكون كل من الشمس والقمر لبنات صالحة في بناء الكون وفي انتظام حركة الحياة على الأرض وآيات تذكرنا بقدرة الخالق وعظمته
منازل القمر:
من الجدير بالذكر أن نبين دور القمر في تكوين ما يسمى بالمنازل، والتي بسببها نحصل على تلك الظاهرة العجيبة لو تدبرناها، ألا وهي ظاهرة تحول القمر في السماء من هلال إلى بدر وبالعكس، ولعل أقل ما يمكن أن نستنتجه أو نلاحظه من هذه الظاهرة هو ذلك التنسيق العجيب والروعة الفائقة في تشكل تلك اللوحة المبهرة في جو السماء، إضافة للدور الذي تلعبه تلك الظاهرة في علم الفلك والحساب، وربما يكتشف العلماء في يوم من الأيام دور تلك المناظر الخلابة -لمن تمعن فيها- في علاج الأمراض النفسية لكثير من المرضى بمجرد التأمل مع شيء من الخلوة والتفكير بعيداً عن صخب الحياة وضوضاء الناس.

لنعود إلى القمر ومنازله يقول الله تبارك وتعالى:**(هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)** [يونس: ٥].

يتحرك القمر باعتباره تابعاً للأرض، حول الأرض فيتم دورته حولها في مدة تقارب ٢٩.٥ يوماً، وهو ما يسمى بالشهر القمري أو العربي، لتفريقه عن الشهر الشمسي أو الغربي، الذي مدته حوالي ٣٠.٥ يوماً، وهو مشتق من حركة الأرض حول الشمس، التي تتم في اثني عشر شهراً شمسياً، وتقدر بحوالي ٣٦٥ يوماً، وهي السنة الشمسية، أما السنة القمرية التي تعادل اثني عشر شهراً قمرياً فتقدر بحوالي ٣٥٤ يوماً.

ولو كانت الأرض لا تدور حول نفسها، لرأينا القمر يسير ببطء زائد، حتى أنه يدور دورة واحدة فقط حول الأرض في مدة ٢٩.٥يوماً، ولكن حركة الأرض حول نفسها تجعلنا لا نلحظ مقدار حركة القمر الصحيحة إلا إذا راقبناه يومياً في نفس الوقت، مثلاً عند الغروب، فبمقدار ما يكون قد علا على الأفق يكون مقدار مسيره الحقيقي. وبما أنه يتم دورته الكاملة في حوالي ٣٠يوماً، وهي تعادل على الأرض ٢٤ساعة، إذن يتأخر غروب القمر كل يوم عن اليوم السابق بمقدار ٣٠/ ٢٤من الساعة أي ٥/ ٤ الساعة، أي نحو ٤٨دقيقة، أي بمعدل ثلاثة أرباع الساعة كل يوم تقريباً، وهذا الارتفاع التدريجي للقمر نحو كبد السماء باتجاه الشرق يوماً بعد يوم،

يسمح له بإظهار نصفه المضيء بالتدريج، الذي يستمد نوره من الشمس بالنسبة للأرض، والأرض بينهما تقريباً، وظهر بدراً كاملاً يطلع من الشرق عند المغرب.

ثم بعد نصف الشهر ينتابه النقصان من جديد حتى يعود إلى المحاق، حيث يقع بين الشمس والأرض، ويكون وجهه المضيء تجاه الشمس، ووجهه المعتم تجاه الأرض، وهكذا تحصل للقمر هذه المنازل والتي بدورها تظهر لنا على شكل نور يتقلب بمنظر جميل يسمى الهلال، يستفيد منه الناس في الحساب والمواقيت.

<u>وجه الإعجاز:</u>

رأينا كيف أن الشمس مصدر النور والدفء لهذه الأرض، ولولا فضل الله على عباده في خلقها وتسخيرها لعاش الناس في ظلام دامس، ولتجمد كلّ شيء في هذه الأرض، ولاستحالت الحياة على سطحها، فلو ابتعدت الشمس عن الأرض لتجمد كلّ شيء عليها، ولو اقتربت منها لتبخّرت البحار، واستحال عيش الأحياء عليها ولكن الله جعلها تجري في نظام عجيب كفل به عدم حصول أي تغيير يؤدي إلى خلل في مهمتها.

كما رأينا آية القمر وعلاقته بنظام الأرض، والنور وحركة المجموعة الشمسية، ولو اقترب القمر أكثر ممّا هو عليه الآن؛ لاندفعت مياه البحار (المَدُّ) متأثرة بجاذبية القمر، بقوة هائلة تزيح الجبال، وتغرق الأرض. لذا يوضح القرآن أن حركة الشمس والقمر؛ وقربهما وبعدهما من الأرض، إنّما يجريان وفق حساب علمي دقيق، وبعلم الخالق العظيم، لا تستطيع الصدف ولا الطبيعة الصماء ولا مجادلات الملحدين تقديرها بهذا الشكل..

والمتأمل في نظام الشمس والقمر والأرض، لا يلبث أن تأخذه الدهشة والذهول من تلك الأجرام المتحركة في تقدير عجيب وتوافق غريب، وما ينشأ عن ذلك من ظواهر الليل والنهار، والشروق والغروب، وتطورات الهلال من محاق إلى هلال إلى بدر، ثم ظواهر الخسوف والكسوف، فمن هذا الذي خلق هذا الكون كله وقرر أنظمته وقدره تقديراً،؟! سيقولون الله، فقل أفلا تتقون؟.

فكل ما خلق الله سبحانه من شمس وقمر، وزرع وشجر، وسماء وأرض وبحر، بعيدة عن العجز والنقصان، والخلل والطغيان.

يقول سبحانه: **(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)** [يس: ٣٨-٤٠].

وقد أنصف الأعرابي الأول ووعى الحقيقة حين قال: الأثر يدل على المسير، والبعرة تدل على البعير، وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحر بأمواج ألا يدل على اللطيف الخبير؟. ولعل الوقت قد حان لكل بعيد عن القريب أن يقف لحظة في خلوة، ويُعمِل عقله، لأن الغفلة لن تدوم، وها أنت قد علمت تسخير الكون لأجلك فكن مع السائرين، ولا تركب الهوى فتردى، وعد إلى مولاك الذي ناداك، وقل إني على عهدك ووعدك ما استطعت.

"حقائق عن الكواكب "

ـ عطارد : يستغرق ٨٨يوماً للدوران حول الشمس و٥٩يوماً للدوران حول نفسه ويبعد عن الشمس ٥٨مليون كيلومتراً ويبلغ قطره ٤٨٤٠ كيلومتراً وليست له أقمار .

ـ الزهرة : يستغرق ٢٢٥يوماً للدوران حول الشمس و ٢٤٣يوماً للدوران حول نفسه ويبعد عن الشمس ١٠٨مليون كيلومتراً ويبلغ قطره ١٢٣٠٠ كيلومتراً وليست له أقمار .

ـ الأرض : تستغرق ٣٦٥,٢٥يوماً للدوران حول الشمس و ٢٣,٥٦ ساعة للدوران حول نفسها وتبعد عن الشمس ٩٣مليون ميلاً ويبلغ قطرها ١٢٧٥٦كيلومتراً ولها قمر واحد .

ـ المريخ : يستغرق ٦٨٧يوماً للدوران حول الشمس و ٢٤,٣٧ ساعة للدوران حول نفسه ويبعد عن الشمس ٢٢٨مليون كيلومتراً ويبلغ قطره ٦٧٩٠كيلومتراً وله قمران .

ـ المشترى : يستغرق ١١,٦٨ سنة للدوران حول الشمس و٩,٥٠ ساعة للدوران حول نفسه ويبعد عن الشمس ٧٧٨ مليون كيلومتراً ويبلغ قطره ١٤٢٨٠٠كيلومتراً وله ١٢ قمراً .

ـ زحل : يستغرق ٢٩,٤٦ سنة للدوران حول الشمس و١٠,١٤ ساعة للدوران حول نفسه ويبعد عن الشمس ١٤٢٧مليون كيلومتراً ويبلغ قطره ١١٩٣٠٠كيلومتراً وله عشرة أقمار .

ـ أورانوس : يستغرق ٨٤ سنة للدوران حول الشمس و ١٠,٤٨ ساعة للدوران حول نفسه ويبعد عن الشمس ٢٨٨٠مليون كيلومتراً ويبلغ قطره ٤٧١٠٠كيلومتراً وله خمسة أقمار .

ـ نبتون : يستغرق ١٦٥ سنة للدوران حول الشمس و ١٥,٤٨ ساعة للدوران حول نفسه ويبعد عن الشمس ٤٤٩٧مليون كيلومتراً ويبلغ قطره ٤٨٦٠٠كيلومتراً وله قمران .

ـ بلوتو : يستغرق ٢٤٨ سنة للدوران حول الشمس و ٦,٩ ساعة للدوران حول نفسه ويبعد عن الشمس ٥٩٠٧مليون كيلومتراً ويبلغ قطره ٥٩٠٠ كيلومتراً وله قمر واحد .

"حقائق عن الشمس "

ـ عمر الشمس 4600 : مليون سنة تقريباً .
ـ قطر الشمس 1,392,000 : كيلومتراً .
ـ حرارة باطن الشمس 14 : مليون درجة مئوية .
ـ حرارة سطح الشمس 6000 : درجة مئوية .

"حقائق عن الأرض "

ـ عمر الأرض 4600 : مليون سنة تقريباً .
ـ مساحة سطح الأرض 510 :مليون كيلومتراً مربعاً .
ـ حجم الأرض 260 :مليون ميلاً مكعباً .
ـ قطر الأرض عند خط الاستواء 12756 :كيلومتراً .
ـ قطر الأرض القطبي (محورها 12714 : (كيلومتراً .
ـ محيط الأرض الاستوائي 40076 : كيلومتراً .
ـ محيط الأرض القطبي 40008 : كيلومتراً .
ـ دورة الأرض حول نفسها 23,56 : ساعة .
ـ دورة الأرض الشمس 365,25 : يوماً .
ـ بعد الأرض عن الشمس 93 : مليون ميلاً .

ـ بعد الأرض عن القمر 384,400 : كيلومتراً .
**المسافة التي تقطعها الأرض خلال دورتها حول الشمس : ٥٨٥ مليون ميلاً .

"حقائق عن القمر."

ـ عمر القمر 4500 : مليون سنة تقريباً .
ـ قطر القمر 3475 : كيلومتر .
ـ دورة القمر حول نفسه 29,13 : يوماً .
ـ دورة القمر حول الأرض 29,13 : يوماً .
ـ درجة حرارة القمر في النهار 100 : درجة مئوية .
ـ درجة حرارة القمر في الليل 150 : درجة مئوية تحت الصفر .

الخسوف والكسوف

يخسف القمر إذا وقعت الأرض بين أشعّة الشمس وبين جزء من القمر أو كلّ القمر، فظلّ الأرض حين تمرّ في مجراها حول الشمس يقع على القمر ويرى أهل الأرض وكأن القمر قد أُقتطِع من نوره شيء. وننوه هنا أن ليس للقمر نور طبيعي وما النور السّاطع من القمر إلا إنعكاس أشعّة الشمس من على القمر إلى الأرض، فيراه من على الأرض وكأنه ذو نور ساطع. ولا تحدث ظاهرة خسوف القمر إلا في حالة القمر المكتمل (بدر).
أمّا في ما يخصّ الكسوف، فيحصل الكسوف للشمس حين يحجب القمر أشعّة الشمس عن الأرض، وتحدث ظاهرة الكسوف في بداية تكوين القمر هلال.

روايه

أَنَّهُ يُرْوَى أَنَّ وَجْهَ الْقَمَرِ إِلَى السَّمَاءِ، وَإِذَا كَانَ إِلَى دَاخِلِهَا فهو متصل بالسماوات، وَمَعْنَى نُوراً أَيْ لِأَهْلِ الْأَرْض
وَقَالَ عَطَاءٌ: نُورًا لِأَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْض.
وَقَالَ ابن عباس: وجهه يضئ لأهل الأرض وظهره يضئ لِأَهْلِ السَّمَاءِ.
(وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً) يَعْنِي مِصْبَاحًا لِأَهْلِ الْأَرْض لِيَتَوَصَّلُوا إِلَى التَّصَرُّفِ لِمَعَايِشِهِمْ
كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ حال كونها طِباقاً اى متطابقا بعضها فوق بعض مع ان القمر فى السماء الدنيا لان كل واحدة من السموات شفافة لا يحجب ما وراءها فيرى الكل كأنها سماه واحدة ومن ضرورة ذلك أن يكون ما فى واحدة منها كأنه فى الكل

الظل والظلال

مقدمة

الظلال هى أحدى النعم التى امتن بها الله سبحانه وتعالى على عباده، والظل في اللغة نقيض الضح (بالكسر) أو هو الفيئ، أو هو بالغداة والفيئ بالعشى، ومكان ظليل ذو ظل، والظلة شيء كالصفة يستتر به من الحر والبرد، والظلال والمظلة (بالكسر والفتح) الكبير من الأخبية، والظليلة مستنقع الماء في أسفل مسيل الوادي والروضة الكثيرة الحرجات، والظلل الماء تحت الشجر لا تصيبه الشمس

وفي المعجم الوجيزالظل هو ضوء الشمس إذا استترت عنك بحاجز، والظليل ذو الظل ويقال ظل ظليل أي دائم، وعلى ذلك فان الظل بمعناه العام يشمل الخيال الناتج عن الأشياء في اتجاه سقوط أشعة الشمس.

ويهدف هذا البحث الى اظهار أحد جوانب الاعجاز القرآنى فى حديثه عن الظل والظلال، من خلال محورين أساسيين: الأول: توضيح الدلالات العلمية فى آيات الظل والظلال بالقرآن الكريم.

ابراز وجه الاعجاز القرآنى فى توضيحه أن الظل المشاهد فى :الثانى الطبيعة ليس كله واحدا، واعطائه نماذج محددة ومختلفة لأنواع الظلال وهو مايعد اعجازا وسبقا قرآنيا منذ أكثر من أربعة عشر قرنا.

كيفية تكون الظلال وأسلوب حركتها في الطبيعة

إن تكوّن الظل هو أحد نتائج انتشار الضوء في خطوط مستقيمة، ويطلق تعبير الظل على احتجاز النور عن منطقة ما بوجود حاجز معتم يعترض مسار موجات هذا النور (الضوء المرئي) القادم من أحد مصادر الضوء في اتجاه واحد

وإذا تعرض أي جسم للإشعاع الشمسي (الضوء الطبيعي) فان الجانب المعرض مباشرة للشمس يكون مضيئا، أما الجانب الآخر من الجسم الذي ليس في مواجهتها فيكون واقعا في الظل، فعلى سبيل المثال لو وضع

أي مجسم هندسي معرضا للشمس فإن النصف المعرض للشمس يكون مضيئا أما النصف الآخر فيكون في الظل ويطلق عليه الظل الحقيقي أي الذي يلقيه الجسم بنفسه على نفسه، ثم نجد أن هذا الجانب المظلل من المجسم الهندسي يقوم بإلقاء ظل على الأرض أو أي مستوى أو جسم آخر وهو ما يعرف باسم الظل الساقط أو الظل الظاهرى ،

أما بالنسبة لأسلوب حركة الظلال بصورة عامة، فيمكن أن يتضح بمراقبة ظل جسم أو شاخص معرض للإشعاع الشمسي، حيث نرى أن الشمس عند طلوعها صباحا من جهة الشرق وحتى منتصف النهار (الزوال) فان ظلال الأجسام تقع جهة الغرب، فإذا اتجهت الشمس من وسط الفلك إلى الجانب الغربي (جهة الغرب) وقعت ظلال الأجسام في الجانب الشرقي ، وهذه هى حركة الظل بالانتقال من الغرب الى الشرق. ويلاحظ أيضا أن أطوال الظلال تكون أكبر مايمكن عند شروق الشمس ثم تبدأ في التناقص كلما ارتفعت الشمس في السماء، حتى تصل إلى وسط الفلك (وقت الظهيرة تماما) وفى هذه الحالة نجد أن ظلال الأشياء على اختلافها تكون أقل مايمكن، ثم بعد انتقال الشمس إلى جهة الغرب تبدأ ظلال الأشياء في الازدياد مرة أخرى إلى أن تصل إلى أقصى طول لها وقت غروب الشمس، ارجع إلى شكل ، وهذه هى حركة الظل بالامتداد والانقباض.

وتوجد علاقة وطيدة بين زوايا ارتفاع الشمس في السماء وطول الظلال الملقاة على الأرض أو المستويات المختلفة، فكلما كانت زاوية ارتفاع الشمس قليلة (منخفضة) فان أطوال الظلال الملقاة تكون كبيرة وهو مايحدث عند طلوع الشمس أو عند غروبها، وكلما كانت زاوية ارتفاع الشمس كبيرة (عالية) كلما قل طول الظلال الملقاة على الأرض، حيث يكون أقل طول للظلال وقت الظهيرة تماما (الزوال)، أي أن العلاقة بين الشمس والظلال وطيدة ومتلازمة فبمقدار مايزداد أحدهما ينقص الآخر، وكما أن المهتدى يهتدي بالهادي والدليل يلازمه فكذا الظلال كأنها مهتدية وملازمة للأضواء فلهذا جعل الله سبحانه وتعالى الشمس دليلا عليها.

تحدث القرآن الكريم عن "الظل والظلال" فى العديد من الآيات القرآنية فى سور مختلفة، وسنحاول فى هذا المحور من البحث أن نوضح الدلالات العلمية للعديد من الآيات القرآنية التى تحدثت عن الظل والظلال، وفيما يلى حصر لأهم هذه الآيات مع تصنيفها من الناحية الموضوعية، وذكر تفسير مختصر لكل آية:

أ- التنبيه الى الفرق بين الظل والحرور

يقول سبحانه وتعالى" :وما يستوي الأعمى ولا البصير، ولا الظلمات والنور، ولا الظل ولا الحرور" (فاطر: من ١٩ إلى ٢١)

إن الآية الكريمة تؤكد وتنبه على حقيقة يلمسها جميع البشر حيث يشعرون بالفرق الكبير بين الأماكن المظللة والأماكن المعرضة مباشرة للشمس وما ينتج عن ذلك من حر شديد.

ب- وصف أسلوب حركة الظلال:

* ذكر حركتي الظل اجمالا: يقول سبحانه وتعالى" :ولله يسجد من فى السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال" (الرعد:١٥)، يقول الإمام القرطبى في تفسير هذه الآية الكريمة" :ظلال الخلق ساجدة لله تعالى بالغدو والآصال لأنها تبين في هذين الوقتين، وتميل من ناحية إلى ناحية، وذلك تصريف الله إياها على مايشاء، وهو كقوله تعالى" :أو لم يروا إلى ماخلق الله من شيئ يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون" (النحل:٤٨)،والسجود بمعنى الميل فسجود الظلال ميلها من جانب إلى جانب ."

فهذه الآية الكريمة قد نبهت الى حركتى الظل اجمالا، حيث ركزت على وقتى الغدو والآصال لأنها تبين فى هذين الوقتين، فالحركة الأولى للظل هى حركة الانتقال من جهة الغرب الى جهة الشرق، والحركة الثانية هى حركة الظل بالامتداد والانقباض، وهاتان الحركتان متلازمتان ومتزامنتان فى نفس الوقت.

* ذكر الحركة الأولى للظل :يقول سبحانه وتعالى" :أولم يروا الى ماخلق الله من شيئ يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون"(النحل: ٤٨)، حيث يخبر الله سبحانه وتعالى أن كل ماله ظل

يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال أي بكرة وعشيا، فانه ساجد بظله لله تعالى، قال مجاهد: إذا زالت الشمس سجد كل شئ لله عز وجل، كما أورد الإمام الشوكانى في تفسير الآية الكريمة مايلى(.. تتفيؤا ظلاله) قال أبو عبيد: أي يميل من جانب إلى جانب، ويكون أول النهار على حال ويتقلص ثم يعود في آخر النهار على حالة أخرى..". لقد تم تفصيل الحركة الأولى للظل فى هذه الآية الكريمة، وهى حركة الانتقال من جهة الى أخرى أى من الغرب الى الشرق، كما يشاهد فى الطبيعة.

*ذكر الحركة الثانية للظل :يقول سبحانه وتعالى" :ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا" (الفرقان: ٤٥، ٤٦)، لقد ورد في تفسير "التحرير والتنوير" مايلى..":وهذا الامتداد يكثر على حسب مقابلة الأشعة (يقصد أشعة الشمس) للحائل (الجسم) فكلما اتجهت الأشعة إلى الجسم من أخفض جهة كان الظل أوسع، وإذا اتجهت إليه مرتفعة عنه تقلص رويدا رويدا إلى أن تصير الأشعة مسامتة أعلى الجسم ساقطة عليه فيزول ظله تماما أو يكاد يزول، وهذا معنى قوله تعالى: "ولو شاء لجعله ساكنا"، أي غير متزايد لأنه لما كان الظل يشبه صورة التحرك أطلق على انتفاء الامتداد اسم السكون، بأن يلازم مقدارا واحدا لاينقص ولايزيد، أى لوشاء الله لجعل الأرض ثابتة في سمت واحد تجاه أشعة الشمس، فلا يختلف مقدار ظل الأجسام التي على الأرض وتلزم ظلالها حالة واحدة فتنعدم فوائد عظيمة". لقد تم تفصيل الحركة الثانية للظل فى هاتين الآيتين الكريمتين، وهى حركة الظل بالامتداد والانقباض، مع سبق القرآن الكريم عند ذكره امكانية حدوث مايمكن أن نطلق عليه "الظل الساكن"فى قوله تعالى: "ولو شاء لجعله ساكنا."

ج- الظل ليس كله واحدا :يقول الله سبحانه وتعالى" :والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون" (النحل:٨١)، ورد فى التفسير الميسر مايلى" :والله جعل لكم ماتستظلون به من الأشجار، وجعل لكم فى الجبال من المغارات والكهوف أماكن تلجأون اليها عند الحاجة ."...

ان ذكر كلمة "ظلالا" بصيغة الجمع وليس "ظلا" بالافراد، فيه تنبيه الى أن الظل الذى نراه بأعيننا ليس كله واحدا فى التأثير، وهذا من اعجاز القرآن الكريم، وهو ماسوف ندلل عليه عند بيان أوجه الاعجاز العلمى فى المحور الرابع من البحث.

د- ذكر نماذج محددة لأنواع الظلال : من اعجاز وسبق القرآن الكريم أن يذكر نماذج واضحة ومحددة لأنواع الظل، وهو ماسوف نوضحه فيما يلى:

١-(الظل النافع)ظل الرحمة

أورد القرآن الكريم العديد من نماذج الظل النافع (ظل الرحمة) نفصلها فيمايلى:

* ظل الغمام (السحاب الأبيض):يقول سبحانه وتعالى" :وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى، كلوا من طيبات مارزقناكم وماظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون" (الأعراف:١٦٠)، أورد الامام القرطبى فى تفسيره مايلى .."أي جعلناه عليكم كالظُّلّة والغمام جمع غمامة، كسحابة وسحاب؛ قاله الأخفش سعيد. قال الفراء: ويجوز غمائم وهي السحاب؛ لأنها تغمّ السماء أي تسترها؛ وكل مغطّى فهو مغموم؛ ومنه المغموم على عقله. وغُمّ الهلال إذا غطّاه الغَيْم. والغين مثل الغيم؛ ومنه قوله عليه السلام: "إنه ليُغان على قلبي" قال صاحب العين: غِين عليه: غطّى عليه، والغَيْن: شجر ملتف، وقال السُّدّي: الغمام السحاب الأبيض. وفعل هذا بهم ليقيهم حرّ الشمس نهاراً، وينجلي في آخره ليستضيئوا بالقمر ليلاً، وذكر المفسرون أن هذا جرى في التّيه بين مصر والشام لما ٱمتنعوا من دخول مدينة الجبّارين وقتالهم."..

* الظل الظليل: يقول سبحانه وتعالى: "والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا، لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا" (النساء: ٥٧)، ولقد أورد الامام ابن كثير فى تفسيره مايلى: "..وقوله {وَنُدْخِلُهُمْ ظِـلاّ ظَلِيلاً} أي: ظلاً عميقاً كثيراً غزيراً طيباً أنيقاً، قال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمن، وحدثنا ابن المثنى، حدثنا ابن جعفر، قالا: حدثنا شعبة، قال: سمعت أبا

الضحاك يحدث عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها: شجرة الخلد".

* ذكرن الظل الممدود مقترنا بالماء المسكوب: يقول سبحانه وتعالى" :وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب" (الواقعة:٢٧-٣١)، ورد فى التفسير الميسر" :وأصحاب اليمين ماأعظم مكانتهم وجزاءهم، هم فى سدر لاشوك فيه وموز متراكب بعضه على بعض، وظل دائم لايزول وماء جار لاينقطع."..

ان الآيات الكريمة تعطينا نموذجا هاما للظل النافع وهو الظل الدائم، مقترنا بالماء الجار المسكوب والذى يساهم مع الظل فى تخفيف درجة الحرارة.

٢- (الظل الضار)ظل العذاب :أورد القرآن الكريم العديد من نماذج الظل الضار (ظل العذابة)، نفصلها فيمايلى:

* ظل الدخان الأسود :يقول سبحانه وتعالى" :وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ، لاَّ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ" (الواقعة:٤٣، ٤٤)، ورد فى كتاب "جامع البيان في تفسير القران" للامام الطبري..." :فعن ابن عباس ومنصور عن مجاهد "وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ"، قالا: دخان، وحدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة } وَظِلٍّ مِنْ يَحْمومٍ { كنا نحدَّث أنها ظلّ الدخان، وقال: قال ابن زيد، في قوله } :وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ { قال: ظلّ الدخان دخان جهَنم، وقوله:"لا با ردٍ وَلا كَرِيمٍ"، يقول تعالى ذكره: ليس ذلك الظلّ ببارد، كبرد ظلال سائر الأشياء، ولكنه حارّ، لأنه دخان من سعير جهنم، وليس بكريم لأنهم مؤلم من استظلّ به،... وعن قتادة، قوله } : لا باردٍ وَلا كَرِيمٍ { قال: لابارد المنزل، ولا كريم المنظر."

* ظل دخان ذى ثلاث شعب :كما يقول سبحانه وتعالى" :انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب، لاظليل ولا يغنى من اللهب" (المرسلات:٣٠، ٣١(، أورد الامام الطبرى فى تفسيره مايلى" :يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكّذبين بهذه النّعم والحجج التي احتجّ بها عليهم يوم القيامة } :انْطَلِقُوا إلى ما كُنْتُمْ بـِهِ { في الدنيا } تُكَذّبُونَ { من عذاب الله لأهل الكفر به } انْطَلِقُوا إلى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ { يعني تعالى ذكره: إلى ظلّ دخان ذي ثلاث

شعب } لاظَلِيلٍ{ ، وذلك أنه يرتفع من وقودها الدخان فيما ُذكر، فإذا تصاعد تفرّق شعباً ثلاثاً، فذلك قوله:(ذِي َثلاثِ شُعَبٍ.")

* عذاب يوم الظلة (سحابة عذاب) : يقول سبحانه وتعالى" : فَكَّذبُوهُ **فَأَ خَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" (الشعراء، ١٨٩)، فمن** أمثلة "ظل العذاب" فى الدنيا ماأخبر به القرآن الكريم عن عذاب قوم شعيب، فى قوله تعالى" : فَكَّذبُوهُ فَأَ خَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ"، فلقد جاء فى تفسير روح المعانى للألوسى مايلى }" : فَكَّذبُوهُ{ فاستمروا على تكذيبه وكذبوه تكذيباً بعد تكذيب (فَأَ خَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ) وذلك على ما أخرج عبد بن حميد. وابن جرير.

عن ابن عباس أن الله تعالى بعث عليهم حراً شديداً فأخذ بأنفاسهم فدخلوا أجواف البيوت فدخل عليهم فخرجوا منها هرباً إلى البرية فبعث الله تعالى عليهم سحابة فاظلتهم من الشمس وهي الظلة فوجدوا لها بردا ولذة فنادى بعضهم بعضاً حتى إذا اجتمعوا تحتها أسقطها الله عز وجل عليهم ناراً فأكلتهم جميعاً، وجاء في كثير من الروايات أن الله عز وجل سلط عليهم الحر سبعة أيام ولياليهن ثم كان ما كان من الخروج إلى البرية وما بعده وكان ذلك على نحومااقترحوه لاسيما على القول بأنهم عنوا بالسماء السحاب، وفي إضافة العذاب إلى يوم الظلة دون نفسها إيذان بأن لهم عذاباً آخر غير عذاب الظلة وفي ترك بيانه تعظيم لأمره".

٤ - بيان أوجه الاعجاز العلمي في آيات "الظل والظلال ":

تحتوى الآيات القرآنية التى تتحدث عن الظل والظلال على العديد من الملامح الاعجازية، وهو ما سوف نقوم بتفصيله فيما يلى:

شمولية ودقة الوصف القرآنى للظل والظلال

من جوانب اعجاز القرآن الكريم أن يتحدث عن الظل والظلال بوصفها أحد الظواهر الطبيعية، التى ترتبط أساسا بحركة الشمس الظاهرية، بأسلوب يتسم بالشمولية وبدقة الوصف الذى لايتنافى مع الحقائق العلمية التى تم التأكد منها فى العصر الحديث، حيث أشارت الآيات القرآنية الى مايلى:

أ- التنبيه الى الفرق بين الظل والحرور.

ب- الوصف الدقيق لأسلوب حركة الظلال اجمالا وتفصيلا.

.ج- التنبيه الى أن الظل ليس كله واحدا
د- ذكر نماذج محددة لكل من نوعى الظل النافع (ظل الرحمة) والظل الضار (ظل العذاب)

اثبات أن الظل ليس كله واحدا

أوضح القرآن أن الظلال هي إحدى نعم الله سبحانه وتعالى للبشر، حيث يقول سبحانه وتعالى" :والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون" (النحل:٨١)، ان ورود كلمة "ظلالا" بصيغة الجمع، ينبه الى أن الظل أنواع، وأن الظل ليس كله واحدا حيث تختلف درجة الحرارة حسب العنصر الذى يقوم بالقاء الظل .

وإذا كان بعض المفسرين (جزاهم الله خيرا) قد أوضحوا أن المقصود بالظلال في الآية الكريمة هى ظلال الأشجار على وجه التحديد، فلقد أوضحت إحدى التجارب في اليابان أثر استخدام النباتات في خفض درجة حرارة الحوائط الخارجية، حيث تم استخدام أحد أنواع النباتات اليابانية في تغطية حائط غربي معرض للشمس فوجد أن درجة حرارة الحائط قبل تغطيته بالنباتات أعلى بحوالي ١٠ درجات مئوية عن درجة حرارة الهواء المحيط، أما بعد التغطية فوجد أن درجة حرارة الحائط تقل بحوالي ١ درجة مئوية عن درجة حرارة الجو المحيط، كما أوضحت دراسة أخرى أجريت لمعرفة تأثير استخدام النباتات الطبيعية في تظليل المباني مدى التباين في تقليل درجات الحرارة نتيجة اختلاف أسلوب استخدام هذه النباتات في عملية التظليل، فعلى سبيل المثال فان متوسط الانخفاض في درجات الحرارة نتيجة التظليل باستخدام الأشجار الكبيرة الحجم (في وجود إشعاع شمسي مباشر) يقدر بحوالي ١٤.٥٠ درجة فهرنهيت، أما في حالة استخدام شجيرات متوسطة الحجم فيصل الانخفاض إلى ٢٤.٣٠ درجة فهرنهيت

عناصر التظليل المستخدمة متوسط الانخفاض في درجة الحرارة (فهرنهيت)، في عدم وجود إشعاع شمسي مباشر. متوسط الانخفاض في درجة الحرارة (فهرنهيت)، في وجود إشعاع شمسي مباشر.

كما أوضحت دراسة أخرى أن الانخفاض في درجة حرارة الحوائط المظللة باستخدام خليط من الأشجار والشجيرات يصل لحوالي من ١٣.٥٠ إلى ١٥.٥٠ درجة مئوية، أما في حالة استخدام النباتات المتسلقة فان درجة حرارة الحائط تنخفض حوالي من ١٠ إلى ١٢ درجة مئوية

إن الدراسات العديدة السابقة توضح أمرا هاما وهو اختلاف النقص في درجات حرارة المباني أو الحوائط المظللة تبعا للعنصر المستخدم في التظليل، فالظل الناتج عن طريق تظليل المباني بعضها البعض يختلف عن الظل الناتج عن استخدام النباتات الطبيعية، كما أن الظل الناتج عن استخدام الأشجار أو الشجيرات يختلف عن الظل الناتج عن النباتات المتسلقة، لذلك نجد أن الآية الكريمة ذكرت لفظ (ظلالا) بصيغة الجمع وكأنها تلفت النظر إلى أنه توجد اختلافات في تأثير الظلال تبعا للعنصر الذي يلقى الظل. كما أن الآية ألمحت الى أن هذه الظلال ناتجة عن العناصر التي خلقها الله سبحانه وتعالى (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) لتوضح لنا أن الظلال الناتجة من العناصر الطبيعية التي خلقها الله كالنباتات والأشجار والأكنان بالجبال يكون تأثيرها في خفض درجة الحرارة أكبر.

<u>الاعجاز فى ذكر نماذج محددة للظل النافع والظل الضار</u>

سنحاول فى هذا الجزء من البحث توضيح جوانب الاعجاز العلمى فى بعض الآيات القرآنية، التى أوردت نماذج محددة لكل من الظل النافع والظل الضار. ذكر الظل الممدود مقرونا بالماء المسكوب :

نظرا لأهمية الظلال بالنسبة لتوفير جو مريح بالنسبة للبشر خاصة في المناطق الحارة، فلقد نبهت العديد من الآيات إلى العديد من الأمثلة والنماذج لمايمكن ان نسميه "بالظل النافع"، ومنها الظلال الناتجة عن الغمام (السحب البيضاء) كما في قوله تعالى" :وظللنا عليهم الغمام" (الأعراف: من الآية ١٦٠)

وفى بعض الآيات القرآنية ورد ذكر الظل الممدود مقرونا بالماء المسكوب، حيث يقول سبحانه وتعالى" :وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب" (الواقعة: من٢٧ الى ٣١)،ان استخدام الماء لترطيب الهواء بالإضافة إلى

عملية التظليل، يؤدى إلى زيادة خفض درجة حرارة الهواء مما يؤدى إلى زيادة الشعور بالراحة الحرارية خاصة في المناطق الحارة الجافة مثل منطقة الجزيرة العربية، والتي كانت مهبطا للوحي القرآني.

سبق وأن أوضحنا أهمية الظلال وتأثيرها في خفض درجات الحرارة سواء داخل المباني أو في الفراغات الخارجية المكشوفة، ثم تأتى هاتان الآيتان الكريمتان لتعطى ملمحا اعجازيا قرآنيا آخر في مجال التصميم البيئي، ألا وهو الربط بين ذكر الظل الممدود الذى لاينقطع وبين ذكر الماء المسكوب الجاري وهو ما سوف نوضح جوانبه العلمية في السطور التالية. فلقد قام مقدم البحث بعمل تجارب وقياسات على أحد الأفنية المظللة بمبنى ورش كلية الفنون التطبيقية بجامعة حلوان، وذلك باستخدام رشاش مائي بوضعه في هذا الفناء المكشوف وقياس مدى تأثير استخدام الماء في وجود الظلال، ، وقد توصل الباحث إلى أنه خلال عدة أيام من التجارب أثناء الصيف، ، يمكن أن يؤدى استخدام الماء الخارج من الرشاش إلى خفض درجة الحرارة داخل الفناء المكشوف بمقدار ٤ درجة مئوية وهو ما يفسر أيضا حرص المسلمين الأوائل على وجود النوافير والماء المسكوب والجارى داخل أفنية المباني والبيوت الإسلامية وفى الحدائق الخارجية المحيطة بها بهدف خفض درجات الحرارة، إلى جانب تحقيق العامل الجمالي أيضا

إن نتائج التجربة والقياسات السابقة توضح أهمية استخدام الماء خاصة المسكوب، إلى جانب التظليل لزيادة خفض درجات الحرارة في الفراغات الخارجية المكشوفة، وهو ما يوضح جانب الإعجاز العلمي في الربط ما بين الظل الممدود والماء المسكوب في آيتين متتاليتين من سورة الواقعة، وهو يعتبر سبق قرآني بكل المقاييس يتفق مع أحد أهم مبادئ علم التصميم البيئي.

ذكر الظل الظليل

أوضحت احدى الآيات القرآنية أن "الظل الظليل" هو إحدى المتع التي أعدها الله سبحانه وتعالى لأهل الجنة، مصداقا لقوله تعالى: " والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها

أبدا، لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا" (النساء: ٥٧)، وهو الظل المتراكب فوق بعضه بعضا ومثاله فى الطبيعة ظل ورق الأشجار الذى يظلل بعضه بعضا. لقد أوضحت القياسات العلمية الحديثة أن أفضل شيئ لتقليل درجة الحرارة داخل الفراغات المبنية، يكون عن طريق تظليل الأسقف العلوية للمبانى، بمعنى وجود سقف يظلل السقف الأصلى للمبنى، وهو أحد نماذج الظل الظليل، حيث يعمل السقف الخارجى (العلوى) على تظليل سقف المبنى الأصلى من الاشعاع الشمسى المباشر، وخفض الانتقال الحرارى للفراغات (المعمارية) أسفله

ذكر ظل الدخان الأسود: من أمثلة الظل الضار ما ورد فى قول الله سبحانه وتعالى: "وظل من يحموم، لابارد ولاكريم" (الواقعة: ٤٣،٤٤). ان ذكر الظل الضار يعتبر سبقا قرآنيا، لآن اليحموم عبارة عن دخان أسود (السحابة "حار سيئ المنظر، ومثاله مايعرف الآن باسم "الضبخان السوداء)، ويتكون من الضباب والدخان، ولم تعرف ظاهرة الضبخان الا بعد الثورة الصناعية وانتشار الملوثات من أدخنة وأبخرة ساخنة متصاعدة، فى وجود ظروف مناخية معينة، تؤدى الى تكون سحب سوداء من الضبخان تحجب الشمس، ولكنها تضر بالصحة وتزيد من ارتفاع درجات الحرارة والشعور بجو خانق، ومن جانب آخر فانها سيئة المنظر

الخلاصة ونتائج البحث:

أوضح البحث أحد جوانب الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم فى وصفه للظل والظلال، حيث أعطت العديد من الآيات القرآنية فى مواضع متفرقة بسور القرآن الكريم، رؤية شاملة وعامة فى التنبيه الى الظل كأحد النعم التى امتن بها الله على عباده خاصة فى المناطق الحارة، الى جانب الحديث عن أسلوب حركة الظلال فى الطبيعة اجمالا وتفصيلا، مع ذكر أنواع الظلال من خلال نماذج محددة تصف نوعى الظل الأساسيين وهما: الظل النافع (الرحمة)، والظل الضار (العذاب). كما أثبت البحث من خلال الاستعانة بالأدلة والحقائق العلمية التى تتأسس على القياسات والتجارب العلمية الحديثة، أن الظل ليس كله واحدا وهو مانبهت عليه احدى آيات سورة النحل من خلال ورود لفظ "ظلالا" بصيغة الجمع.

كما أورد البحث وجوه الاعجاز العلمى في ذكر القرآن لنماذج محددة لكل من الظل النافع والظل الضار، وهو مايعد اعجازا وسبقا قرآنيا بكل المقاييس العلمية التى تم التوصل اليها حديثا، حيث أن كل البشر وقت نزول القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا لم يكونوا يعرفون الا الظل النافع، ولم يتخيل أحد منهم أى وجود للظل الضار أو ظل العذاب الا بعد أن نبهت اليه بعض الآيات القرآنية، وأثبته العلم الحديث متمثلا فيما يعرف باسم "الضبخان" أو "السحابة السوداء". ان حديث القرآن الكريم عن وصف أسلوب حركة الظلال وأنواع الظل المختلفة، بحيث يعطى رؤية شاملة ومتكاملة لهذه الظاهرة الطبيعية، دونما أى تعارض مع الحقائق العلمية الحديثة، يعتبر شاهدا للقرآن الكريم بأنه كلام الله الذى أنزله بعلمه على المصطفى صلى الله عليه وسلم، ليهدى به البشر في كل زمان ومكان وليريهم طريق الحق الواضح المبين.

آيات الظل

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٢١٠)البقرة

فالظلل من الغمام عبارة عن قطع متفرقة كل قطعة منها تكون في غاية الكثافة والعظم ، فكل قطعة ظلة ، والجمع ظلل ، قال تعالى : **{وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كالظلل }** [لقمان : ٣٢]

إذا عرفت هذا فنقول : المعنى ما ينظرون إلا أن يأتيهم قهر الله وعذابه في ظلل من الغمام .

فإن قيل : ولم يأتيهم العذاب في الغمام؟ .

قلنا : لوجوه

١- أن الغمام مظنة الرحمة ، فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع

٢- أن نزول الغمام علامة لظهور ما يكون أشد الأهوال في القيامة

وقوله : **{ فِي ظُلَلٍ مّنَ الغمام }** أي مع ظلل ، والتقدير : إن سماع ذلك النداء ووصول تلك الظلل يكون في زمان واحد

أن يكون المراد من إتيان أمر الله في ظلل من الغمام حصول أصوات مقطعة مخصوصة في تلك الغمامات تدل على حكم الله تعالى على كل أحد بما يليق به من السعادة والشقاوة ، أو يكون المراد أنه تعالى خلق نقوشاً منظومة في ظلل من الغمام لشدة بياضها وسواد تلك الكتابة يعرف بها حال أهل الموقف في الوعد والوعيد وغيرهما وتكون فائدة الظلل من

الغمام أنه تعالى جعله أمارة لما يريد إنزاله بالقوم فعنده يعلمون أن الأمر قد حضر وقرب .
٣- أن الغمام تنزل عنه قطرات كثيرة غير محصورة ولا محدودة ، فكذا هذا الغمام ينزل عنه قطرات العذاب نزولاً غير محصور .

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥)الرعد

الرازى

أن جنات الدنيا لا يدوم ورقها وثمرها ومنافعها . أما جنات الآخرة فثمارها دائمة غير منقطعة . وثالثها : أن ظلها دائم أيضاً ، والمراد أنه ليس هناك حر ولا برد ولا شمس ولا قمر ولا ظلمة ونظيره قوله تعالى : { لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً } [الإنسان : ١٣] ثم إنه تعالى لما وصف الجنة بهذه الصفات الثلاثة بين أن ذلك عقبى الذين اتقوا يعني عاقبة أهل التقوى هي الجنة ، وعاقبة الكافرين النار . وحاصل الكلام من هذه الآية أن ثواب المتقين منافع خالصة عن الشوائب موصوفة بصفة الدوام .

فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤)القصص

الطبرى

يقول تعالى ذكره: فسقى موسى للمرأتين ماشيتهما، ثم تولى إلى ظلّ شجرة ذُكِر أنها سَمُرة.

عن عبد الله، قال: حثثت على جَمَل لي ليلتين حتى صبحت مدين، فسألت عن الشجرة التي أوى إليها موسى، فإذا شجرة خضراء تَرِفّ، فأهوى إليها جملي وكان جائعا، فأخذها جملي، فعالجها ساعة، ثم لفظها، فدعوت الله لموسى عليه السلام ، ثم انصرفت.

محتاج. وُذكِر أن نبيّ الله موسى عليه السلام قال هذا القول، وهو بجهد شديد، وعَرَّض ذلك للمرأتين تعريضا لهما، لعلهما أن تُطعماه مما به من شدّة الجوع.

وقيل: إن الخير الذي قال نبي الله(إِنِّي لِمَا أَنزلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) محتاج، إنَّمَا عنى به: شَبْعَة من طعام.

قيل هذا وما معه درهم ولا دينار.

قيل: ما سأل ربه إلا الطعام.

قيل: أن موسى قالها وأسمع المرأة.

وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢)لقمان

الطبرى

وإذا غشى هؤلاء الذين يدعون من دون الله الآلهة والأوثان في البحر -إذا ركبوا في الفُلك- موج كالظُّلل، وهي جمع ظُلَّة، شبَّه بها الموج في شدة سواد كثرة الماء

وشبه الموج وهو واحد بالظلل، وهي جماع، لأن الموج يأتي شيء منه بعد شيء، ويركب بعضه بعضا كهيئة الظلل. وقوله:(دَعَوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) يقول تعالى ذكره: وإذا غشى هؤلاء موج كالظلل، فخافوا الغرق، فزعوا إلى الله بالدعاء مخلصين له الطاعة

هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦)يس

الرازى

وقوله : { فِي ظلال } جمع ظل وظلل جمع ظلة والمراد به الوقاية عن مكان الألم ، فإن الجالس تحت كن لا يخشى المطر ولا حر الشمس فيكون به مستعداً لدفع الألم ، فكذلك لهم من ظل الله ما يقيهم الأسواء ، كما قال تعالى : { لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ } [فاطر : ٣٥] وقال : {لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً } [الإنسان : ١٣] إشارة إلى عدم الآلام

وفيه لطيفة أيضاً وهي أن حال المكلف ،

إما أن يكون اختلالها بسبب ما فيه من الشغل ، وإن كان في مكان عال كالقاعد في حر الشمس في البستان المتنزه أو يكون بسبب المكان

، وإما أن يكون بسبب المأكل كالمتفرج في البستان إذا أعوزه الطعام ، وإما بسبب فقد الحبيب ، وإلى هذا يشير أهل القلب في شرائط السماع بقولهم : الزمان والمكان والإخوان

قال تعالى : { فِي شُغُلٍ فاكهون } إشارة إلى أنهم ليسوا في تعب

وقال : { هُمْ وأزواجهم } إشارة إلى عدم الوحدة الموحشة

وقال : { فِي ظلال عَلَى الأرائك مُتَّكِئُونَ } إشارة إلى المكان

وقال : {لَهُمْ فِيهَا فاكهة وَلَهُمْ مَّا يَدَّعُونَ } إشارة إلى دفع جميع حوائجهم

وقوله : { مُتَّكِئُونَ } إشارة إلى أدل وضع على القوة والفراغة

فإن القائم قد يقوم لشغل والقاعد قد يقعد لهم . وأما المتكىء فلا يتكىء إلا عند الفراغ والقدرة لأن المريض لا يقدر على الإتكاء ، وإنما يكون

مضطجعاً أو مستلقياً والأرائك جمع أريكة . وهي السرير الذي عليه الفرش وهو تحت الحجلات فيكون مرئياً هو وما فوقه
لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٦)الزمر
الرازى
فقال : { لَهُمْ مّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مّنَ النار وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ } والمراد إحاطة النار بهم من جميع الجوانب ، ونظيره في الأحوال النفسانية إحاطة الجهل والحرمان والحرص وسائر الأخلاق الذميمة بالإنسان ، فإن قيل الظلل ما على الإنسان فكيف سمى ما تحته بالظلل؟ والجواب من وجوه
الأول : أنه من باب إطلاق اسم أحد الضدين على الآخر كقوله : { وجزاء سيئة سيئة مثلها } [الشورى : ٤٠] ،
الثاني : أن الذي يكون تحته يكون ظلة لإنسان آخر تحته لأن النار دركات كما أن الجنة درجات
والثالث : أن الظلة التحتانية إذا كانت مشابهة للظلة الفوقانية في الحرارة والإحراق والإيذاء ، أطلق اسم أحدهما على الآخر لأجل المماثلة والمشابهة . قال الحسن هم بين طبقتين من النار لا يدرون ما فوقهم أكثر مما تحتهم ، ونظير هذه الآية قوله تعالى :
{ يَوْمَ يغشاهم العذاب مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ } [العنكبوت : ٥٥]
وقوله تعالى : { لَهُم مّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ }[الأعراف : ٤١] .

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤)الانسان
الرازى
أ-فوصفه الله تعالى بقوله : { وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظلالها }
١-الحال بالعطف على قوله : { مُتَّكِئِينَ }
٢- او الحال بالعطف على محل : {لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً } [الإنسان : ١٣]والتقدير غير رائين فيها شمساً ولا زمهريراً ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين يجتمعان لهم ، كأنه قيل : وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والبرد ، ودنو الظلال عليهم
٣-أن يكون دانية نعتاً للجنة ، والمعنى : وجزاهم جنة دانية
كأنه قيل :وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً ، وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها ، وذلك لأنهم وعدوا جنتين ، وذلك لأنهم خافوا بدليل قوله : {إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبّنَا } [الإنسان : ١٠] وكل من خاف فله جنتان ، بدليل قوله : { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبّهِ جَنَّتَان } [الرحمن : ٤٦]

ب-الظل إنما يوجد حيث توجد الشمس ، فإن كان لا شمس في الجنة فكيف يحصل الظل هناك؟ والجواب : أن المراد أن أشجار الجنة تكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت تلك الأشجار مظلله منها .
قوله تعالى : {وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً }
١-ذللت أدنيت منهم من قولهم : حائط ذليل إذا كان قصير السمك
٢- ظللت أي جعلت منقادة ولا تمتنع على قطافها كيف شاءوا . ذللت لهم فهم يتناولون منها كيف شاءوا ، فمن أكل قائماً لم يؤذه ومن أكل جالساً لم يؤذه ومن أكل مضطجعاً لم يؤذه .
انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١)المرسلات
الرازى
قال المفسرون : إن الشمس تقرب يوم القيامة من رؤوس الخلائق ، وليس عليهم يومئذ لباس ولا كنان ، فتلفحهم الشمس وتسفعهم وتأخذ بأنفاسهم ويمتد ذلك اليوم ، ثم ينجي الله برحمته من يشاء إلى ظل من ظله فهناك يقولون : { فَمَنَّ الله عَلَيْنَا ووقانا عَذَابَ السموم } [الطور : ٢٧] ويقال للمكذبين : انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله وعقابه ، وقوله : { إلى ظِلّ } يعني دخان جهنم كقوله : { وَظِلّ مّن يَحْمُومٍ } [الواقعة : ٤٣] ثم إنه تعالى وصف هذا الظل بصفات :
الصفة الأولى : قوله : { ذِى ثلاث شُعَبٍ } وفيه وجوه
١- قال الحسن : ماأدري ما هذا الظل ، ولا سمعت فيه شيئاً
٢- قال قوم المراد بقوله : إلى ظل ذي ثلاث شعب كون النار من فوقهم ومن تحت أرجلهم ومحيطة بهم ، وتسمية النار بالظل مجاز من حيث إنها محيطة بهم من كل جانب
كقوله : { لَهُمْ مّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مّنَ النار وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ } [الزمر : ١٦] وقال تعالى : { يَوْمَ يغشاهم العذاب مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ } [العنكبوت : ٥٥]
٣- قال قتادة : بل المراد الدخان وهو من قوله : { أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا } [الكهف : ٢٩] وسرادق النار هو الدخان ، ثم إن شعبة من ذلك الدخان على يمينه وشعبة أخرى على يساره ، وشعبة ثالثة من فوقه . وأقول هذا غير مستبعد لأن الغضب عن يمينه والشهوة عن شماله ، والقوة الشيطانية في دماغه ، ومنبع جميع الآفاق الصادرة عن الإنسان في عقائده ، وفي أعماله ، ليس إلا هذه الثلاثة ، فتولدت من هذه الينابيع الثلاثة أنواع من الظلمات ،

ويمكن أيضاً أن يقال : ههنا درجات ثلاثة ، وهي الحس والخيال ، والوهم ، وهي مانعة للروح عن الاستنارة بأنوار عالم القدس والطهارة ، ولكل واحد من تلك المراتب الثلاثة نوع خاص من الظلمة
٤- قال قوم : هذا كناية عن كون ذلك الدخان عظيماً ، فإن الدخان العظيم ينقسم إلى شعب كثيرة
٥- قال أبو مسلم ويحتمل في ثلاث شعب ما ذكره بعد ذلك ، وهو أنه : غير ظليل وأنه لا يغني من اللهب وبأنها ترمى بشرر كالقصر .
الصفة الثانية : لذلك الظل قوله : { لاَّ ظَلِيلٍ } وهذا تهكم بهم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين ، والمعنى أن ذلك الظل لا يمنع حر الشمس .
الصفة الثالثة : قوله تعالى : {وَلاَ يُغْنِى مِنَ اللهب } يقال : أغن عني وجهك ، أي أبعده لأن الغني عن الشيء يباعده ، كما أن المحتاج يقاربه ،
١-أن هذا الظل إنما يكون في جهنم ، فلا يظلهم من حرها ، ولا يسترهم من لهيبها ، وقد ذكر الله في سورة الواقعة الظل فقال : { فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلّ مّن يَحْمُومٍ * لاَّ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ } [الواقعة : ٤٢- ٤٤] وهذا كأنه في جهنم إذا دخلوها ، ثم قال : { لاَّ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ } فيحتمل أن يكون قوله : { لاَّ ظَلِيلٍ } في معنى : { لاَّ بَارِدٍ } وقوله : {وَلاَ يُغْنِى مِنَ اللهب } في معنى : { وَلاَ كَرِيمٍ} أي لا روح له يلجأ إليه من لهب النار
٢- أن تكوّنَ ذلك إنما يكون قبل أن يدخلوا جهنم بل عندما يحسبون للحساب والعرض ، فيقال لهم : إن هذا الظل لا يظلكم من حر الشمس ولا يدفع لهب النار ،
وفي الآية وجه ثان : وهو أن اللهب ههنا هو العطش يقال :لهب لهباً ورجل لهبان وامرأة لهبى .
الصفة الرابعة : قوله تعالى : {إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ } وهو ما تطاير من النار متبدداً في كل جهة ، واعلم أن الله تعالى وصف النار التي كان ذلك الظل دخاناً لها بأنها ترمي بالشرارة العظيمة ، والمقصود منه بيان أن تلك النار عظيمة جداً ، ثم إنه تعالى شبه ذلك الشرر بالقصر: هو خشب كنا ندخره للشتاء نقطعه وكنا نسميه القصر

إِنَّ ا لْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١)المرسلات

الرازى

أنه تعالى لما بعث الكفار إلى ظل ذي ثلاث شعب أعد في مقابلته للمؤمنين ثلاثة أنواع من النعمة
١- قوله : {إِنَّ المتقين فِى ظلال وَعُيُونٍ } كأنه قيل : ظلالهم ما كانت ظليلة ، وما كانت مغنية عن اللهب والعطش أما المتقون فظلالهم ظليلة ،

٢-وفيها عيون عذبة مغنية لهم عن العطش وحاجزة بينهم وبين اللهب ومعهم الفواكه التي يشتهونها ويتمنونها ،
٣-ولما قال للكفار : { انطلقوا إلى ظِلّ ذِى ثلاث شُعَبٍ } قال للمتقين : { كُلُوا واشربوا هَنِيئاً } فإما أن يكون ذلك الإذن من جهة الله تعالى لا بواسطة ، وما أعظمها ، أو من جهة الملائكة على وجه الإكرام ، ومعنى { هَنِيئاً } أي خالص اللذة لا يشوبه سقم ولا تنغيص .

<u>وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (٥٧)</u><u>النساء</u>

<u>الرازى</u>
وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً الظليل هو مبالغة في نعت الظل ،
واعلم أن بلاد العرب كانت في غاية الحرارة ، فكان الظل عندهم أعظم أسباب الراحة ، ولهذا المعنى جعلوه كناية عن الراحة . قال عليه الصلاة السلام : « السلطان ظل الله في الأرض » فإذا كان الظل عبارة عن الراحة كان الظليل كناية عن المبالغة العظيمة في الراحة

<u>الطبرى</u>
(مطهرة)، يعني: بريئات من الأدناس والرِّيَب والحيض والغائط والبول والحَبَل والبُصاق، وسائر ما يكون في نساء أهل الدنيا
وأما قوله:"وندخلهم ظِلا ظليلا"، فإنه يقول: وندخلهم ظلا كَنِينًا، كما قال جل ثناؤه:(وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) [سورة الواقعة: ٣٠]، وكما:-
عن أبي هريرة، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: إنّ في الجنة لشجرةً يسيرُ الراكب في ظلّها مئة عام لا يقطعها، شجرةُ الخلد.

<u>وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠)</u><u>الاعراف</u>
دفع عنهم مضار الشمس
<u>فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩)</u><u>الشعراء</u>

<u>الطبرى</u>
قال شعيب لقومه:(رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) يقول: بأعمالهم هو بها محيط، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم بها جزاءكم.(فكذبوه) يقول: فكذّبه قومه.(فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) يعني بالظلة: سحابة ظللتهم، فلما تتاموا تحتها التهبت عليهم نارا، وأحرقتهم

فلما أراد الله أن يعذّبهم، بعث الله عليهم حرّا شديدا، ورفع لهم العذاب كأنه سحابة؛ فلما دنت منهم خرجوا إليها رجاء بردها، فلما كانوا تحتها مطرت عليهم نارا

وقيل: حبس الله عنهم الظل والريح، فأصابهم حرّ شديد، ثم بعث الله لهم سحابة فيها العذاب، فلما رأوا السحابة انطلقوا يؤمونها، زعموا يستظلون، فاضطرمت عليهم نارا فأهلكتهم.

الرازى

لما استمروا على التكذيب أنزل الله عليهم العذاب على ما اقترحوا من عذاب يوم الظلة إن أرادوا بالسماء السحاب ، وإن أرادوا الظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى أنه حبس عنهم الريح سبعاً وسلط عليهم الرمل فأخذ بأنفاسهم ، لا ينفعهم ظل ولا ماء فاضطروا إلى أن خرجوا إلى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها برداً ونسيماً فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا ، وروي أن شعيباً بعث إلى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الأيكة فأهلكت مدين بصيحة جبريل عليه السلام وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦)الفرقان

الظل

الرازى

قوله : { أَلَمْ تَرَ } فيه وجهان : أحدهما : أنه من رؤية العين والثاني : أنه من رؤية القلب يعني العلم ، فالمعنى ألم تعلم وهذا أولى وذلك أن الظل إذا جعلناه من المبصرات فتأثير قدرة الله تعالى في تمديده غير مرئي بالاتفاق ، ولكنه معلوم من حيث إن كل متغير جائز فله مؤثر فحمل هذا اللفظ على رؤية القلب أولى من هذا الوجه .

٢-المخاطب بهذا الخطاب وإن كان هو الرسول عليه السلام بحسب ظاهر اللفظ ولكن الخطاب عام في المعنى ، لأن المقصود من الآية بيان نعم الله تعالى بالظل

٣- الناس أكثروا في تأويل هذه الآية والكلام الملخص يرجع إلى وجهين :

الأول : أن الظل هو الأمر المتوسط بين الضوء الخالص وبين الظلمة الخالصة وهو ما بين ظهور الفجر إلى طلوع الشمس ، وكذا الكيفيات الحاصلة داخل السقف وأفنية الجدران وهذه الحالة أطيب الأحوال لأن الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها الحس ، وأما الضوء الخالص

وهو الكيفية الفائضة من الشمس فهي لقوتها تبهر الحس البصري وتفيد السخونة القوية وهي مؤذية ،
فإذن أطيب الأحوال هو الظل ولذلك وصف الجنة به فقال : { وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ } [الواقعة : ٣٠] وإذا ثبت هذا فنقول إنه سبحانه بين أنه من النعم العظيمة والمنافع الجليلة ، ثم إن الناظر إلى الجسم الملون وقت الظل كأنه لا يشاهد شيئاً سوى الجسم وسوى اللون ، ونقول الظل ليس أمراً ثالثاً ، ولا يعرف به إلا إذا طلعت الشمس ووقع ضوؤها على الجسم زال ذلك الظل فلولاالشمس ووقوع ضوئها على الأجرام لما عرف أن للظل وجوداً وماهية لأن الأشياء إنما تعرف بأضدادها ، فلولا الشمس لما عرف الظل ، ولولا الظلمة لما عرف النور ، فكأنه سبحانه وتعالى لما طلع الشمس على الأرض وزال الظل ، فحينئذ ظهر للعقول أن الظل كيفية زائدة على الجسم واللون ، فلهذا قال سبحانه {ثُمَّ جَعَلْنَا الشمس عَلَيْهِ دَلِيلاً } أي خلقنا الظل أولاً بما فيه من المنافع واللذات ثم إنا هدينا العقول إلى معرفة وجوده بأن أطلعنا الشمس فكانت الشمس دليلاً على وجود هذه النعمة ، ثم قبضناه أي أزلنا الظل لا دفعة بل يسيراً يسيراً فإن كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل في جانب المغرب ، ولما كان الحركات المكانية لا توجد دفعة بل يسيراً يسيراً فكذا زوال الإظلال لا يكون دفعة بل يسيراً يسيراً ، ولأن قبض الظل لو حصل دفعة لاختلت المصالح ، ولكن قبضها يسيراً يسيراً يفيد معه أنواع مصالح العالم ، والمراد بالقبض الإزالة والإعدام هذا أحد التأويلين .
التأويل الثاني : وهو أنه سبحانه وتعالى لما خلق الأرض والسماء وخلق الكواكب والشمس والقمر وقع الظل على الأرض ، ثم إنه سبحانه خلق الشمس دليلاً عليه وذلك لأن بحسب حركات الأضواء تتحرك الأظلال فإنهما متعاقبان متلازمان لا واسطة بينهما فبمقدار ما يزداد أحدهما ينقص الآخر ، وكما أن المهتدي يهتدي بالهادي والدليل ويلازمه ، فكذا الأظلال كأنها مهتدية وملازمة للأضواء فلهذا جعل الشمس دليلاً عليها .
وأما قوله : {ثُمَّ قبضناه إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً } فأما أن يكون المراد منه انتهاء الأظلال يسيراً يسيراً إلى غاية نقصاناتها ، فسمى إزالة الأظلال قبضاً لها أو يكون المراد من قبضها يسيراً قبضها عند قيام الساعة ، وذلك بقبض أسبابها وهي الأجرام التي تلقي الأظلال وقوله : {يَسِيراً } هو كقوله : { ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ } [ق : ٤٤] فهذا هو التأويل الملخص .
المسألة الرابعة : وجه الاستدلال به على وجود الصانع المحسن أن حصول الظل أمر نافع للأحياء والعقلاء ، وأما حصول الضوء الخالص ،

أو الظلمة الخالصة ، فهو ليس من باب المنافع ، فحصول ذلك الظل ، إما أن يكون من الواجبات أو من الجائزات ، والأول باطل وإلا لما تطرق التغير إليه ، لأن الواجب لا يتغير فوجب أن يكون من الجائزات ، فلا بد له في وجوده بعد العدم ، وعدمه بعد الوجود ، من صانع قادر مدبر محسن يقدره بالوجه النافع ، وما ذاك إلا من يقدر على تحريك الأجرام العلوية وتدبير الأجسام الفلكية وترتيبها على الوصف الأحسن والترتيب الأكمل ، وما هو إلا الله سبحانه وتعالى . فإن قيل : الظل عبارة عن عدم الضوء عما شأنه أن يضيء ، فكيف استدل بالأمر العدمي على ذاته ، وكيف عده من النعم؟ قلنا :الظل ليس عدماً محضاً ، بل هو أضواء مخلوطة بظلم ، والتحقيق أن الظل عبارة عن الضوء الثاني وهو أمر وجودي ، وفي تحقيقه وبسطه كلام دقيق يرجع فيه إلى كتبنا العقلية .

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨)النحل

أراد من شيء له ظل من جبل وشجر وبناء وجسم قائم لأن قوله : { مِن شَيْء يَتَفَيَّؤُاْ ظلاله عَنِ اليمين والشمآئل } يدل على أن ذلك الشيء كثيف يقع له ظل على الأرض . وقوله : { يَتَفَيَّؤُاْ ظلاله }

ويتفيأ يتفعل من الفيء يقال : فاء الظل يفيء فيئاً إذا رجع وعاد بعد ما نسخه ضياء الشمس ، وأصل الفيء الرجوع ، ومنه فيء المولي وذكرنا ذلك في قوله تعالى : {فَإِن فاؤا فإن الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [البقرة : ٢٢٦] وكذلك فيء المسلمين لما يعود على المسلمين من مال من خالف دينهم ، ومنه قوله تعالى : {مَّا أَفَاء الله على رَسُولِهِ مِنْهُمْ } [الحشر : ٦] وأصل هذا كله من الرجوع .

قال الأزهري : تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار ، فالتفيؤ لا يكون إلا بالعشي بعدما انصرفت عنه الشمس والظل ما يكون بالغداة وهو ما لم تنله الشمس

وقيل:كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وما لم يكن عليه الشمس فهو ظل

أما قوله : { عَنِ اليمين والشمآئل }

١- أن يمين الفلك هو المشرق وشماله هو المغرب ، والسبب في تخصيص هذين الاسمين بهذين الجانبين أن أقوى جانبي الإنساني يمينه ، ومنه تظهر الحركة القوية ، فلما كانت الحركة الفلكية اليومية آخذة من المشرق إلى المغرب ، لا جرم كان المشرق يمين الفلك والمغرب شماله .

إذا عرفت هذا فنقول : إن الشمس عند طلوعها إلى وقت انتهائها إلى وسط الفلك تقع الإظلال إلى الجانب الغربي ، فإذا انحدرت الشمس من وسط الفلك إلى الجانب الغربي وقع الإظلال في الجانب الشرقي ، فهذا هو المراد من تفيؤ الظلال من اليمين إلى الشمال وبالعكس ، وعلى هذا التقدير : فالإظلال في أول النهار تبتدىء من يمين الفلك على الربع الغربي من الأرض ، ومن وقت انحدار الشمس من وسط الفلك تبتدىء الإظلال من شمال الفلك واقعة على الربع الشرقي من الأرض .

٢- أن البلدة التي يكون عرضها أقل من مقدار الميل ، فإن في الصيف تحصل الشمس على يسارها ، وحينئذ يقع الإظلال على يمينهم ، فهذا هو المراد من انتقال الإظلال عن الأيمان إلى الشمائل وبالعكس

أما قوله : {سُجَّدًا لِلَّهِ } ففيه احتمالات :

١- أن يكون المراد من السجود الاستسلام والانقياد يقال : سجد البعير إذا طأطأ رأسه ليركب ، وسجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل

إنه تعالى دبر النيرات الفلكية ، والأشخاص الكوكبية بحيث يقع أضواؤها على هذا العالم السفلي على وجوه مخصوصة . ثم إنا نشاهد أن تلك الأضواء ، وتلك الإظلال لا تقع في هذا العالم إلا على وفق تدبير الله تعالى وتقديره ، فنشاهد أن الشمس إذا طلعت وقعت الأجسام الكثيفة أظلال ممتدة في الجانب الغربي من الأرض ، ثم كلما ازدادت الشمس طلوعاً وارتفاعاً ، ازدادت تلك الأظلال تقلصاً وانتقاصاً إلى الجانب الشرقي إلى أن تصل الشمس إلى وسط الفلك ، فإذا انحدرت إلى الجانب الغربي ابتدأت الأظلال بالوقوع في الجانب الشرقي ، وكلما ازدادت الشمس انحداراً ازدادت الأظلال تمدداً وتزايداً في الجانب الشرقي . وكما أنا نشاهد هذه الحالة في اليوم الواحد ، فكذلك نشاهد أحوال الأظلال مختلفة في التيامن والتياسر في طول السنة ، بسبب اختلاف أحوال الشمس في الحركة من الجنوب إلى الشمال وبالعكس ، فلما شاهدنا أحوال هذه الأظلال مختلفة بسبب الاختلافات اليومية الواقعة في شرق الأرض وغربها ، وبحسب الاختلافات الواقعة في طول السنة في يمين الفلك ويساره ، ورأينا أنها واقعة على وجه مخصوص وترتيب معين ، علمنا أنها منقادة لقدرة الله خاضعة لتقديره وتدبيره ، فكانت السجدة عبارة عن هذه الحالة .

فثبت أن المراد بهذا السجود الانقياد والتواضع ، ونظيره قوله : { والنجم والشجر يَسْجُدَان} [الرحمن : ٦] وقوله : { وظلالهم بالغدو والأصال } [الرعد : ١٥]

٢- في تفسير هذا السجود ، أن هذه الأظلال واقعة على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد .
فلما كانت الأظلال تشبه بشكلها شكل الساجدين أطلق الله عليها هذا اللفظ ، وكان الحسن يقول : أما ظلك فسجد لربك ، وأما أنت فلا تسجد له بئسما صنعت ، وقال مجاهد : ظل الكافر يصلي وهو لا يصلي ، وقيل : ظل كل شيء يسجد لله سواء كان ذلك ساجداً أم لا .
وقوله : { وَهُمْ داخرون } أي صاغرون ، وهو الذي يفعل ما تأمره شاء أم أبى ، وذلك لأن هذه الأشياء منقادة لقدرة الله تعالى وتدبيره وقوله : { وَهُمْ داخرون }حال أيضاً من الظلال .
الطبرى

(يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ) قال: الغدوّ والآصال، إذا فاءت الظِّلال ، ظلال كلّ شيء بالغدوّ سجدت لله، وإذا فاءت بالعشيّ سجدت لله.
قوله(يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ) يعني: بالغدو والآصال، تسجد الظلال لله غدوة إلى أن يفئ الظلّ، ثم تسجد لله إلى الليل، يعني: ظلّ كلّ شَيء.
قوله(يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ) يعني: تتميل.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١)النحل
يقول تعالى ذكره: ومن نعمة الله عليكم أيها الناس أن جعل لكم مما خلق من الأشجار وغيرها ظلالا تستظلون بها من شدة الحرّ، وهي جمع ظلّ.
وقوله(وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا) يقول: وجعل لكم من الجبال مواضع تسكنون فيها، وهي جمع كنّ.
وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا) يقول: غيرانا من الجبال يسكن فيها.
(وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ) يعني ثياب القطن والكتان والصوف وقمصها
وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١)فاطر
الرازى
ما الفائدة في تكثير الأمثلة ههنا حيث ذكر الأعمى والبصير ، والظلمة والنور ، والظل والحرور ، والأحياء والأموات؟ فنقول الأول مثل المؤمن

والكافر فالمؤمن بصير والكافر أعمى ، ثم إن البصير وإن كان حديد البصر ولكن لا يبصر شيئاً إن لم يكن في ضوء فذكر للإيمان والكفر مثلاً ، وقال الإيمان نور والمؤمن بصير والبصير لا يخفى عليه النور ، والكفر ظلمة والكافر أعمى فله صاد فوق صاد ، ثم ذكر لمآلهما ومرجعهما مثلاً وهو الظل والحرور ، فالمؤمن بإيمانه في ظل وراحة والكافر بكفره في حر وتعب ، ثم قال تعالى : { وَمَا يَسْتَوِي الأحياء وَلاَ الأموات }مثلاً آخر في حق المؤمن والكافر كأنه قال تعالى حال المؤمن والكافر فوق حال الأعمى والبصير ، فإن الأعمى يشارك البصير في إدراك ما . والكافر غير مدرك إدراكاً نافعاً فهو كالميت ويدل على ما ذكرنا أنه تعالى أعاد الفعل حيث قال أولاً : { وَمَا يَسْتَوِي الأعمى والبصير } وعطف الظلمات والنور والظل والحرور ، ثم أعاد الفعل ، وقال : { وَمَا يَسْتَوِي الأحياء وَلاَ الأموات }كأنه جعل هذا مقابلاً لذلك .

<u>وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢)</u><u>الواقعة</u>

<u>الرازى</u>

قوله:(فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال: لا شوك فيه.

(فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال: ثمرها أعظم من القِلال.

عن ابن عباس(وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) قال: الموز.

قوله:(وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) قال: بعضه على بعض.

قوله:(وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) متراكم

وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠)

وفيه وجوه

١-ممدود زماناً ، أي لا زوال له فهو دائم ، كما قال تعالى : {أُكُلُهَا دَائِمٌ وِظِلُّهَا } [الرعد : ٣٥] أي كذلك

٢-ممدود مكاناً ، أي يقع على شيء كبير ويستره من بقعة الجنة

٣- المراد ممدود أي منبسط ، كما قال تعالى : { والأرض مددناها } [الحجر : ١٩]

فإن قيل : كيف يكون الوجه الثاني؟ نقول : الظل قد يكون مرتفعاً ، فإن الشمس إذا كانت تحت الأرض يقع ظلها في الجو فيتراكم الظل فيسود وجه الأرض وإذا كانت على أحد جانبيها قريبة من الأفق ينبسط على وجه الأرض فيضيء الجو ولا يسخن وجه الأرض ، فيكون في غاية الطيبة ،

فقوله : { وَظِلّ مَّمْدُودٍ }أي عند قيامه عموداً على الأرض كالظل بالليل ، وعلى هذا فالظل ليس ظل الأشجار بل ظل يخلقه الله تعالى .

وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤)الواقعة

الطبرى

وقوله:(فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ) يقول: هم في سّموم جهنم وحَميمها.
وقوله:(وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) يقول تعالى ذكره: وظل من دُخان شديد السواد.والعرب تقول لكلّ شيء وصفته بشدّة السواد: أسود يَحْموم.
سمعت ابن عباس يقول في(وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) قال: هو ظلّ الدخان.

الرازى

هواؤهم الذي يهب عليهم سموم ، وماؤهم الذي يستغيثون به حميم ، مع أن الهواء والماء أبرد الأشياء ، وهما أي السموم والحميم من أضر الأشياء بخلاف الهواء والماء في الدنيا فإنهما من أنفع الأشياء فما ظنك بنارهم التي هي عندنا أيضاً أحر ، ولو قال : هم في نار ، كنا نظن أن نارهم كنارنا لأنا ما رأينا شيئاً أحر من التي رأيناها ، ولا أحر من السموم ، ولا أبرد من الزلال ، فقال : أبرد الأشياء لهم أحرها فكيف حالهم مع أحرها ،

١- ما السموم؟ نقول : المشهور هي ريح حارة تهب فتمرض أو تقتل غالباً ، والأولى أن يقال : هي هواء متعفن ، يتحرك من جانب إلى جانب فإذا استنشق الإنسان منه يفسد قلبه بسبب العفونة ويقتل الإنسان ، وأصله من السم كسم الحية والعقرب وغيرهما ،
ويحتمل أن يكون هذا السم من السم ، وهو خرم الإبرة ، كماقال تعالى : { حتى يَلِجَ الجمل فِي سَمّ الخياط } [الأعراف : ٤٠] لأن سم الأفعى ينفذ في المسام فيفسدها ،
وقيل :إن السموم مختصة بما يهب ليلاً ، وعلى هذا فقوله : { سَمُومٍ } إشارة إلى ظلمة ما هم فيه غير أنه بعيد جداً ، لأن السموم قد ترى بالنهار بسبب كثافتها .
٢- الحميم هو الماء الحار وهو فعيل بمعنى فاعل من حمم الماء بكسر الميم ، أو بمعنى مفعول من حمم الماء إذا سخنه
٣- ما اليحموم؟ نقول : فيه وجوه
أولها : أنه اسم من أسماء جهنم ثانيها : أنه الدخان ثالثها : أنه الظلمة ، وأصله من الحمم وهو الفحم فكأنه لسواده فحم فسموه باسم مشتق منه ،

وزيادة الحرف فيه لزيادة ذلك المعنى فيه ، وربما تكون الزيادة فيه جاءت لمعنيين : الزيادة في سواده والزيادة في حرارته ، وفي الأمور الثلاثة إشارة إلى دونهم في العذاب دائماً لأنهم إن تعرضوا لمهب الهواء أصابهم الهواء الذي هو السموم ، وإن استكنوا كما يفعله الذي يدفع عن نفسه السموم بالاستكنان في الكن يكونوا في ظل من يحموم وإن أرادوا الرد عن أنفسهم السموم بالاستكنان في مكان من حميم فلا انفكاك لهم من عذاب الحميم ، ويحتمل أن يقال فيه ترتيب وهو أن السموم يضربه فيعطش وتلتهب نار السموم في أحشائه فيشرب الماء فيقطع أمعاءه ويريد الاستظلال بظل فيكون ذلك الظل ظل اليحموم ،

قال الزمخشري : كرم الظل نفعه الملهوف ، ودفعه أذى الحر عنه ، ولو كان كذلك لكان البارد والكريم بمعنى واحد ،

والأقرب أن يقال : فائدة الظل أمران : أحدهما دفع الحر ، والآخر كون الإنسان فيه مكرماً ، وذلك لأن الإنسان في البرد يقصد عين الشمس ليتدفأ بحرها إذا كان قليل الثياب ، فإذا كان من المكرمين يكون أبداً في مكان يدفع الحر والبرد عن نفسه في الظل ، أما الحر فظاهر ، وأما البرد فيدفعه بإدفاء الموضع بإيقاد ما يدفئه ، فيكون الظل في الحر مطلوباً للبرد فيطلب كونه بارداً ، وفي البرد يطلب لكونه ذا كرامة لا لبرد يكون في الظل فقال : { لاَّ بَارِدٍ } يطلب لبرده ، ولا ذي كرامة قد أعد للجلوس فيه ،

فقوله تعالى : { لاَّ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ } يحتمل هذا ، ويحتمل أن يقال : إن الظل يطلب لأمر يرجع إلى الحس ، أو لأمر يرجع إلى العقل ، فالذي يرجع إلى الحس هو برده ، والذي يرجع إلى العقل أن يكون الرجوع إليه كرامة ، وهذا لا برد له ولا كرامة فيه

والتحقيق فيه ما ذكرنا أن وصف الكمال ، إما حسي ، وإما عقلي ، والحسي يصرح بلفظه ، وأما العقلي فلخفائه عن الحس يشار إليه بلفظ جامع ، لأن الكرامة ، والكرامة عند العرب من أشهر أوصاف المدح ونفيهما نفي وصف الكمال العقلي ، فيصير قوله تعالى : {لاَّ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ} معناه لا مدح فيه أصلاً لا حساً ولا عقلاً .

العرش

{ العرش } في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ، ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك ، يقال : ثل عرشه أي انتفض ملكه وفسد .
وإذا استقام له ملكه واطرد أمره وحكمه قالوا : استوى على عرشه ، واستقر على سرير ملكه
يذكر الاستواء على العرش ، والمراد نفاذ القدرة وجريان المشيئة ، ثم قال القفال رحمه الله تعالى : والله تعالى لما دل على ذاته وعلى صفاته وكيفية تدبيره العالم على الوجه الذي ألفوه من ملوكهم ورؤسائهم استقر في قلوبهم عظمة الله وكمال جلاله ، إلا أن كل ذلك مشروط بنفي التشبيه ، فإذا قال : إنه عالم فهموا منه أنه لا يخفى عليه تعالى شيء ، ثم علموا بعقولهم أنه لم يحصل ذلك العلم بفكرة ولا روية ولا باستعمال حاسة ، وإذا قال : قادر علموا منه أنه متمكن من إيجاد الكائنات ، وتكوين الممكنات ، ثم علموا بعقولهم أنه غني في ذلك الإيجاد ، والتكوين عن الآلات والأدوات ، وسبق المادة والمدة والفكرة والروية ، وهكذا القول في كل صفاته ،
وإذا أخبر أن له بيتاً يجب على عباده حجة فهموا منه أنه نصب لهم موضعاً يقصدونه لمسألة ربهم وطلب حوائجهم كما يقصدون بيوت الملوك والرؤساء لهذا المطلوب ، ثم علموا بعقولهم نفي التشبيه ، وأنه لم يجعل ذلك البيتمسكناً لنفسه ، ولم ينتفع به في دفع الحر والبرد بعينه عن نفسه

فإذا أمرهم بتحميده وتمجيده فهموا منه أنه أمرهم بنهاية تعظيمه ، ثم علموا بعقولهم أنه لا يفرح بذلك التحميد والتعظيم ولا يغتم بتركه والإعراض عنه .
إذا عرفت هذه المقدمة

١- إنه تعالى أخبر أنه خلق السموات والأرض كما أراد وشاء من غير منازع ولا مدافع ، ثم أخبر بعده أنه استوى على العرش ، أي حصل له تدبير المخلوقات على ما شاء وأراد ، فكان قوله : {ثُمَّ استوى عَلَى العرش } أي بعد أن خلقها استوى على عرش الملك والجلال . ثم قال القفال : والدليل على أن هذا هو المراد قوله في سورة يونس : {إِنَّ رَبَّكُمُ الله الذى خَلَقَ السموات والأرض فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ استوى عَلَى العرش يُدَبّرُ الأمر } [يونس : ٣] فقوله : { يُدَبّرُ الامر } جرى مجرى التفسير لقوله : {استوى عَلَى العرش } وقال في هذه الآية التي نحن في تفسيرها : { ثُمَّ استوى عَلَى العرش يُغْشِى الليل النهارَ يطلبهُ حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر } وهذا يدل على أن قوله : { ثُمَّ استوى عَلَى العرش } إشارة إلى ما ذكرناه .

فإذا حملتم قوله : {ثُمَّ استوى عَلَى العرش } على أن المراد : استوى على الملك ، وجب أن يقال :الله لم يكن مستوياً قبل خلق السموات والأرض . إنه تعالى إنما استوى على ملكه بعد خلق السموات والأرض بمعنى أنه إنما ظهر تصرفه في هذه الأشياء وتدبيره لها بعد خلق السموات والأرض ، وهذا جواب حق صحيح في هذا الموضع .

٢- في الجواب أن يقال : استوى بمعنى استولى ، وهذا الوجه قد أطلنا في شرحه في سورة طه فلا نعيده هنا .

٣- أن نفسر العرش بالملك ونفسر استوى بمعنى : علا واستعلى على الملك فيكون المعنى : أنه تعالى استعلى على الملك بمعنى أن قدرته نفذت في ترتيب الملك والملكوت ، واعلم أنه تعالى ذكر قوله : {استوى عَلَى العرش } في سور سبع . إحداها : ههنا . وثانيها : في يونس . وثالثها : في الرعد . ورابعها : في طه . وخامسها : في الفرقان . وسادسها : في السجدة . وسابعها : في الحديد ، وقد ذكرنا في كل موضع فوائد كثيرة ، فمن ضم تلك الفوائد بعضهاإلى بعض كثرت وبلغت مبلغاً كثيراً وافياً بإزالة شبه التشبيه عن القلب والخاطر .

آيات القرآن في العرش(٧ آيات)

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)الاعراف

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣)يونس

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢)الرعد

الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (٥٩)الفرقان

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤)السجدة

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)الحديد

تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (٤) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)طه

{الرحمن عَلَى العرش استوى} ففيه مسائل

١-يكون رفعاً على المدح

٢-المشبهة تعلقت بهذه الآية في أن معبودهم جالس على العرش وهذا باطل بالعقل والنقل من وجوه .

١- أنه سبحانه وتعالى كان ولا عرش ولا مكان ، ولما خلق الخلق لم يحتج إلى مكان بل كان غنياً عنه فهو بالصفة التي لم يزل عليها إلا أن يزعم زاعم أنه لم يزل مع الله عرش .

٢- أن الجالس على العرش لا بد وأن يكون الجزء الحاصل منه في يمين العرش غير الحاصل في يسار العرش فيكون في نفسه مؤلفاً مركباً وكل ما كان كذلك احتاج إلى المؤلف والمركب وذلك محال .

٣-أن الجالس على العرش إما أن يكون متمكناً من الإنتقال والحركة أو لا يمكنه ذلك فإنكان الأول فقد صار محل الحركة والسكون فيكون محدثاً لا محالة وإن كان الثاني كان كالمربوط بل كان كالزمن بل أسوأ منه فإن الزمن إذا شاء الحركة في رأسه وحدقته أمكنه ذلك وهو غير ممكن على معبودهم . ٤- هو أن معبودهم إما أن يحصل في كل مكان أو في مكان دون مكان فإن حصل في كل مكان لزمهم أن يحصل في مكان النجاسات

والقاذورات وذلك لا يقوله عاقل ، وإن حصل في مكان دون مكان افتقر إلى مخصص يخصصه بذلك المكان فيكون محتاجاً وهو على الله محال .
٥- أن قوله : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء } [الشورى : ١١] يتناول نفي المساواة من جميع الوجوه بدليل صحة الاستثناء فإنه يحسن أن يقال ليس كمثله شيء إلا في الجلوس وإلا في المقدار وإلا في اللون وصحة الاستثناء تقتضي دخول جميع هذه الأمور تحته ، فلو كان جالساً لحصل من يماثله في الجلوس فحينئذ يبطل معنى الآية .
٦- قوله تعالى : { وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثمانية } [الحاقة : ١٧] فإذا كانوا حاملين للعرش والعرش مكان معبودهم فيلزم أن تكون الملائكة حاملين لخالقهم ومعبودهم وذلك غير معقول لأن الخلق هو الذي يحفظ المخلوق أما المخلوق فلا يحفظ الخالق ولا يحمله .
٧- أنه لو جاز أن يكون المستقر في المكان إلهاً فكيف يعلم أن الشمس والقمر ليس بإله لأن طريقنا إلى نفس إلهية الشمس والقمر أنهما موصوفان بالحركة والسكون وما كان كذلك كان محدثاً ولم يكن إلهاً فإذا أبطلتم هذا الطريق انسد عليكم باب القدح في إلهية الشمس والقمر .
٨- أن العالم كرة فالجهة التي هي فوق بالنسبة إلينا هي تحت بالنسبة إلى ساكني ذلك الجانب الآخر من الأرض وبالعكس ، فلو كان المعبود مختصاً بجهة فتلك الجهة وإن كانت فوقاً لبعض الناس لكنها تحت لبعض آخرين ، وباتفاق العقلاء لا يجوز أن يقال المبعود تحت جميع الأشياء .
٩- أجمعت الأمة على أن قوله : { قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ } [الإخلاص : ١] من المحكمات لا من المتشابهات فلو كان مختصاً بالمكان لكان الجانب الذي منه يلي ما على يمينه غير الجانب الذي منه يلي ما على يساره فيكون مركباً منقسماً فلا يكون أحداً في الحقيقة فيبطل قوله : { قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ } [الإخلاص : ١] .
١٠- أن الخليل عليه السلام قال : { لا أُحِبُّ الأفلين } [الأنعام : ٧٦] ولو كان المعبود جسماً لكان آفلاً أبداً غائباً أبداً فكان يندرج تحت قوله : { لا أُحِبُّ الأفلين } [الأنعام : ٧٦] فثبت بهذه الدلائل أن الإستقرار على الله تعالى محال
وعند هذا للناس فيه قولان ، الأول : أنا لا نشتغل بالتأويل بل نقطع بأن الله تعالى منزه عن المكان والجهة ونترك تأويل الآية وروى الشيخ الغزالي عن بعض أصحاب الإمام أحمد بن حنبل أنه أول ثلاثة من الأخبار :
قوله عليه السلام « الحجر الأسود يمين الله في الأرض » ،
وقوله عليه السلام : « قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن »

وقوله عليه السلام : « إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن »
واعلم أن هذا القول ضعيف لوجهين : الأول : أنه إن قطع بأن الله تعالى منزه عن المكان والجهة فقد قطع بأن ليس مراد الله تعالى من الإستواء الجلوس وهذا هو التأويل . وإن لم يقطع بتنزيه الله تعالى عن المكان والجهة بل بقي شاكاً فيه فهو جاهل بالله تعالى ، اللهم إلا أن يقول أنا قاطع بأنه ليس مراد الله تعالى ما يشعر به ظاهره بل مراده به شيء آخر ولكني لا أعين ذلك المراد خوفاً من الخطأ فهذا يكون قريباً ، وهو أيضاً ضعيف لأنه تعالى لما خاطبنا بلسان العرب وجب أن لا يريد باللفظ إلا موضوعه في لسان العرب
وإذا كان لا معنى للاستواء في اللغة إلا الاستقرار والإستيلاء وقد تعذر حمله على الإستقرار فوجب حمله على الإستيلاء وإلا لزم تعطيل اللفظ وإنه غير جائز .
والثاني : وهو دلالة قاطعة على أنه لا بد من المصير إلى التأويل وهو أن الدلالة العقلية لما قامت على امتناع الاستقرار ودل ظاهر لفظ الاستواء على معنى الاستقرار ، فإما أن نعمل بكل واحد من الدليلين ، وإما أن نتركهما معاً ، وإما أن نرجح النقل على العقل ، وإما أن نرجح العقل ونؤول النقل .

والأول باطل وإلا لزم أن يكون الشيء الواحد منزهاً عن المكان وحاصلاً في المكان وهو محال .
والثاني :أيضاً محال لأنه يلزم رفع النقيضين معاً وهو باطل .
والثالث : باطل لأن العقل أصل النقل فإنه ما لم يثبت بالدلائل العقلية وجود الصانع وعلمه وقدرته وبعثته للرسل لم يثبت النقل فالقدح في العقل يقتضي القدح في العقل والنقل معاً ، فلم يبق إلا أن نقطع بصحة العقل ونشتغل بتأويل النقل وهذا برهان قاطع في المقصود إذا ثبت هذا فنقول قال بعض العلماء المراد من الإستواء الإستيلاء

فإن قيل هذا التأويل غير جائز لوجوه .
١- أن الإستيلاء معناه حصول الغلبة بعد العجز وذلك في حق الله تعالى محال ٢- أنه إنما يقال فلان استولى على كذا إذا كان له منازع ينازعه ، وكان المستولى عليه موجوداً قبل ذلك ، وهذا في حق الله تعالى محال ، لأن العرش إنما حدث بتخليقه وتكوينه .
٣- الاستيلاء حاصل بالنسبة إلى كل المخلوقات فلا يبقى لتخصيص العرش بالذكر فائدة .

والجواب : أنا إذا فسرنا الاستيلاء بالاقتدار زالت هذه المطاعن بالكلية ، قال صاحب الكشاف لما كان الاستواء على العرش ، وهو سرير الملك لا يحصل إلامع الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا : استوى فلان على البلد يريدون ملك ، وإن لم يقعد على السرير ألبتة ، وإنما عبروا عن حصول الملك بذلك لأنه أصرح وأقوى في الدلالة من أن يقال فلان ملك ونحوه قولك : يد فلان مبسوطة ، ويد فلان مغلولة ، بمعنى أنه جواد وبخيل لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت حتى أن من لم تبسط يده قط بالنوال أو لم يكن له يد رأساً قيل فيه يده مبسوطة لأنه لا فرق عندهم بينه وبين قوله جواد ، ومنه قوله تعالى :{وَقَالَتِ اليهود يَدُ الله مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ } [المائدة : ٦٤] أي هو بخيل { بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَان } [المائدة : ٦٤] أي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط ، والتفسير بالنعمة والتمحل بالتسمية من ضيق العطن . وأقول : إنا لو فتحنا هذا الباب لانفتحت تأويلات الباطنية فإنهم أيضاً يقولون المراد من قوله : {فاخلع نَعْلَيْكَ } [طه : ١٢] الاستغراق في خدمة الله تعالى من غير تصور فعل ، وقوله : {يا نَارُ كُونِى بَرْداً وسلاما على إبراهيم } [ابراهيم : ٦٩] المراد منه تخليص إبراهيم عليه السلام من يد ذلك الظالم من غير أن يكون هناك نار وخطاب ألبتة ، وكذا القول في كل ما ورد في كتاب الله تعالى ، بل القانون أنه يجب حمل كل لفظ ورد في القرآن على حقيقته إلا إذا قامت دلالة عقلية قطعية توجب الانصراف عنه ، وليت من لم يعرف شيئاً لم يخض فيه ، فهذا تمام الكلام في هذه الآية ، ومن أراد الاستقصاء في الآيات والأخبار المتشابهات فعليه بكتاب تأسيس التقديس وبالله التوفيق .

اجتهاد: القلب عرش الله

الكرسى

الرازى

قوله تعالى : **{ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السموات والأرض }**

وسع فلانا الشيء يسعه سعة إذا احتمله وأطاقه وأمكنه القيام به ، ولا يسعك هذا ، أي لا تطيقه ولا تحتمله ومنه قوله عليه السلام : « لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أتباعي » أي لا يحتمل غير ذلك

وأما الكرسي فأصله في اللغة من تركب الشيء بعضه على بعض ، ومنه الكراسة لتركب بعض أوراقها على بعض والكرسي هو هذا الشيء المعروف لتركب خشباته بعضها فوق بعض .

واختلف المفسرون على أربعة أقوال

١- أنه جسم عظيم يسع السموات والأرض ، ثم اختلفوا فيه فقال الحسن الكرسي هو نفس العرش ، لأن السرير قد يوصف بأنه عرش ، وبأنه كرسي ، لكون كل واحد منهما بحيث يصح التمكن عليه ،

وقال بعضهم : بل الكرسي غير العرش ، ثم اختلفوا فمنهم من قال : إنه دون العرش وفوق السماء السابعة ، وقال آخرون إنه تحت الأرض وهو منقول عن السدي .

واعلم أن لفظ الكرسي ورد في الآية وجاء في الأخبار الصحيحة أنه جسم عظيم تحت العرش وفوق السماء السابعة ولا امتناع في القول به فوجب القول باتباعه ، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : موضع القدمين ، ومن البعيد أن يقول ابن عباس : هو موضع قدمي الله تعالى وتقدس عن الجوارح والأعضاء ، وقد ذكرنا الدلائل الكثيرة على نفي الجسمية في مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، فوجب رد هذه الرواية أو حملها على أن المراد أن الكرسي موضع قدمي الروح الأعظم أو ملك آخر عظيم القدر عند الله تعالى .

٢- أن المراد من الكرسي السلطان والقدرة والملك ، ثم تارة يقال : الإلهية لا تحصل إلا بالقدرة والخلق والإيجاد ، والعرب يسمون أصل كل شيء الكرسي وتارة يسمى الملك بالكرسي ، لأن الملك يجلس على الكرسي ، فيسمى الملك باسم مكان الملك .
٣- أن الكرسي هو العلم ، لأن العلم موضع العالم ، وهو الكرسي فسميت صفة الشيء باسم مكان ذلك الشيء على سبيل المجاز لأن العلم هو الأمر المعتمد عليه ، والكرسي هو الشيء الذي يعتمد عليه ، ومنه يقال للعلماء : كراسي ، لأنهم الذين يعتمد عليهم كما يقال لهم : أوتاد الأرض .
٤- وهو أن المقصود من هذا الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه ، وتقريره أنه تعالى خاطب الخلق في تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه في ملوكهم وعظمائهم من ذلك أنه جعل الكعبة بيتاً له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم وأمر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر في الحجر الأسود أنه يمين الله في أرضه ثم جعله موضعاً للتقبيل كما يقبل الناس أيدي ملوكهم ، وكذلك ما ذكر في محاسبة العباد يوم القيامة من حضور الملائكة والنبيّين والشهداء ووضع الموازين ، فعلى هذا القياس
أثبت لنفسه عرشاً ، فقال { الرحمن عَلَى العرش استوى } [طه : ٥]
ثم وصف عرشه فقال { وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماء } [هود : ٧]
ثم قال : { وَتَرَى الملائكة حَافّينَ مِنْ حَوْلِ العرش يُسَبّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ } [الزمر : ٧٥]
وقال : { وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثمانية } [الحاقة : ١٧]
وقال : { الذين يَحْمِلُونَ العرش وَمَنْ حَوْلَهُ } [غافر : ٧]
ثم أثبت لنفسه كرسياً فقال : { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السموات والأرض } .
إذا عرفت هذا فنقول : كل ما جاء من الألفاظ الموهمة للتشبيه في العرش والكرسي ، فقد ورد مثلها بل أقوى منها في الكعبة والطواف وتقبيل الحجر ، ولما توافقنا هاهنا على أن المقصود تعريف عظمة الله وكبريائه مع القطع بأنه منزّه عن الكعبة ، فكذا الكلام في العرش والكرسي ، وهذا جواب مبين إلا أن المعتمد هو الأول ، لأن ترك الظاهر بغير دليل لا يجوز ، والله أعلم .
أما قوله تعالى : **{ وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا }** فاعلم أنه يقال : آده يؤده : إذا أثقله وأجهده والمعنى : لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما أي حفظ السموات والأرض .

ثم قال : **{ وَهُوَ العلى العظيم }** واعلم أنه لا يجوز أن يكون المراد منه العلو بالجهة
أن العالم كرة ، ومتى كان الأمر كذلك فكل جانب يفرض علواً بالنسبة إلى أحد وجهي الأرض يكون سفلاً بالنسبة إلى الوجه الثاني ، فينقلب غاية العلو غاية السفل .
فلو كان علو الله تعالى بسبب المكان لكان علو المكان الذي بسببه حصل هذا العلو لله تعالى صفة ذاتية ، ولكان حصول هذا العلو لله تعالى حصولاً بتبعية حصوله في المكان ، فكان علو المكان أتم وأكمل من علو ذات الله تعالى ، فيكون علو الله ناقصاً وعلو غيره كاملاً وذلك محال ، فهذه الوجوه قاطعة في أن علو الله تعالى يمتنع أن يكون بالجهة ،
قال الأصفهاني في تفسير قوله
{قُل لِّمَن مَّا فِى السموات والأرض قُل لِلَّهِ } [الأنعام : ١٢] قال : وهذا يدل على أن المكان والمكانيات بأسرها ملك الله تعالى وملكوته
ثم قال : {وَلَهُ مَا سَكَنَ فِى اليل والنهار } [الأنعام : ١٣] وهذا يدل على أن الزمان والزمانيات بأسرها ملك الله تعالى وملكوته
فتعالى وتقدس عن أن يكون علوه بسبب المكان وأما عظمته فهي أيضاً بالمهابة والقهر والكبرياء ، ويمتنع أن تكون بسبب المقدار والحجم
وإن الكرسي وسع السموات والأرض كما ورد في الحديث القدسي
(السموات والأرض كحلقة في فلاة في العرش، والكرسي كحلقة في فلاة في العرش)
فما الحكمة من استخدام صيغة الماضي في فعل (وسع)؟ الحكمة أن صيغة الماضي تدلّ على أنه وسعهما فعلاً
<u>الطبري</u>
فقال بعضهم: هو علم الله تعالى ذكره.
وقال آخرون:"الكرسي": موضع القدمين.
"وسع كرسيه السموات والأرض"، فإن السموات والأرض في جوف الكرسي، والكرسي بين يدي العرش، وهو موضع قدميه.
لما نزلت:"وسع كرسيه السموات والأرض" قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله هذا الكرسي وسع السموات والأرض، فكيف العرش؟ فأنزل الله تعالى:(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) إلى قوله:(سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) [الزمر: ٦٧]
وقال آخرون: الكرسي: هو العرش نفسه.

قال أبو جعفر: وأصل"الكرسي" العلم. ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب"كراسة"، ومنه قول الراجز في صفة قانص:

* حتى إذا ما احتازها تكرسا

يعني علم. ومنه يقال للعلماء"الكراسي"، لأنهم المعتمد عليهم، كما يقال:"أوتاد الأرض". يعني بذلك أنهم العلماء الذي تصلح بهم الأرض، والعرب تسمي أصل كل شيء"الكرس"، يقال منه:"فلان كريم الكرس"، أي كريم الأصل

المراجع

القرآن الكريم

خواطر الشيخ الشعراوى

التفسير الكبير الفخر الرازى

تفسيرالقرآن للطبرى

تفسير القران لابن كثير

تفسيرالقرآن البقاعى

تفسير القران النيسابورى

تفسيرالقرآن القرطبى

تفسير للسمرائى

فـوائد اللـيل وأســـراره. تكليف لطيف رزج- جامعة الانبار

أ.د/ يحيى وزيرى الاعجاز العلمى فى القران والسنة

زغلول النجار الاعجاز العلمى

معجزة الجبال الدكتور أحمد مليجي

حديث من فوائد حليب الإبل د. فهد بن عبدالرحمن السويدان